

في سيرة حضرة خير البرية

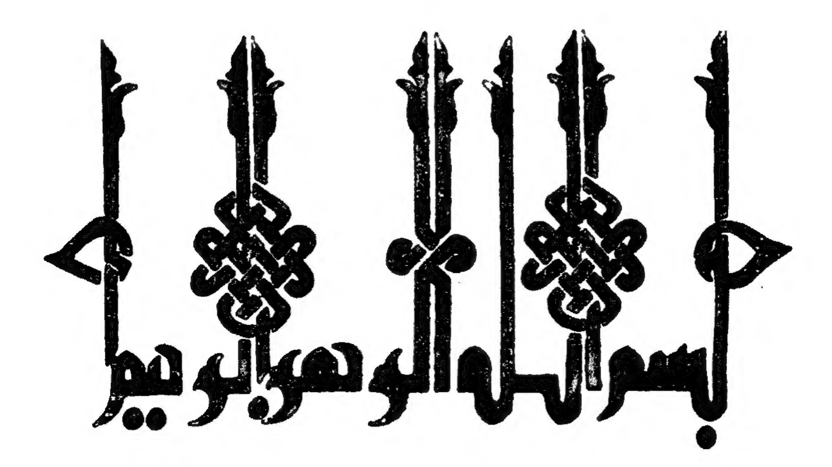
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

منظومة مع شرحها

ألفها خادم العلم والدين

عبد الكريم محمد المدرس

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



منظومتي الفية عرفية
يجلب حب المصطفى حرية
واسمها الوردة العنبرية
وشرحها سعادة البرية
يا رب وفق كل من يحفظها
لنصر دين سيد البرية
يشرح اخلاق الرسول المصطفى
اخلاقه العظيمة الزكية
واهله وآله وصحبه
والباقي من آمته النجيه
صلى عليه وعليهم ربنا
في بكرة الايام والعشية
واغفر لنا يا ربنا وكل من
يبقى على آدابه المرضية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله هادي العقل للحكم — وباعث الرسل بالارشاد للأمم

ثم الصلاة على المختار في الأمم — بالعقل ، بالعلم ، بالأخلاق والشيم

محمد سيد الأشراف منقبة — الشافع العام يوم الحشر للامم

والآل والصحب والاتباع قاطبة — أهل الهدى والتقى والقدر والقيم

ما هبت الريح في الدنيا على علم — وجاء روح الى قلب أولي الهمم

وبعد : فالخير كل الخير في الادب — والحب للمصطفى المختار في القدم

ونشر أقواله ، وذكر اعماله — وبحث احواله بالقدر والقيم

وهذه نبذة ، منها ، مهذبة — تفيد طلاب علم من أولي الهمم

نظمتها لهذي الاجيال مقتديا — بصاحب البردة المعروف كالعلم

قلادة من جياد الدر منتظما — على الصدور شعار الحب والسَّلَم

فالدر يزداد حسنا وهو منتظم — وليس ينقص قدرا غير منتظم

اهديتها للوفا بخدمة المصطفى — رجاء نيل الصفا من سيد الأمم

وقلت يا شافعي بالكرم النافع — من ربنا الرافع الوهاب للنعم

انت الذي اختاره الله برحمته — بعثكم رحمة لكافة الأمم

قد كنت أنت نبيا عاليا شرفا — ونوع الانسان تحت ساتر العدم

قد كنت بالروح اصل الانبياء كما — قد جاء من جابر عن سيد الامم

وكنت انت نبيا مصطفى كرما — اذ كان آدم طينا غير منسجم

فصرت في عالم الاجساد ابنا لـــه ابنـا شريفـا رفيع القدر والقيـم
فأنت اصـل ونسل والـد ولـد وأنت جامع وصف البـدء والختم
متمم لرسالات الهدى البشـرى وللمكارم مـن أخـلاق كلهـم
الصبر والصدق في القول وفي العمل والاستقامـة في السراء والنقـم
نظافة القلب عن حقـد وعـن حسد شرافة الطبـع في جود وفي كـرم
حظور قلب مع الله العليـم كمـا والبعد عن غفلة للسقـم والالـم
ومعجزاتك في الايـام باهـــرة آيـات ربـي لك البرهان كالعلـم
اخرجت الانسان من ظلمات انفسهم بنـور علـم وبالتحرير بالقلـم
بنور الإيمان قد نورت أهل هدى ارشدتهم للهدى بالعلـم والحِكَم
أتم نورك في الاكـوان قاطبـــة قد عم فيضك في العرب وفي العجم
هيّا لـك الامـة العلياء مرتبـة وصافها عـن ضلال كان للامـم
من اوليـاء اولـى روح ومنقبـــة وعالمين علّوا علمـا علـى العلـم
صلى عليك الـه العالمين وقـــد امَرنا في كـلام طيّـب الكلِم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين واتباعه باحسان الى يوم الدين .

وبعد : فهـذا كتاب جليل القـدر ، جميل الأثر ، أوضحت فيه مافي منظومتي (الوردة العنبرية في مديحة خير البرية) وسميته بـ (سعادة البرية في شرح الوردة العنبرية) وأرجو من الله تعالى النفع بهما لي ولهم في الدارين ، إنه هو السميع القريب المجيب ، وهو ارحم الراحمين .

قولي : (أنت الذي اختاره الله برحمته) أقول : والدليل عليه ما رواه الشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الجامع الصغير أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : إن الله تعالـى خَلَقَ الخَلق وخَيّر الفرقتين فجعلني في خيـر فرقهم ، ثم تخير القبائل ، فجعلني في خير قبيلة ، ثم تخيّر البيوت فجعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً ، وخيرُهُم بيتا ، رواه الترمذي عن العباس بن عبدالمطلب والحديث صحيح .

قولي : (بعثكم رحمة لكافة الأمم) والدليل عليه قوله تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقوله صلى الله عليه وسلم :ـ (أنا الرحمـة المُهداة) وأهل العلم قالوا : العالمون شبه جمع وليس جمعاً ، إذ لو كان جمعاً لزم أن يكون المفرد أكثر من الجمع فإن العالم جميع ما سوى الله تعالى من العقلاء وغيرهم ، والعالمون بمعنى جميع العقلاء . ويظهر منه أن الله تعالى بعثه رحمة للعقـلاء ، أي ليستفيدوا منه بالإيمان والأعمال الصالحة ، فمن أطاعه فقد فاز بالرحمة وربح ، ومن عصاه صار محروماً وخسر . والعياذ بالله تعالى .

قولى : (قد كنت انت نبيا عاليا شرفا) بيانه أنه روى عن أبي نجيح عرباض ابن ساريةَ السّلمي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إني عند الله لخاتم النبيين ، وأن آدمَ لمنجدل في طينه . أي طريح ملقى قبل نفخ الروح فيه. انتهى .

ومعنى هذا انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان موصوفا بصفة كونه نبيا خاتما للانبياء قبل نفخ الروح في جسد سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ وظاهر انه ابو البشر وأبو الانبياء الكرام ـ عليهم السلام ـ .

وعن ميسرة الضبي قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد .

تدل هذه الاحاديث الشريفة وأمثالها الكثيرة على ان الحقيقة المحمدية اشرف الحقائق واكـرم الخلائق عنده ، وكان موصوفا روحا بصفة النبوة والرسالة ، وانه خاتم الانبياء والمرسلين قبل ظهورهم في عالم الاعيان .

قولى : (وكنت بالروح اصل الانبياء) والدليل عليه ما رواه سهيل بن صالح الهمْداني ، قال : سألت ابا جعفر محمد بن علي ـ رضي الله عنهما ـ كيف صار محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتقدم الانبياء ، وهو آخر من بعث ؟ قال : ان الله تعالى أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ اولَ من قال (بلى) ولذلك صار يتقدم الانبياء ، وهو آخر من بعث .

وعن الشعبي : قال رجل : يا رسول الله متى استنبئت ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق ، فهو اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا .

وقولى : (قد جاء من جابر) بيانه انه روى عبدالرحمن بسنده عن جابر بن عبدالله قال : قلت : يا رسول الله ـ بأبي انت وأمي ـ اخبرني عن اول

شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء • قال : يا جابر إن الله تعالـى خلق قبل الاشياء نور نبيك ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى • ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ، ولا جنة ولا نار ، ولا ملك ولا سماء ، ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنّي ولا انسي ، فلما اراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء ، فخلق من الجزء الاول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش • ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء ؛ فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكـة ثـم قسـم الجـزء الرابـع اربعـة اجـزاء فخلـق من الاول السماوات ، ومن الثاني الارضين ، ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم القسم الرابع اربعة اجزاء ، فخلق من الأول نور ابصار المؤمنين ، ومن الثاني نور قلوبهم ، وهي المعرفة بالله تعالى ، ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد (لا إله الا الله محمد رسول الله) •

قولي : (فصرت في عالم الاجسام ابنا له) بيان المقام انه لما ثبت من ظواهر الروايات العديدة ان الله تعالى خلق الارواح قبل الأجساد وثبت ان روح حضرة الرسول الخاتم أول مـن وصف بالنبوة قبل خلق العالم وخلق الانسان ، وثبت على رواية جابر بن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ انه خلق من نور محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ العوالم وعالم الانسان •• ثبت ان سيدنا محمـدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ اصل ووالـد للإنسان وللأنبياء والمرسلين ، وإن كان في عالم ظهور الأجسـام البشرية ابنا وفرعا وفصلا منفصلا من الاصل ، فلذلك هو ــ صلى الله عليه وسلم ــ اصل وفصل ووالد وولد •

ولِدت مـن والديـن ماجديـن وهـم
مـن سلـف سـابق في الفضل والكـرم
عدنـان قيـدار اسماعيـل والـده
ابـو النبييـن ابراهيـم ذو الهمـم

مولــده كان (كوفى) عنــد بابــل ، أو
(شرقات) او (شــوش) عنــد (عقرة) العلم

اكــرم بهــم مــن رجــال بارزين لــــدى
اهل الهــدى مــن اولــى الاقــدار والقيــــم

ليلــة الأثنين قــرب الصبــح ثانــي عشــر
ربيــــع الأول فــي مكـــة بالكــرم

مــن عــام فيــل اتــى في جيــش أبرهـــة
مكـــدّر الوجـــه بالعبس وبالنّقـــم

فأرســل اللــه جيشا مــن جنــود هــدىً
طيــراً أبابيــل ردتهــم الــى العَــدم

وكــان فــي الأمــر إعــزاز لمَقدَمِكــم
بشــارة بظهــور النــور والكــرم

ليلـــةَ عشريــن مــن نيســان رومٍ وذا
وقــتُ ربيــعٍ أتــى بالــورد والنسم

عــام ثــلاثٍ وخمســين وخمسمــأة
تأريــخ ميـــلاد عيســى صاحــب الهِمَم

قولى : (ولدت من والدين الى آخره) بيانه : أنك ولدت من آباء كرام ووالدين عظام ، فإنك ابن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدالمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان . وتوقف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على عدنان ، وقال : كذب النسابون . والمشهور أن عدنان من سلالة قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ــ عليهم السلام ــ .

كما أن المعروف هو أن سيدنا إبراهيم بن آزر (وقيل : إن آزار كان عمّه) وذكر باسم الأب على المعتاد عند الناس إذ ذاك • والمشهور أن إبراهيم ولد في (كوفي) محل قرب محافظة بابل المعروف اليوم باسم (حِلّة) بكسر الحاء وفتح اللام المشددة وتاء التأنيث ، أو ولد في (شرقات) أو في قرية (شوش) قرية قرب قضاء (عقرة) التابعة لمحافظة الموصل • وسيدنا ابراهيم كان في زمن الملك نمرود وكانت عاصمته (بلدة أور) غربي البصرة ، ولما أمر بإلقائه في النار ونجى سالماً خاف من بقائه في العراق ، وبعدّه إلى (كنعان) من بلاد الشام ، فاتصل إبراهيم بملك الأقباط وأكرمه بجارية (هاجر) فولدت له إسماعيل ، ثم أسكنهما في مكة المكرمة • وحكايته مشهورة وتزوج سيدنا اسماعيل امرأة من قبيلة (جرهم) العربية القحطانية فولدت له زوجته اثنى عشر ولدا أكبرهم (قيدار) جد عدنان والله أعلم •

كما أن الثابت نقلا متواتراً أن عبدالله أحد الأولاد العشرة لعبد المطلب تزوج من (أمنة) بنت وَهب بن زهرة القرشي ، وانتقل من مكة الى المدينة ، وبقوا مع ألاوس والخزرج هناك •

ولما تزوج بها وحملت بسيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ توفي قبل ولادة سيدنا محمد ، ولما ولد بقي مع أمه في بيت جده عبدالمطلب ، ولما قربت وفاته وصى ابنه أبا طالب أن ينقل سيدنا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى بيته ويربيه ويخدمه الى بلوغه وقد حقق ما وصاه به •

وكانت ولادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في مكة المكرمة ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول المصادف لليلة العشرين من شهر نيسان الرومي الشرقي ، الموافق لموسم الربيع وقت الأوراد والأزهار ، وكان التأريخ الميلادي خمسمائة وثلاث وسبعين ، والعام عام الفيل ، أي العام الذي جاء فيه أبرهة الحبشي ملك يمن بالجنود معهم فيل لتخريب بيت الكعبة الشريفة • ولما وصلوا الوادي المحَسَّرَ المجاور لأرض (منى) ، أرسل الله تعالى عليهم فوجاً من

طير أبابيل فرموهم بحجارة صغار فصارت على أجسادهم كمواد نارية ، وأهلك الله الجيش ، وماتوا خائبين خاسرين • ومن هنا نقول : إن الاحتفال بذكرى مولد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس من البدع المستحدثة كما زعم بعض من لا نظر له في الأدلة الشرعية وإنما هو مستحب ومطلوب في الدين • أما إنه ليس من البدع فلأن البدعة في الشريعة عبارة عن أمر مستحدث خارج عن دلالة الكتاب والسنة والاجماع واجتهاد المجتهدين ، وذلك الاحتفال تؤيده الأدلة الأربعة ، أما الكتاب فلأن في القرآن الكريم آيات تدل على الاهتمام بذكره : قدره ، ومقداره ، ونصرة دينه •

منها قوله تعالى في سورة الأعراف : (وعزروه ونصروه) والتعزير بمعنى التعظيم • والنصر عبارة عن تأييده في رسالته ونشر محاسنه وسيرته الشريفة واخلاقه العظيمة •

ومنها قوله تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) والسراج المنير لمجالس الأنس ولمحافل القدس وجالب الإنسان الى حظيرة الحق ، هو ذكره وذكر أنسابه وأحسابه ، ومعرفة مقامه من الله تعالى •

ومنها قوله تعالى : (ورفعنا لك ذكرك) والذكر المرفوع ، وإن كان هو ذكره في كلمتي الشهادة وذكره في الصلوات الخمس ، لكنه يصدق بذكره في المجتمع الإسلامي حتى يعرفه الجيل لاسيما الصبيان والغلمان الذين يبعدون عن المجالس والمحافل • وأما السنة فمنها قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين) او كما قال • وذكره ومدحه ونشر أخلاقه جالب لهذه المحبة المعتبرة في كمال الإيمان • ومنها قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (نحن اولى بموسى منكم) في مقابل اليهود الذين يحتفلون بصوم عاشوراء لذكرى انتصار سيدنا موسى ونجاة بني إسرائيل من ظلم فرعون • ويستفاد

منه جواز الاحتفال والاهتمام بذكرى المبشرات ، لاسيما ممن لهم مقدار عند الله تعالى ، فإنه قال ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ : (نحن أحق وأولى بموسى منكم) أي أنسب بالاحتفال بمقامه وبذكرى خلاصه ، لأنه كان من الرسل أولي العزم وأنا منهم ، والرسل أبناء مبدأ مقدس واحد ، ولما كان ذلك جائزا ومناسبا للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيكون مناسبا لنا أيضا لقوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) .

ومنها قوله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ : (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة) والسنة الحسنة مالم يخرج عن دلالة الادلة الاربعة الدينية .

وأما الاجماع فلأن الائمة الكبار الإسلامية اتفقوا على استحباب ما أتى به الملك الصالح مظفر الدين الأربيلي ــ رحمه الله ــ من الاحتفال بالمولد الشريف وصرف الاموال فيه ، وأولئك الائمة كان لهم مقام الاجتهاد في هذه القضية الخاصة ، لأنهم كانوا من أجلة العلماءوفي درجة الاجتهاد المقيد ، وإن لم يكونوا في درجة الاجتهاد المطلق . ويجوز تجزي الاجتهاد كما صرح به الإمام أبو حامد الغزالي في بحث القياس في كتابه (المستصفى) ولم ينكر ذلك العمل عالم جليل يعتمد عليه وعلى نقده وقبوله ورده . وقد قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) لاسيما وقد مضى على إجماعهم القرون فنقد الاجزاء لا يضر إجماعهم .

وأما الدليل من المجتهدين فبعد ثبوت درجة الاجتهاد والعمل بآرائهم ندري ونعلم أن افراد العلماء الأجلة كانوا راضين بهذا الاحتفال . وأما الذين يقولون إن هذا الاحتفال لم يكن في عصر الرسول فتكون إقامته غير مشروعة فقولهم مردود عليهم ، لانه بعد ما ثبت استحبابه فلا يقدح فيه ترك السلف له ، حيث أنهم كانوا مشتغلين بأمور هي أهم من الاحتفالات ، وذلك هو الإرشاد والجهاد . ألا يعلمون أن الرسول ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ

في مدة تسع سنين بعد الهجرة حارب المشركين في ثلاث وستين حرباً ، وحضر بنفسه الشريفة في ست وعشرين ، فمع هذه المهمات كيف يبقى المجال للامور الاخرى ؟ علاوة على ذلك أن آداب الدين منها فروض العين وفروض الكفاية، ومنها السنن المؤكدة ، ومنها المستحبات ، فالمسلمون لم يتركوا ما هو من فروض العين او الكفاية أو المؤكدات ، ولا يجب عليهم تطبيق التطوعات فكونوا على شعور بدينكم •

ثم لو كان عدم الوجود في عهده ــ صلى الله عليه وسلم ــ دليلا على الفساد والبدعة الشرعية لزم أن يكون وجود المحاريب في المساجد والجوامع ، وبناء المنائر عندها ، وبناء دار الإفتاء ودار القضاء والمدارس الدينية وبيوت المسافرين ، وتربية اليتامى ••• من البدع المذمومة ، لأنها لم تكن في عهده ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكذلك تأليف الكتب العلمية • وكل ذلك من المهمات الإسلامية واجبة او مستحبة • فظهر مما ذكرنا أن كل ما لم يكن في عهده ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو من البدع بالمعنى اللغوي ، أي لم يكن سابقاً وحدث بعده فإن كان مــن مقتضيات دين الإسلام فهو إما واجب او مندوب ، وإن كان من مخالفاته فهو حرام أو مكروه ، وإلا بقي على الإباحة • وأما البدعة بالمعنى الشرعي أعني ما خالف الادلة الأربعة السابقة فهو ضلالة وفساد فاعلموا ذلك وانتبهوا له •

واعلموا أن دين الاسلام دين خالد الى الابد ولا دين بعده ، فيحتاج الى أمور كثيرة من المخترعات والأشياء الحادثة ، ولا يجوز للمسلم العاقل ان ينسب كل مالم يكن سابقا الى البدعة الشرعية والضلال • وعلى ما ذكرنا فكل احتفال مربوط بذكرى أحوال وأعمال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كبحث إسرائه ومعراجه ، وهجرته الى المدينة المنورة ، وحروبه المهمة ، كحرب بدر وأحد وخيبر وحنين وما شاكل ذلك ••• مادام ينور الأمة الإسلامية فمستحب بشرط رعاية أدب الشرع فيها والله أعلم •

ومـن المهم أن تعلمـوا أن آباء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأقربين كانوا في الزمن الأخير من زمان مابين إبراهيم وإسماعيل والرسول سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك لأن ذلك الزمان كان زائدا على مقدار ألفي سنة وذلك الزمان مقسوم بثلاثة أقسام :

القسم الأول : كان منورا بنور الرسالة والناس عالمون باحكام الدين ومكلفون بالأحكام .

والقسم الثاني : كان مما اختلط فيه العلم بالجهل .

وأما القسم الثالث الذي يقع بعد الإتيان بالصنم الى الكعبة الشريفة بيد عمرو بن لحي الخزاعي الـذي قال في حقـه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (رأيت عمرو بن لحى يجر أمعاءه في نار جهنم) فهم كانوا في ضلال من العلم وانقطاع من الوحي وفترة وانقطاع كامل عن الرسل وأحكام الدين وصاروا غافلين جداً .

وأما أن اهل الفترة غير مكلفين فلقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله تعالى : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) . فعلى ذلك يجب أن نعتقد أن الآباء الأقربين ، وبالخاصة ابويه الماجدين ، كانوا في عهد الفترة وغير مكلفين وغير معذبين في الآخرة قطعا .

وكل ما يروى على خلاف ذلك مما لا يعتمد ولا يجوز الاعتمـاد عليه لمخالفته لظاهر النصوص ، أو يحمل على نوع من العذاب على المعاصي لا على الكفر . لأن أهل الدين والإيمان السليم قد يعذبون على الذنوب وقد يعفو الله تعالى عنهم بفضله ورحمته .

علاوة على ذلك قد ثبت أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا الله تعالى أن يحيي والديه فأحياهما وآمنا به ، وهذا الإيمان يعتبر إيمان التشريف لا ايمان التكليف ، لأنهما كانا في عهد الفترة وما كانا مكلفين .

وأما ما قاله بعض الناس من أن الإيمان بعد الموت على الكفر لا ينفع • فمردود هنا من جهتين الأولى : أنهما لم يكونا مكلفين ، فلم يكونا في عرف الشرع كافرين •

الثانية : أن هذه القضية كانت خارقة للعادة وكرامة لحضرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا مانع من أن يختصه الله تعالى بفضيلة أو فضائل من هذا القبيل ،أو فوقه، أو دونه ، فاعلموا ذلك واعتقدوه تنتفعوا •

وعندها ظَهَرت بشارة للورى
على الظهور لنور الحق والحِكم

وازدَهرَت مكةٌ مِن يمن حضرته
فكاد أن ينطق البكم مع البَكم

تحولت سنة الجَدب الى الرخص
وزاد فيها كثير المال والنعم

غاصت بحيرة ساوة عند مولده
حكما على انتكاس الروم في العلم

واهملت نار دين الفرس اذ خمدت
مَعَ وجود جَماعاتٍ من الخدم

وشقّ أيوان كسرى للدليل على
كسر لشوكته في أمة العجم

وقد رأى نفسه الركبان مِن عرب
قد عبرت دجلة لجانب العجم

وكم رأت أمّه ، أمّ الهدى ، عَلمَا
وكم بدت عندها الأنوار في الظلم

وابتسمت شفــــة الدنيــــا لمولـــــــده
والعــرش والفــرش واللـــوح مــع القلـــم
وكــان درّاً يتيمـــا في المحيــط لـــذا
ولــد فــردا يتيمــا فــي كســـا اليُتـــم

قولي : (وعندها ظهرت الى آخره) بيان لظهور أمور كثيرة شهدت بتبدل الدنيا وتحول العالم المظلم الى عالم منور بوجود حضرة صاحب الرسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كل وجوه الخير والبركة .

أما من باب الخير فالمنقول أن العرب في مكة كانوا في جدب وقحط شديد ، ولما اقبلت سنة ولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحولت الى مطر ، وخصب ، وورود خيرات كثيرة من الخارج الى مكة بحيث شعر الناس برفاه واسع . وأما من جهة دفع الشر فقد ثبت أنه أتى أبرهة الحبشي المستولي على اليمن بجيش الى مكة لهدم الكعبة ، فلما وصلوا وادي (المحسّر) قــرب المنى أرسل الله عليهم طيراً أبابيل فرموهم بحجارة من سجيل بحيث ابتلوا بمرض شديد ، ولم ينج منهم الا القليل . وأما من باب العلائم والإشارات فثبت أنه غاضت بحيرة طبرية المعروفة بساوة قرب ولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إشارة الى انتكاس أعلام الروم في البلاد . وأتت زلزلة على أيوان كسرى ملك العجم فانشقت اربع عشرة غرفة منها . ونفسه رأى بالرؤيا أن قوماً من العرب الركبان جاؤا وعبروا نهر دجلة ودخلوا في المدائن دخــول القوة والمنعة . كما أنه خمدت نار فارس المعبودة لهم ، وكان عليها مئات من الحراس لحفظ اشتعالها اشارة الى نهاية عبادة النار . وهذه الأمور تدل دلالة على أن الزمان دار من الخوف الى الأمان ، ومن الجهل الى العلم والعرفان ، ومن الشقاء الى السعادة والرحمة ، ومن الكفر الى الإيمان . وهكذا شأن طوالع الرحمة قبل طلوعها تنور الأفق وبعده تنور الآفاق ، ، ولذلك قال الباري سبحانه وتعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً) .

وُلِـدتَ بالعــز عند عبـد مطلـب
مطالبـاً لِنظـام الحـق للأمـم

أسـماك جـدك اسما جامعاً شَرَفا
محمـدا في جمالِ اللفـظ والنغـم

حيثُ رأى في المنـام انـه نَبتَـت
في صدره شجر علَت علـى العلَـم

فقـد ترجّى لكـم حمـدا كثيراً علـى
وجـه يفـوق نطـاق الحصـر بالكلم

فحقق اللـه للجـد الرجـاء وقـد
حمـدك النـاس مـن عرب ومـن عجـم

وجـاءك اللطـف والتوفيـق للعمـل
وصـرت مبـدأ كـل الخيـر والكـرم

طهـرت أم القـرى وعالمـا حَولَهـا
مـن دنـس الشـرك بالنـار وبالصنـم

فصـارت الأرض غيـر الأرض صافيـة
مـن أهـل الاِشراك والفحشـاء والظلـم

نصـرتَ مولـوده المَحمـودَ مَنقَبَـةً
محمـداً أحمـد بالعلـمِ والعَلَـم

قولي : (ولدت بالعز الى آخر الابيات) بيانه : أنه توفى أبوه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان في بطن امه ، ولما جاء أوان طلوع شمس حقيقته من أفق العالم ولدته أمّه في رعاية الجد عبدالمطلب ، وقد سماه محمدا ، فسألوه لم سميت وَلدَكَ محمدا وليس هذا الاسم في آبائك الكرام ؟ قال : رَجَوت أن يحمد في أهل الأرضين لأني رأيت في رؤياي أنه نبتت شجرة على صدري فنمت

وترفعت وترقت الى عنان السماء ، وعلت على الجبال ، وتفرقت أغصانها الى الغرب والشرق والجنوب والشمال وقد حقق الله تعالى رجاءه فصار بحيث تربى احسن تربية ونشأ أحسن نشأة الى أن بلغ الأربعين ، فأرسل الله إليه الملك وأنزل عليه الوحي ، ودعا الأنام الى توحيد الملك العلام وترك السجود للحيوانات والنار والأصنام ، ووفقه وفتح له الفتح المبين ، وطهر أمّ القرى وما حولها من الجهات من الظلمات ، ونوّرها بالآيات البينات ؛ فهو الولد البار ، المحمود في المناقب ، ومحمد في المناصب وأحمد كثير الحمد لله تعالى .

شربُه للبان الأم وحَليبها وحليب غيرها

لبان أمك قد وافاك مبتدأً
فصار فيك غذاء الأمن والسَّلَم
ثويبة أرضعتك من حليب وفا
نصرت أهل الثواب من هدي الأمم
رضعت من داية حليمة العَلَم
سعدية النسب للسعد بالنعم
ونسبة السعد فيها بشرتك بأن
يبقى لك السعد دوماً في هدي الامم
وأمّ أيمن قد دارتك حاضنة
أي انت ايمنهم في الجود والكرَم
أمنٌ ثواب ويمنٌ للحلم جاءك اذ
وافتك داياتك الآيات للنعم

تفاءل الناس بالاسماء إذ نزلت
من السماء على الاحسان والكرم
فقد توالى السعود في مراتبكم
وأهل سعد عيون الفضل والكرم

قولي : (لبان أمك الى آخر الابيات) يعني انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما ولد ليلة الاثنين قبل الصبح أعطته أمّه آمنة بنت وهب ــ رضي الله عنها ــ الحليب البدائي المشهور باللبان لتقويم أعضاء الولد ، وأرضعته بعدها ثويبة جارية أبي لهب ودارته كمرضع ، وثويبة هذه لما بشرت أبا لهب بولادته اعتقها فرحاً بقدومه .

وقد رؤي أبو لهب بعد موته في المنام ، فقيل له : ما حالك ؟ فقال : في النار ، إلا أنه خفف عني في كل ليلة إثنين ، وأمصّ من بين اصبعي هاتين ماء ، وأشار برأس أصبعيه ، وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإرضاعها له . وقال : ابن الجزري فإن كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي بفرحه ليلة مولد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فما حال المسلم الموحّد الذي يُسرُ بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ ولعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم .

ولا يزال اهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ، ويظهرون السرور ، ويزيدون في المبرّات ، ويعتنون بقراءة مولده الكريم ، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم .

ومما جرّب من خواصه انه أمان . قالت حليمة ما حاصله : أتينا مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء . وقد رأين الرسول ــ صلى

الله عليه وسلم ــ وما أخذته واحدة منهن بحجة أنه يتيم لا أب له ، وكلهن أخذن الرضيع ، وبقيت بلا رضيع ، فأتيته فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن ، تفوح منه رائحة المسك ، فوضعت يدي على صدره ، فتبسم ينظر اليّ ، فقبلته بين عينيه ، وأعطيته ثديي الأيمن ، فأقبل عليه بما شاء من لبن ، ثم حولته الى ثديي الأيسر فأبى ، وكانت تلك حاله بعدُ . فأخذته ، فما هو إلا أن جئت به الى رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء الله من لبن ، فشرب حتى رَوِي وشرب اخوه حتى رويَ ، وزادت نعمتنا وحسنت معيشتنا ، وقالت : لما وصل الى منتهى الرضاعة رجعته الى أمّه في مكة ، وترجيت منها أن تخليه معي ، لأنا وجدنا بركتنا من وجوده ، وأذِنت لي ، فرجعت به إلينا كما كان . قالت حليمة : وبَعدَ مَقدمنا بشهرين او ثلاث كان مع أخيه من الرضاعة خلف متسع لبيوتنا جاء أخوه يشتدّ ، فقال : ذاك أخي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه ، قالت حليمة : فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه ، فوجدناه قائما منتقعاً لونه . فاعتنقه أبوه ، فقال له : أي بنّي ما شأنك ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فاضجعاني ، فشقا بطني ، ثم استخرجا منه شيئا ، فطَرحاه ، ثم ردّاه كما كان . فرجعناه معنا فقال أبوه : يا حليمة قد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نرده الى أهله قبل أن يظهر عليه ما نخاف . فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه ، فقالت : ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه ؟ قلنا : نخشى عليه الإتلاف والأحداث . فقالت : ماذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره . قالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل . إنه لكائن لابني هذا شأن فَدَعاهُ عنكما .

وفي الأنوار المحمدية : وقد وقع شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجيء جبريل ــ عليه السلام ــ اليه بالوحي في غار حراء ، ومرة أخرى عند الإسراء . انتهى .

والحكمة تنظيف صدره الشريف وقلبه اللطيف عن حظوظ النفس وملؤه بالأنوار المقوية له ولجانبه الروحي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقلت في شرح الأبيات : إن المشهور هو أن الاسماء تنزل من السماء ، وأن الأسماء المبشرة يتبرك بها ويستفاد من أسماء أمّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودایاته ثويبة وحليمة السعدية ، وخدمة أمّ ايمَنَ له ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أودع الله في قلبه الشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمان والثواب والحلم والسعادة واليمن والبركة الوافرة .

السعد الاول

وأول السعد شق الصدر في الصغر
لدى حليمة للتّطهير عن لَمَمِ
من كل أدرانِ نفس في طبيعتها
وملئه بهُدى الأسرار والحِكم
وملئه بالمزايا من مواهبه
كما يليق بختم الرسل للامم
خافت حليمة أن الجن قارنه
فأرجعته الى الأم مع الألم
بقيت حتى توفّت عند رجعتها
في سَفرة الزّورة لصاحبي الرحم
ثم انتقلت إلى الجد الجليل عُلاً
إلى وفاته بالإعزاز من هرم
وقبل موته وصّى العم فيك لذا
نزلت في بيته المعمور بالكرم
فيه نشأت على وجه برام كما
قد ينشأ البان في الروضات كالعَلَم
ومعه سافرتَ للشام ، واذ بلغا
بُصرى تراجع خوف البؤس والنقم
ومع زبير كذا سافرت لليمن
بعادة لقريش بين ذي الأمم

ما افتتحت عين دنياكم لمكرمة
بكسب عيش شريف يأتي بالنعم
وعشت في علية القوم بمفخرة
وكنت مختارهم في كل مزدحم
في سبق عقل وصدق القول والعمل
والحلم والصبر عن كره وعن ألم
ومن أماتتكم في القوم قاطبة
صار الأمين كأسم لك من علم .

وقولي : (وأول السعد الى آخر الأبيات) بيانه : أنه وإن كان التفؤل من أسماء داياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ببشارات وإشارات الى سعده وسعوده ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصعوده في مدارج الكرامة ، لكنه لما اختاره الله من خلقه شرّفه قبل النبوة بإرهاصات وأمور خارقة كانت تبشر بعلو مقامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأول السعد هو أنه عندما كان عند حليمة السعدية ، وتجاوز عن وقت الرضاعة أرسل الله تعالى إليه الملك ، فشق صدره الشريف ، وطرح منه موجبات الأذى وملأه من الحكمة كما ذكرنا . ويأتيه سعدات أخرى كما نذكرها إن شاء الله تعالى .

ولما أرجعته حليمة الى أمه وجده خوفاً عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقي عند أمه الى السنة السادسة من عمره ، فسافرت أمه الى زيارة إخوتها في المدينة المنورة ، ومعها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولما رجعت الى مكة ووصلت (الأبواء) تمرضت ، وتوفيت الى رحمة الله ، ورجعت به حاضنته أم أيمن الى جده في مكة المكرمة ، ولما تمرض مرض الوفاة وصى ابنه أبا طالب بالتزامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فالتزمه وخدمه وأكرمه ، وكانت زوجته كخادمة له ــ صلى الله عليه وسلم ــ تخدمه خدمة الأم الحنون لولدها ، ولذلك دعا لها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد وفاتها ،

ودخل في قبرها ، وتمدد في لحدها ثم خرج وقال : (اللهم بحقي وحق النبيين قبلي إلا غفـرت لفاطمة امـــي) • يريد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمه في الإكرام والرعاية لا في الحضانة والرضاعة • ولما وصل عمره نحو اثنتي عشرة سنة أخذه عمه أبو طالب في سفر قريش الى الشام ، وكان أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ في القافلة • ويذكر في الأنوار المحمدية: أنها لما وصلت مدينة بصرى ذهب أبو طالب وأبو بكر وجماعة الى محل رأوا فيه بحيرا الراهب ؛ فسألهم عن أساميهم ومواطنهم ثم سألهم : هل معكم ولد كذا وكذا ؟ قالوا : نعم • فقال : إني رأيت غمامة محاذي رأسه تظلله ، وهو المنعوت في كتابنا ، والمبشر برسالته في الوقت المحدد ، وأخاف عليه من اضرار يهود به • فلما سمع أبو طالب ذلك قطع سفره ورجع به ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ الى مكة المكرمة • وفي عمر نحو ثماني عشرة سنة سافر مع عمه الزبير الى اليمن لتجارة معتادة لقريش ، ورأى البلاد ، وفتح عينيه لامـــور المكاسب المعتادة ورجعا الى مكة بسلامة •

السعد الثاني

وسعدك الثاني قد وافاك من أدب
خديجة بنت آباء ذوي كرم

صاهرت على علو من النسب
غال عن النصب والغدر والنقم

القى بها عمكم في عزة كلما
بليغة بلغت اعلى رقى الكلم

فصرت في راحة من عين عصمتها
كالطير في روضة ملأى من النعم

فأنجبت لك نسلا جاها شرفا
من والدين على اعلى من القيم

قاسم ، زينب ، عبد الله ، فاطمة
رقية ، ام كلثوم ، على نِعَم

ولما تبصر في أمور المعايش والمكاسب ، ورأى خديجة بنت خويلد الاسدي امرأة صالحة الأخلاق ، حسنة السيرة ، ولها ثروة لا بأس بها ، وهي ترغب في التجارة منها مقدارا من مالها يتاجر به ويؤتيها حصتها من الأرباح ، ومعه في اسفاره غلامها ميسرة ، وكان في معاملته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارباح مناسبة .. رغبت في التزوج به ، حيث أنه شاب شريف ومن سلالة شريفة ، بل أشرف من غيرها ، وعرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الامر على عمه ابي طالب فرضي بذلك ، وخطبها له وقد ألقى في خطبتها خطبة ذكر

فيها شرف قريش وشرف بني هاشم ، وشرافة الحبيب ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكرامته ونزاهته ، وتم الأمر ، فعقد عليها ، فتحول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الانفراد والوحدة الى الاجتماع وإدارة العائلةالمحترمة • وفي كل وقت يزداد له ما يزيد على قدره ومقــداره الذاتي أصولاً وافعالاً حسنــة تميز بها في المجتمع ، فصار فرداً قريباً بينهم ، أما نسباً فمن النسب العالي ، وأما حسباً فمن اهل الحسب المتعالي ، وأما حالاً ومالاً فكان إنساناً معتدلاً بارزاً ممتازاً ، وكان يلقب بالأمين لأمانته ونزاهته ومنفعته للمجتمع كما يقال •

(وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد) • وقد أنجبت خديجة بنين وبنات أهل الكرم والمكرمات وحسن نبات الأرض من كرم البذر : زينب ، وفاطمة ، ورقية ، وأم كلثوم ، وعبدالله ، وقاسم • وقد توفيا في مكة المكرمة ، وبقيت البنات الى ما بعد الهجرة وتوفين في المدينة المنورة ، زادها الله شرفاً وزادهن رحمة ورضوانا •

والحاصــل ان ايام عمــره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعــد ان تزوج بنت خويلد الاسدي مضت عليه براحة نفسية ورحمة قدسية • وذلك لعفتها وأمانتها وشعورها الجميل مع الرسول الجليل ، لا تريد إلا ما يريده ولا تعارض إرادته وعنايته فعاشا معــاً ، وعاشت العائلة بدون غائلة عيشة مرضية هنيئة مباركة •

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقوم بما يقوم به الرجال في كافــة الاحوال ، وهو مستمر في تخلقــه بالأخلاق العالية بين الأمثال والأقران ، ويتحمل ما يتحمله الإنسان الكامل من الصدق والصبر والامانة ، فاشتهر بالأمانة ، ولقب بالأمين عندهم ، وعند الناس اجمعين •

السعد الثالث

وسعدك الثالث التفكير في خالق
لذلك العالمِ الآتي من العدم
وعندما اقتربت أيام موهبة
قد زادك الله نورَ العِلمِ والحِكم
حتى تأملت في الدنيا بكاملها
في البر والبحر والأنوار والظلم
في خلق الأفلاك في علو بلا عمد
في الشمس في القمر العالي وفي النجم
ومن محرك تلك الكائنات كذا
على المحامد دون الوقف والسئم
ويضبُط السير فيها حسب منهجها
على الدوام على المنهاج كالخدم
وهل يحركها مالا شعور له ؟
او عالم قادر ذو القدر والقيم
والناس في سجدة العجلان خائرة
والذئب يأكلها في الحل والحرم
والبعض في سجدة النيران موقدة
والنار قد تنطفيء برشقة الديم
والعرب في سجدة الأوثان واقفة
بلا شعورٍ ولا علمٍ ولا حكم

وكيـف تعبـد عجـلاً أنـت تذبحـه ؟
وقـد تخـور مـن الجـوع ومـن ألـم ؟
وكيـف تعبـد ناراً انـت تشعلهـا ؟
وتنطفـيء بقـوى الامطـار مـن ديم ؟
وكيـف تعبـد اصنامـاً مجمّـدة ؟
أجزاؤهـا تخضـع الانسـان بالقدم
ما ذلـك البشـر الحيـران دون هـدى
ودون فكرتـه فـي سيـرة الامـم
ضلـت طريـق الهـدى للخالـق الأزلـي
الواحـد الفرد ذو القـدر وذو القيـم
وكيـف يقبـل عقـل المـرء ذا رشـد
أن ينسـب الخلـق للمعـروض للعـدم
أو للمـواد التـي تفنـى بعارضـة
مثـل العجاجيـل والأوثـان والصنـم
وإنمـا الخلـق والايجـاد والأثـر
لواجـبٍ موجـدٍ للشـيء مـن عَـدَم
وقـد ترقيـت فـي الافكـار صاعـدة
الى اليقـين بـذات اللـه ذي الحكـم
والخلـق لا يصلـح إلا بالنظـام علـى
وجـه متيـن وفـاق الرشـد والرسـم
لا يصلـح النـاس إلا بالسلـوك علـى
تقـوى مـن اللـه فـي سـر وفي كتـم
بالعقـل بالعلـم بالأخـلاق بالعمـل
مـن خالـص القلـب دون الشـك والوهـم

فأشـــرق النـــور واستحليـــت غـــار حـــرا
في كـــل عـــــام بشهـــر عشـــت بالحكـــم
ودُمـــت فـــي فكـــرك المبـروك ناتجُهُ
أن جـــاءك الوحـــي من مولاك ذي القـــدم

قولي : (وعندما اقتربت أيام موهبة الى آخر الأبيات) بيان هذا المقام هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الارض بحكمته ، وأودع في الانسان القوة النطقية والقوة الشهوية للجذب والدفع ، ولما كان الانسان مدنيا لا يعيش وحده ويختلط بالاضطرار بأمثاله من بني الإنسان ، وفي كل فرد القوة النطقية الإدراكية والقوة الشهوية ، ويحصل بينهم التنافس والتعارض في الجذب والدفع .. زود بني الإنسان برجالٍ أخيار أولي كرامة ورشد كامل وأوحى إليهم الكتاب كنظام جامع لسعادة الجميع في الدارين . وبما أن الإنسان ــ في الأغلب ــ يحتوي أخلاقاً فاسدة لا ينصاع الى الحق ، وقد وقع منذ فجر الخليقــة تصادم وتعارض بين الشريعة والأهواء ، أي بين الهدى والهوى ، وبعبارة أخرى بين الحق والضلال ، والمجتمع الإنسانــي وإن لم يخل عن رسل الله تعالى لقوله الكريم (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقوله (وكذلك أرسلنا رسلنا تترى) ــ لكنه قد وقعت فترات في الزمـــان صارت الغلبة لأهل الاهواء ، وأمحوا شعار الرسل الكرام مـــن توحيد رب العالمين وبدلوه بعبادة الحيوانات كالعجاجيل والأوثان والأصنام . ألا ترى أن سيدنا إبراهيم ــ عليه وعلى سيدنا الصلاة والسلام ــ بعد قبول أنواع الأذى والاتعاب ، والإلقاء في النار والتهجير الى الديار ، وفقه الله تعالى على نشر دين التوحيد في ربوع جزيرة العرب ، وبنى كعبة الله تعالى ، وأذّن بأمـــر الله تعالى في الناس للحج ، وجعله شعار المسلمين الموحدين وبقي دينه بسلامـــة في زمن ابنه إسماعيل وأولاده مدة ألف سنة . وبعد ذلك أخذ في الانحطاط والاختلاط بالأهـــواء والأباطيل ، ومرت ايام حتى أخذ عمرو بن لحي الخزاعي الفرصة وأتى بالصنم من الشام الى بيت كعبـــة الشريفة ، وأخذوا في دعايات فارغة حتى نشروا عبادة الأصنام في جزيرة العرب . ويقول في شأنه حضرة

الرسول محمد : ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما رواه صاحب صحيح البخاري (رأيت عمرو بن لحى يجر أمعاءه في النار ٠٠)

وعلى اتباع الأهواء اتخذ الأقباط العجل إلها وعبدوه طيلة قرون ، وجعلت أمة العجم ومن والاها النار معبودة لهم وعبدوها ٠

وكما أن الله تعالى لما أراد نشر التوحيد في العالم حرك قلب عبده الجليل إبراهيم الخليل كما يفيده قوله الكريم (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) ٠ كذلك حرك قلب عبده المختار الممجد سيدنا محمد للتفكر في الدنيا جميعها علويها وسفليها ، وأخذ يتفكر ويتصور العالم واحتياجه الى نظام حق عادل معتدل في إدارة رب حي عليم قدير واجب الوجود متصف بالكمال ومنزه عن النقص ٠ فجعل يترقى في مستويات أفكاره السائحة الصالحة ، حتى أيقن أن جميع ما عليه العباد في عصره من الإشراك وعبادة غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، كله هواء باطل عاطل وأن الحق هو اللجوء الى الله تعالى وحده لا شريك له فقرر لتصفية أفكاره ان يختلي شهراً من كل سنة للابتعاد عن الناس ورعاية فراغ الروح والتفكر في الباري تعالى ، حتى ان وصل الى أمنيته بنزول أمين الوحي الجليل جبرائيل ــ عليه السلام ــ عليه وهذا هو سعده الرابع في حياته ٠

وقد قسم العلماء الزمان الذي وقع بين وفاة سيدنا إسماعيل وبعث سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى أقسام ثلاثة :

فالقسم الأول منها كانت احكام الدين فيه دائرة مشهورة معروفة بين الناس ، ويعتبر الناس المنكرون للدين فيه كافرين بلا شبهة ٠

والقسم الثاني منها : كان الدين فيه في ضعف واندراس فمن بلغته الدعوة الدينية كان من المكلفين ، والمخالف فيه أعتبر كافراً والموافق المعترف به كان مؤمنا ٠

وأما القسم الثالث : فكان زمان الفترة واندراس الوحي ، لأنه لم يبق الناس على بصيرة في الدين ، ولم يبق مبلغ قوى العلم والإرشاد ، فلم يعتبر

المخالف للدين فيه كافراً ، لأن الناس البسطاء الذين لم يكن لهم راع وداع وساع في تربيتهم يبقون غافلين جاهلين بالقواعد والأحكام ، والغافل لا يكلف فأهل هذا القسم الثالث لا يعتبرون مكلفين بأحكام الدين • حتى يعتبر المخالف له كافراً ، والدليل على ذلك آيات كثيرة من القرآن الكريم منها : قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) ومنها قوله تعالى : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ومنها قوله تعالى : (وكذلك أرسلناك على فترة من الرسل) ومنها قوله تعالى : (لتنذر قوماً ما أُنذِر آباؤهم فهم غافلون) • وعليه يعتبر الناس الواقعون قرب بعث الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من اهل الفترة وانقطاع الوحي فلم يبقوا مكلفين ولا يحكم بكفرهم ولا بكونهم من أهل العذاب ، فما قيل أو يقال في الحكم عليهم بالكفر غير صحيح • وما يروى من الأحاديث التي تدل على خلاف ذلك لا حجة فيها لرجحان النصوص القرآنية الدالة على خلاف ذلك فآباؤه الأقربون من بعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ آمنون من العذاب مثل باقي أهل الفترة ، ممن لم تبلغهم الدعوة ، وبالخاصة والداه ــ صلى الله عليه وسلم ــ علاوة على أنهما ماتا في الشباب ولم يسافرا الى سائر الأماكن والبلاد حتى يتصلا بأهل العلم ، ويسمعا دعوة دين سيدنا إسماعيل على تقدير بقائه هناك •

وهناك حجة اخرى على أنهما من أهل الجنة والرحمة ما روي من أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ دعا الله تعالى لإحيائهما للإيمان به ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأحياهما وآمنا به • وهذه القضية لتشريف الرسول بتشريف أبويه وفوزهما بالجنة الناشيء عن الإيمان ، وليست قضية تكليفية لأنهما ماتا في عهد الفترة ، وانقطاع الوحي ولم يكونا من المكلفين فخذوا هذه المسألة واطمأنوا بها قلبا •

وذلك شأن كل أمة لم تبلغه الدعوة الدينية كأهل الجزر في البحار والوديان وقمم الجبال في الديار البعيدة عن المعمورة لا سيما في زمان لم تكن فيه المواصلات •

السعد الرابع له

والوحيُ رابعُ سعدٍ طالع كرماً
تاجُ الرسالة فوق الرأس كالعلم
منه انبثاق لنور القلب متسعا
ومنه شرح لصدر واسع الرّقم
أحسنِ بتاج من الغيب القديس أتى
من مالك الملك منشيء الخلق من عدم
وحامل الوحي جبريل الأمين على
تنزيله دون تغيير على رقم
آتاه ربّه بالإلقاء دون جفا
تعليم آدم للاسماء والكلم
من سورة العلق كالنور للفلق
للعقل والعلم والتعليم بالقلم
فصرت حقاً رسول الله للأمم
ورحمة لعباد الله كلهم
وبعد أخذِه تاج العز والشرف
قد عاد للبيت مع شيء من السأم
فأخبر الزوجة العصماء حالته
فاستحمدت ربها بالفضل والكرم
وبشرته بعليا رتبة سمحت
له، على ما جرى في اللوح والقلم

وذهبت بـه نحو ابن عم لها
ورقة ، عارفا بالرسل والامم
لما حكى حاله بشر أن جاءه
مأمور وحي من الرحمن ذي الكرم
جبريل من جاء بالإنجيل وحي هدى
لابن مريم عيسى صاحب الهمم
وبعد ذا وقف الوحي الى مدة
عن الرسول وبعد عاد بالكرم

وقولي : (والوحي رابع سعد ..) بيان المقام : أنه لما بلغ عمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ورسولاً الى كافة الخلق ، وكان ذلك يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان . روى البخاري في التعبير حديث عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ـ أول ما بدي به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى اهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

فجاءه الملك فقال : اقرأ : قال : ما انا بقارىء . قال : فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال : اقرأ ! قلت: ما أنا بقاريء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ! فقلت : ما أنا بقاريء . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) . فرجع بها ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني! زملوني ! فزملوه حتى ذهب منه الروع ، فقال : يا خديجة مالي ؟ وأخبرها الخبر . وقال : قد خشيت على نفسي . فقالت له : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل

الرحِمَ ، وتصدُقُ الحديث وتحمل الكَلّ ، وتَقري الضيفَ ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ، ابن عبد العزّى ، ابن قصي ، وهو ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية • فقالت له خديجة اي ابن عمي اسمع من ابن أخيك • فأخبره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، ياليتني فيها جذعا ، يا ليتني كنت حيا حين يخرجك قومك • فقال رسول الله : أو مُخرجيّ هم ؟ فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قطّ بما جئت به إلا عودي • ثم لم ينشب ورقة أن توفى • وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (في ما بلغنا) حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال ، فيتمثل له جبريل ويقول له : يا محمد إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك قلبه •

فراح نَحوَ حِراء حَسبَ عادَتِه
وعندما عاد للأهل وللحرم
رأى الرسول على الجوِّ بهيئته
بهيبة أدهشت ناسا أولي همم
فصار في قلبه رعب وإذ وصل
للبيت دثره الخدام بالحشم
فنزلت سورة المدثر بصَفا
آمرةً سعيه في النصح للأمم
فراح يدعو الأنام نحو طاعته
مبشراً منذراً لصاحبي الهمم
فآمن الناس من صنفي خليقته
بربهم دون ما بؤس ولا نقم
خديجة من نساء البيت آمِنةً
أسماء بنت أبي بكر على شمم

فاطمة بنت خطاب أبي عمرا
وزوجة العم عباس على همم
ومن صغارٍ كبير القدر سيدنا
علي الحيدر الصمصام ذو علم
منهم أبو بكر الصديق صاحبه
عثمان أهل الحيا والجود والكرم
سعدٌ سعيدٌ ابن زيد وأبو سلمة
وعبد الرحمن ابن العوف ذو همم
أبو عبيدة أهل الزهد والشرف
وطلحة وزبير من اولي القدم
وابن مظعون عثمان مُراضِعُه
مَع أخوين له في ذروة القمم
وغيرهم من أناس أهل ميمنة
من سابقين إلى الإحسان والكرم
وكنت تدعو أولي العرفان نحو هدى
ودين توحيد رب الخلق كلهم

قولي : (فراح نحو حراء .. إلى آخره) . بيانه : انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد لقاء جبريل في المرة الأولى ورجوعه من الغار الى الدار وعرض حاله على خديجة ثم على ورقة بن نوفل .. توقف عنه الوحي مدة فصار متأثراً جداً ، حتى في بعض الأوقات يريد أن يذهب الى شاهق ويلقي نفسه لكنه عند ذلك ينادى غياباً : يا محمد إنك لرسول الله حقا . فتهدأ حالته ، وبعد مدة رجع الى غار حراء حسب عادته السابقة ، وبقي شهرا يتحنث فيه ، وبعد ذلك رجع الى داره كالمعتاد ، وبينما هو في الطريق نودي من أطرافه ، ولما

التفت يمنة أو يسرة لم ير شيئاً فنظر الى السماء فرأى شيئاً مدهشاً فلم يسكن قلبه عند رؤيته وأخذه الرعب واستمر في الرجوع حتى وصل داره • فقال : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى زال عنه الرّوع ونزلت عليه (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فأصبر) فقام من الدثار ، وأخذ في التبليغ والبشارة وأول من آمن به من النساء زوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن الصغار علي ابن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وعمره عشر سنين ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال ، ثم أسلم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوّام وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبي وقاص ، وطلحة بن عبدالله بدعاء أبي بكر الصديق ، فجاء بهم الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين استجابوا له فأسلموا ، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبيدالله بن الجراح ، وأبو سلمة بعد تسعة انفس ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وعثمان بن مظعون الجمحيّ ، وأخواه قدامة وعبدُ الله • وعبَيدةُ بن الحارث بن عبد المطلب ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب •

وأول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس ، واسماء بنت أبي بكر ، ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء واستمر ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدعوة مستخفيا مدة ثلاث سنين من النبوة كما في المواهب اللدنية ، حتى دخل في السنة الرابعة فنزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فجهر ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة ومعارضة المشركين ، فأجمعوا على خلافه إلا من عصمه الله بالإسلام ، وحدَبَ عليه عمه أبو طالب وقام دونه ، واشتد الامر وتضارب القوم وتآمرت قريش على من أسلم منهم ، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب ، وببني هاشم غير أبي لهب وببني مطلب • وعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ : اول من اظهر الاسلام سبعة ، رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر وعمّار ، وأمّه سُمَيّةُ ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد • فأما رسول الله

ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون يعذبونهم ، فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، وأن بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل ، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد ، احد ، ثم أذن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه في الهجرة الى الحبشة ، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة ، فهاجر إليها ناس ذووا سعة وعدد • منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه ، وكانوا أحد عشر رجلا واربع نسوة ، وأميرهم عثمان بن مظعون • وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبطأ عليه خبرهما فقدمت امرأة فقالت : رأيتهما وقد حمل عثمان أمراته على حمار • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط) • فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم • أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي ، وأسمه أصحَمَة • وكان معهما عمارة بن الوليد ليردّوهم الى قومهم • فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما • وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة ــ رضي الله عنهما ــ وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد هجرة حبشة بسنة ، بثلاثة أيام بعد إسلام حمزة ، فيما قاله أبو نعيم بدعوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ أللهمّ أعِزّ الاسلام بعمر ابن هشام أو بعمر بن الخطاب ، وكان المسلمون آنذاك بضعة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة •

قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : لما أسلم عمر قال جبريل للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (استبشر أهل السماء بإسلام عمر) • ولما رأت قريش عزة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بإسلام عمر وعزة أصحابه بالحبشة وانتشار الاسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبلغ ذلك أبا طالب ، فجمع بني هاشم وبني المطلب ، فأدخلوا رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله ، وأجابه حتى كفارهم . فعلوا ذلك حمّية . فلما رأت قريش ذلــك اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه علــى بني هاشم علــى : أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للقتل . وكتبوه فــي صحيفة بخط بغيض بن عامرٍ فشُلَّت يَدهُ . وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة . فانحاز بنو هاشم وبنو مطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه ، إلا أبا لهب فكانوا مع قريش ، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جُهِدوا ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سِرا .

وروى البخاري في صحيحه أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قرأ سورة النجم وسجد وسجد معه المسلمون والمشركون . ولما ســمع بذلك من في الحبشة من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قدِم نفر منهم لظنهم أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد أمِنَ المسلمون بمكة . فأقبلوا سِراعاً من الحبشة .

ثم هاجر المسلمون الهجرة الثانية الى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً وثماني عشرة امرأة ، وكان معهم عُبَيْدُ اللهِ بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فتنصّر هناك ، ومات على دين النصرانية . وتزوج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أم حبيبة بنت أبي سفيان ، سنة سبــع من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة . ثم قام رجال في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أنّ الأرضة أكلَت جميع ما فيها من القطيعة والظلم ، فلم تَدَع إلا أسماء الله تعالى فقــط . فَلَمّا أنزِلَت لِتمزّقَ وجدت كما قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وذلك في السنة العاشرة التي اتت عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد النبوة .

تدعــو لتوحيــد رب العالمــين ، كمــا
لتــرك الإعــزاز والاقبــال للصّنــم

وكنت تدعو إلى الإدراك للشرف
للعقل، للعلم، للإعلاء بالهمم

وكنت تنشر فوحات العطور على
أدمغة الناس في الحل وفي الحرم

وكنت ترجم بالآيات كالشهب
فوج الشياطين ممن يأتي للحرم

فثارت ثائرة الكفار عن حسد
وحقد نفس لسوء الفعل والكلم

وعذبوا أهل دين الحق من قدروا
بكل ماليس يرجى من أولي الذمم

بالهتك والفتك والتعذيب دون حيا
ولا رعاية رحم فيه أو رحِم

كضرب عمار، أو قتل السمية من
أمر أبي جهل المشهور بالحكم

ومثل تحقير بلال دون داعية
سوى أحَد أحد في موطن الحرم

حتى تعدوا على شخص الرسول بما
يخالف العرف والآداب في الأمم

وكل ذلك للإشراك بالصنم
وللضلال الذي قد شاع في الحرم

من شر إشراك عمرو بن لحي من أتى
بالصنم من بلاد الشام بالشؤم

وبعد وضعه في البيت الحرام جرى
بالجهل والكفر والإشراك بالصنم

فاستصــوب السيد العالـي بأمـره فـي
هجـرة مـن أسلمـوا لخارج الحـرم
فهاجـر المسلمـون نحـو أرض حبـش
مخافــة الظلـم والتعذيـب والألـم
وبينهـم ابـن عفـان تصاحبـه
رُقيـة بنـت مولـى كـل ذي كـرم
قـد استقـروا ونـال النـاس نائلهـم
مـن فضـل أصحمـة الموصـوف بالهمم
وأوفـد المشركـون نحـوه سُفرا
لرجعـة القـوم للإشـراك بالصنـم
وردهـم خائبيـن صاحـب الشـرف
وأكـرم المسلميـن مـن هـدي الكرم
وقـد عـلا نـور توحيـد الإلـه الـى
عـلا السمـاوات نحـو اللـوح والقلـم
وأنـت في رَوح روح القـدس لا تبالـي بهم
لا بأبـي لهـب ، ولا أبـي الحكـم
هـذاك يصلـى لهيب النـار وامرأتـه ،
وذاك يقتـل في بـدر علـى النقـم
واشتـد غضبـة أهـل الشـرك وائتمـروا
لقتلـه فحمـاه العـم بالهمـم
بقومـه مـن بنـي هاشـم ومطلـب
سـوى أبـي لهـب الملهـوف بالنقـم
أتـى بـه ثـم آواه بشعبـه إذ
كانـوا حمـاة لـه بالعهـد والذمـم

فكتب المشركون رقعة بهوى
حصار من نزلوا بالشعب كلهم
سعاتها سبعة نالوا عقابهم
شلت يد الكاتب المشئوم بالسقم
وكم رأوا خارقات منه معجبة
وكم راوا بارقات منه منتظم
كسجدة الشجر تأييد رُتبته
والشق للقمر أعجب ندا العلم
لاسيما بارق القرآن إذ نزلا
بنور الإرشاد والايقاظ للهمم
ونشر الأحكام علما كانت او عملا
وعبرة الناس بالإهلاك للامم
ونصر توحيد رب العالمين به
بما أفاد من البرهان بالحكم
ومدح أعمال قوم قد مضوا قدما
في نصرة الحق والأخلاق والقيم
وذكر الإيمان بالله وبالملك
والكتب والرسل أهل الفضل والكرم
وبالقضاء من الله وبالقدر
واليوم الآخر بعد البعث للأمم
وبحث نار جحيم ذات ملهبة
وذكر فوز نعيم الخلد والنعم
والوعد باللذة العظمى لأهل هدى
مع الوعيد لأهل الكفر بالسقم

وبحث أوضاع هذا الكون مشتملا
على نظام دقيق جامع الحِكم
وفعل ما ناسب الإنسان من خُلق
وفعل ما زانه كالوصل للرحم
فآمن السعداء أهل منقبة
وزاد للأشقياء الخوض في الظلم
حتى تمزق رق الهجر اذ أكلت
ديدان سوس سوى اسم الله ذي الكرم
وقد سعت عصبة في عود من أُحصروا
فعاد كل الى ماوى الهدى الحرم
فلنرجعن نحو أهل الهجرة الكرما
الساكنين ديار الغرب بالألم
قد سمعوا أن أهل الشرك قد سجدوا
مع الرسول لذي السجود في الحرم
ظنوا أمانا وإيمانا ومكرمة
لذلك قد رجعوا لموطن الكرم
لكنهم إذ أتوا قد أيقنوا أنهم
باقون في حالهم من شدة النقم
فرجعوا ثانيا بالغم والأسف
من حال أصحاب سوء الفكر والسقم
بقوا هناك الى سير الرسول إلى
مدينة طيبة بالعز والشمم
وقد بقى حضرة المولى على خلق
أعلى بمكة بالعلو وبالشمم

لكـن تـرى عـادت الهيفـا لديدنهـا
صـاروا أشـدّ مـن الماضي علـى نقـم
والمسلمـون بصبـر حـول حضرتـه
كأنجـم جاليـات فـي عُـلا الهمـم
سبحـان مـن خلـق الأشخـاص تختلـف
في الخلـق والخلـق والأعمـال والذمـم
والكافـرون كأنعـام بـلا نظـر
إلـى خـوارق تبـدو في دجـى الظلـم
وبينمـا هـو في أيـام دعوتـه
قـد فاجأتـه وفاتان مـع الألـم :
وفـاة عـم عزيـز كامـل شرفـا
في الـذود عـن نفـس عيـن العـز والكرم ،
وفـوت عائلـة فـي الخيـر عاملـة
مـن أهـل نائلـةٍ للجـود بالنعـم
فصـار عامـك عـام الحـزن والكمـد
اللـه يحفظكـم مـن صدمـة الألـم
وزاد فـي الحـزن طغيـان الأراجفـة
بكـل ما عندهـم مـن موجـب النقـم
وعنـد ذلـك سافرتـم لنشـر هـدى
للطائـف العاكـف في موجـة النهـم
بقيـت شهـراً لديهـم ما أجـاب أحـد
ولا رأى وجهكـم بالبشـر والبسـم
آذوك آذوك حتـى صـرت منتخبـا
مـن بيـن أهـل الأذى بالصبـر والحشـم

رجعت بالهم لكن زاد رَوحك في
أنوار حق أتت للروح بالكرم
وفي طريقك قد وافاك خادم من
له بكم صلبةفي القرب والرحم
عداس جاءك بالأعناب من طرف
أولئك الأقرباء البعد عن رَحم
بسملت لما بدأت بالتناول من
فاكهة وصلت من مخزن الكرم
فاستسلم الخادم الجائي إليكَ بما
سمع منك من الألفاظ والكلم
صَرَف نحوك من جن نصيبين في
طريقكم نفراً بالحق والحكم
وبعدما استمعوا لقومهم رجعوا
وبالهدى نفعوا بهذه الكلم
وصلت أم القرى استجرت بين الورى
بمُطعم بن عدي صاحب الكرم
أتاك عهدا على عونك في ما انجلا
من كل كارثةٍ تأتي من الامم
بقيت معتمداً في نشر دين الهدى
ولو بدا ما بدا من طالبي النقم

قولي : (وكم رأوا خارقات الى آخر الأبيات) إعلام بما وقع منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الخوارق والفضائل الأخلاقية ، والصبر ، والصدق في دعوته لا سيما بعد وفاة عمه أبي طالب في العام العاشر من النبوة ، ووفاة زوجته الكريمة خديجة بنت خويلد الأسدي ، بعد وفاة عمه بثلاثة أيام كما

تنقل ، وتشديد المشركين عليه وعلى أتباعه قبل ذلك في أوائل الهجرة الأولى منهم الى الحبشة ومدتها ، وعند رجوعهم الى مكة وتكرار الهجرة إليها خوفاً من إيذاء الكافرين ، برغم ما ظهر من البوارق الدالة على صدقه في دعوى رسالته ؛ فمنها كلام الشجر معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ففي الأنوار المحمدية : روى الحاكم عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : كنا مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أين تريد ؟

قال : الى أهلي . قال : هل لك الى خير ؟ قال : ماهو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبدُه ورسوله . قال : هل لك من شاهد على ما تقول ؟ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : هذه الشجرة ، فدعاها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهي بشاطيء الوادي، فأقبلت تَخُدّ الارض (تشقها) ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهدت ، ثم رجعت الى منبتها ! رواه الحاكم وغيره .

ومنها انشقاق القمر بإشارته ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليه .

قال العلامة في شرحه لمختصر ابن الحاجب : والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن ومروي في الصحيحين وغيرهما . وله طرق شتى بحيث لا يمترى في تواتره (إنتهى) .

وفي الترمذي من حديث ابن عمر ــ رضي الله تعالى عنهما ــ في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) . قال : قد كان ذلك في عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اشهدوا . وعند الإمام أحمد من حديث جُبير بن مطعم ، قال: انشق القمر على عهد رسول الله فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا سَحَرنا محمد" . فقالوا : ان كان سَحَرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس . قال ابن عبد البر ، وقد روى

هذا الحديث (اي حديث انشقاق القمر) جمع كثير من الصحابة وروى ذالك عنهم أمثالهم من التابعين •

وقد روى من طرق كثيرة أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ انشق القمر على عهده ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ونص الباري موجود ، وهو : (إقتربت الساعة وانشق القمر) • ويريد وروده في عهده ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقوله تعالى : (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) • ولو كان للمشركين تدبر في القرآن الكريم ، وفي وعده ووعيده ، وبيان توحيده وإخباره عن الماضي ، قريبه وبعيده ، وبيان الأمور الغريبة التي لم يعلمها أحد ، ومغايرة أسلوب القرآن الكريم لأسلوب العرب ، لآمنوا بلا توقف بأن سيدنا محمدا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأن هذا القرآن كلام الله تعالى • ولا مجال لإنسان لم يقرأ ولم يدرس ولم يمارس أهل العلم أن يأتي بهذا الكلام ، ولكن الله يختص برحمته من يشاء •

ورسالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الخلق ، ودعوته لهم الى التوحيد ، وصدقه في دعواه الرسالة أظهر من الشمس ، ولا يحتاج الى إظهار للمعجزة لمن ينظر بالشعور السليم الى أخلاقه العظيمة الكريمة ، وصبره على ما ابتلي به من المشركين ، لاسيما بعد وفاة عمه أبي طالب وفوت عائلته الشريفة ، المؤمنة ، الآمنة ، الخادمة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فطوبى لمن ينظر الى هذه الامور بدقة وإنصاف •

ولما أتت عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما ، كما ذكره صاحب الأنوار المحمدية ، مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة في السنة العاشرة من نبوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقبل هجرته بثلاث سنين ، ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة أم المؤمنين ــ رضي الله تعالى عنها ــ وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسمي ذلك العام عام الحزن ، وكانت مدة إقامتها معه صلى الله عليه وسلم

خمسا وعشرين سنة على الصحيح • وبعد أيام من وفاة خديجة ــ رضي الله تعالى عنها ــ تزوج ــ صلى الله عليه وسلم ــ بسَوْدةَ بنت زمعة ــ رضي الله عنها ــ ، ثم خرج الى الطائف لما ناله مِن أذى قريش ، وكان معه زيد بن حارثة فأقام بهشهرا ، يدعو أشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه . وآذوه ، ولما انصرف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الطائف مرّ في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة ، وهما في حائط لهما ، فلما رأياه تحركت له رحمهما • فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب • فلما وضعه بين يديه ووضع ــ صلى الله عليه وسلم ــ يده في القطف • قال : بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس الى وجهه ثم قال : والله إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلدة • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ • قال : نصراني من أهل نينوى • قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متي ؟ فقال : وما يدريك ؟ قال : ذاك أخي ، وهو نبي مثلي • فأكَبّ عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلَمَ • ولما نزل نخلة (وهو موضع على ليلة من مكــة) صرف إليه سبعة من جن نصيبين • وكــان ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد قام في جوف الليل صلى ، فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجــن والذي آذنه بهم شجرة • وفي طريقه هذه دعا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالدعاء المشهور ، (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقِلة حيلتي ، وهواني علــى الناس يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، وأنت رب المستضعفين ، الى من تكلني ؟ الى عدو بعيد يتجهّمني ، أم الى صديق قريب ملّكته امري ؟ إن لم تكن غضبانا علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات ، وأشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحلّ بي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله) •

ثم دخل ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة في جوار المطعم بن عديّ ، وبقي في دعوته الناس الى الله تعالى وتوحيده •

السعد الخامس

لجبر ما جاء من بلوى ومن محن
من ثلة الكفر والإشراك والنقم
سلاه مولاه إذ والاه بالكرم
بموهب الرتبة العظمى لدى الأمم
رتبة الاسراء والمعراج والشرف
من الخطاب خطاب الحق بالحكم
من اللقاء وتقديم التحية في
حضور مولاه دون كيفه وكم
فجاءه الملك جبريل بالأدب
يدعو الرسول لإسراء بلا ألم
على براق كبرق النور مسرعة
في طي أرض بلا تعب ولا ألم
سبحان من خالق اسرى به كرما
في طرفة العين من حرم إلى حرم
من كعبة الله نحو المسجد العطر
لوصف الأقصى يراعى عند ذي الهمم
واستقبلته النبيون بمكرمة
فصار في المسجد الاقصى من الحرم
صلى بهم فيه تشريفا طواعية
كخاصة فيه للرحمن ذي الكرم

واستقبلـــوه بأجســـام منـــورة
هـــي المثاليـــة العليـــا علـــى قمـــم

كمـــا تمثـــل جبريـــل الأميـــن إذا
جـــاء لوحـــي بشكـــل دحيـــة الشَهـــم

والملكيـــن لـــدى داود إذ صعـــدا
محرابـــه لخصـــام كـــان ذا حكـــم

وشخـــص موســـى وعيســـى عنـد سيدنـا
بصـــورة الشـــاب مـــن أزد علـــى قيـــم

رآهمـــا إذ أتـــى حـــج الـــوداع علـــى
لبيـــك لبيـــك للرحمـــن ذي النعـــم

فالرســـل والأنبيـــاء وكـــذا الأوليـاء
أجسامهـــم ذات تمثـــال مـــع الهمـــم

وهـــذه الصـــورة العليـــا لهم شـــرف
لأهـــل قـــدر أتـــى بالفضـــل والكـــرم

والـــروح في بـــرزخ لـــه التشكـــل فـــي
مثـــال ما ناسبـــت للقـــدر والقيـــم

وبعـــد ذا صعـــد الرســـول ذو الاصطفـا
علـــى البـــراق الى ما فـــوق كـــل سمـــى

وقـــد رأى ما رأى عنـــد العـــروج إلـــى
فـــوق السمـــاوات مـــن قـــدر ومـــن كـــرم

في ســـدرة المنتهـــى مقـــام أهـــل البهـــا
والبيـــت ذي الوصـــف بالمعمور مـــن كـــرم

وبعدمـــا أنتهـــى العـــروج للمنتهـــى
وقـــف جبريـــل وقـــف العاجـــز السئـــم

فقال له : لمو دنوت قدر أنملة
قد احترقت فلا ميدان للقدم

ومن هنا قد علا لحيث شاء الإله
برفرف الجذب للموصوف بالقدم

وزج حضرته في نور هيبته
مغمورة في تجلي الفيض والكرم

حيا الإله حبيب الحي بالأدب
وجاوب الحق بالأعلى من الكلم

الله اعلم ما قد كان يدركه
من فيض أنوار رب وافر النعم

حيّا وسلم مولانا على ادب
على الاله بكل الروح والهمم

ناجيته ولقد ناجاك بالكرم
من دون ريب ولا قدح ولا تهم

لا كيف ، لا كم ، لا مقدار في النظر
لا يدرك العقل ما قد لاح من كرم

فقرر الملك القدوس خلعتكم
بخلعة التاج والمعراج للأمم

معراج الأرواح من أفراد أمته
وتاج الافراج منكم يا ابا العلم

صبح وظهر وعصر مغرب وعشا
وهي المصابيح للأرواح في قمم

وهي المناجاة مع مولىً على أدب
وهي النجاة عن الأوزار والظلم

فرض الرسول وفرض عين امته
ما دام تبقى على عقل بلا سقم
وعاد للأرض مثل البرق في طرفه
من الزمان كلحظ العين او بسم
وبعدما أصبح الصّبح بنور هدى
أعلن ما ناله من نائل النعم
فاز بتصديقه الصديق إذ سمعنا
وسائر الصحب أهل الفضل والكرم
جبريل في ظهره اتى كمرشده
صلى اماما له في بقعة الحرم
والصحب في الاقتدا لحضرة المصطفى
اكرم بأهل الوفاء في الحل والحرم
وكرر الأمر يومين على مهل
ليستين براء الوقت مع ختم
كذاك قرر هذا الركن للأبد
أكرم بمن قد وفى بالصدق والسلم
وصادفت ليلة الاسراء ذي العجب
السابع التالي للعشرين من رجب

قولي : (لجبر ما جاء ••• الى آخر الابيات) بيانه : اولا أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنس والجن للعبادة ، ولا يمكن العبادة الا بالعلم والمعرفة . وأرسل الرسل الكرام ــ عليهم السلام ــ لنشر معرفة الله تعالى وعبادته • ولما كانتا مخالفتين لهوى النفس ، كان الناس أكثرهم يخالفون الرسل ويؤذونهم ، وإن افضل الرسل فعلاً وعقلا سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد أوذي في سبيل نشر دين الإسلام وتوجيهات الباري ايذاءً

كثيراً وزاد اسفه يوماً على يوم كما انه زاد أجره آناً فآنا ، ولما اشتد عليه الأذى وضاق صدره ، سلاّه ربه وفرح قلبه ، بأن فتح عينه ليرى ملكوت السموات والارض ، لا بالفكر فقط ، كأبيه إبراهيم ــ عليه السلام ــ بل بفكره ونظره معا ، ولذلك منحه رتبة الإسراء والمعراج ، اللذين هما من أعظم الخوارق من جهات كثيرة قطي المسافات البعيدة ، وعروج المادة الى جهة العلو، ورؤية ما لا يرى عادة •

وبينما هو ــ صلى الله عليه وسلم ــ في بيت عمته أم هانيء في جانب الكعبة الشريفة ، نزل عليه جبريل بخرق سقف البيت ، وسلم عليه ، وأخبره : بأن الله تعالى يدعوه للإسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وبالعروج منه الى ما فوق السموات ، ومنه الى ما شاء الله من الدرجات العالية •

وكان معه المركوب المشهور باسم البراق ، ــ وهو حيوان أصغر من البغلة ــ ، فركبه ، وكان يتحرك كحركة البرق الخاطف ، حتى وصلا الى المسجد الاقصى (بيت المقدس) • وأحيا الله تعالى جمعاً من الرسل الكرام ، أي جعل منهم صوراً مثالية ، وظهروا في صورة المستقبلين له ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهناك صلى بهم ركعتين نافلة ، كانت للعبادة والتشريف والتحية لله تعالى ، لا لأداء العمل المكلف ، وبعد ذلك ركب البراق أيضاً بإرشاد جبريل ، وعرج به الى السماء الاولى ، ثم الثانية الى السماء السابعة • وقد رأى في السماء الاولى سيدنا آدم أبا البشر ــ عليه السلام ــ ، وفي السماء الثانية سيدانا يحيى وعيسى ، وفي الثالثة سيدنا يوسف ، وفي الرابعة سيدنا إدريس ، وفي الخامسة سيدنا هارون ، وفي السادسة سيدنا موسى ، وفي السابعة سيدنا إبراهيم • وتفصيل ما جرى في تلك الدرجات الصعدات مذكور في الصحاح والمسانيد فليراجعها من شاء •

ثم صعد به وعرج به جبريل الى المحل الموسوم بسدرة المنتهى ، لأنها نهاية مقام يصل إليه الملئكة المأمورون في السموات والأرض ، وزار بيت المعمور •

ويشير الى ذلك قوله تعالى (افتمارونه على ما يرى ؟ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى) •

وهناك توقف جبريل عن سيره معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ واعتذر بقوله المشهور : لو دنوت قدر أنملة لاحترقت • فجذبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من هناك الجاذب القدسي الغيبي المعروف باسم (رفرف) الى ما فوق العرش ، مما شاء الله تعالى من الدرجات العلى حتى أنه علم لوجدانه أنه وصل الى مقام خطابه مع ربه فحيّاه ، وسلم عليه ، فجاء الجواب منه تعالى بإكرام بدون أي توهمات ، واشتباهات على طريق حصول العلم الضروري للإنسان ، وليس هذا الوصول مبنياً على أن لله تعالى مكانا ومحلاً معينا لبراءة الباري تعالى عن الاحتياج الى الزمان والمكان ، ونسبة جميع العالم إليه على السواء ، فكان يمكن أن يتكلم مع رسوله في مكة بدون العروج به الى ما فوق العرش ، بل أراد أن يفتح عينيه الباصرتين على ملكوت السموات والأرض ، ويعرج به الى حيث لم يعرج إليه غيره • ثم أن الله تعالى فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، وبعد أن رجع الى الارض صادف سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ وطلب منه أن يترجى التخفيف في الواجب ، فراجع مراراً حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة ، ولما وصل ــ عليه السلام ــ الى الأرض وأصبح الصباح أعلن إسراءه ومعراجه وفرض الصلوات ، فآمن به الصديق أبو بكر ، وباقي الصحابة ، وانكر عليه المشركون ، حتى طلبوا منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصف قافلتهم التي سارت نحو القدس ، ففتح الله تعالى لرسوله ووصف بيت المقدس ، وما اقترب

مقه . ووصف القافلة ومقدمتها وصفا كاملا موافقا للواقع ، ومع ذلك استمروا على كفرهم وإنكارهم لذلك ، والله تعالى غني عن العالمين .

وفي ظهر يوم تلك الليلة نزل جبريل — عليه السلام — على الرسول ، وصلى به الظهر في أول الوقت ، بعد الزوال والعصر عند مصير ظل الشيء مثله ، ثم المغرب بعد الغروب ، ثم العشاء بعد مغيب الشفق ، والصبح أول طلوع الفجر الصادق ، ثم صلى به في المرة الثانية في أواخر الأوقات وقال له : الوقت ما بين الوقتين . والناس في تلك الصلوات يقتدون بالرسول ولا يرون جبريل ، وإنما الرائي هو سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — والاقتداء بالمقتدي كذلك جائز ، بل واجب ، وهذه نبذة من الإسراء والمعراج والتفصيل في موضعه .

ثم إن الإسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثابت بنص الكتاب وإنكاره كفر ، وأما المعراج على ما ذكر فثابت بالحديث ، والإيمان به واجب ، ولكن إنكاره ليس كفرا ، بل هو بدعة . لأن الله تعالى على كل شيء قدير ، والكائنات كلها في قبضة قدرته ، وليس الصعود والنزول لشخص إنساني نسبته كذرة من الكائنات لشيء يستحيل عقلا ، والمعراج خرق العادة ، والإيمان بخرق العادة عبادة وسعادة .

ومن تفكر في المجموعة الشمسية ، ودورانها حول الشمس — على أقوال الرياضيين الجدد — في كل سنة دورة ، أو دور الأرض على مركزها في كل الاربع وعشرين ساعة دورة ، لم يتفكر في شيء إلا في قدرة الله تعالى ، وتصرفه المطلق في الكائنات لانه بعد أن أنكر نسبة الحركات النظامية الى الطبيعة الجاهلة الموصوفة باللاشعورية ، علم أن محركها هو القادر القاهر فوق عباده .

والقادر القاهر له الخلق والأمر ، وله التصرف بالإيجاد والإعدام ، بمقدار كن فيكون . كما يفيد هذا المقصود العظيم كثير من الآيات البينات مثل قوله

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقوله الكريم :ـ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) ، وقوله العظيم • (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) ومعلوم أن معجزة الإسراء والمعراج وبعبارة أخرى ، ان هذه الخارقة إنما اعتبرت خارقة بالنسبة الى مجموع الجسد والروح كما ينادي عليه (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) وكلما ذكر العبد فالمراد به ذلك ، مثل قوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقوله تعالى (أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى؟) .•

والإسراء بالرؤيا والمعراج بالمنام مما لا يتعجب منه للخواص والعوام ، وهذه عقيدة المسلمين من السلف الصالحين •

وصادفت ليلة الإسراء السابع والعشرين من رجب على ما اختاره الحافظ عبد الغني المقدسي كما في الأنوار المحمدية •

وسيدي سيد السادات قد سادهم
بالاستقامة في أخلاق كلهم
فان أتت نعمة كافأها بالثنا
وإن أتى نَقَمٌ عده من نِعَم
فكان عبدا بمعنى اللفظ دون خفا
لذاك سماه عبداً وهو في القمم
وبعد ما نال من عِز ومن شرف
ازداد في ذكره شكره للنعم
يسعى لدعوته في كل فرصته
يدعو الذين اتوا للطوف بالحرم
فجاء في موسم الحج من الخزرج
جمع شريف علي الشأن والشيم

وبعد عرضه آيات الهدى قبلوا
وأسلموا دينهم لله ذي الكرم
هم ستة كلهم من أهل منقبة
نالوا شرافة دين الحق والسلم
وزاد من ذاك أهل الشرك مشأمة
وهكذا حال أهل الحقد واللؤم
وبعد رجعتهم قد زاد طيب الهدى
من الهوى ببيان الخلق والشمم
في الموسم الثاني جاء من اولى سبق
خمس وسبعون أتوه من علا الامم
وزاد صيت الهدى في الناس مما اهتدى
الاوس والخزرج المختار في الامم
في الموسم الثالث جاؤا بمنقبة
سبعون شخصا شريف النفس والشيم
فازداد نور الهدى من عزم من اهتدى
والحق حقا بذا علا على الظلم
وهكذا صار فجر الحق منبثقا
من ضوئه استرشد الناس الى الحكم

قولي (وسيدي ... الخ) بيانه : لما أراد الله تعالى اعزاز دينه جعل في قلب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعرض نفسه على القبائل وبينما هو كذلك لقي رهطا من الخزرج ، فعرض نفسه عليهم ، وقرأ عليهم آيات من القرآن الكريم ، فأسلم منهم ستة ، وهم أبو أمامة أسعد بن زراره ، وعوف بن الحارث بن رفاعة ، وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر ، وجابر بن عبد الله بن رباب ، فقال لهم

رسول الله : تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فقالوا : يا رسول الله إنما كانت بعاث عام اول يوم من أيامنا اقتتلنا به ، فإن تقدم ونحن كذلك ، لا يكون لنا عليك اجتماع ، فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا ، لعل الله يصلح ذات بيننا ، وندعوهم الى ما دعوتنا ، فعسى الله أن يجمعهم عليك ، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك ، فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم القابل وانصرفوا الى المدينة •

ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذِكرٌ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — • فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا • وهي العقبة الثانية ، فأسلم منهم خمسة من الستة المذكورين ، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رباب • والسبعة تتمة الاثنى عشر هم : معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبلا ، وذكوان بن عبد قيس الزّرقي وعبُادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة البلوي ، والعباس بن عبادة بن فضلة ، وهؤلاء من الخزرج • ومن الأوس رجلان أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الاشهل ، وعويم بن ساعدة ، فأسلموا ، وبايعوا على بيعة النساء • أي وفق بيعتهن التي أنزلت بعد ذلك عند فتح مكة • وهي (أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولانزني ، ولانقتل أولادنا ، ولا نفتري ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وارجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، وبالسمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأثرته علينا وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول الحق حيث كنا ، وأن لا نخاف في الله لومة لائم • قال — صلى الله عليه وسلم — : فأن وفيتم فلكم الجنة) • ثمّ انصرفوا الى المدينة ، فأظهر الله الإسلام ، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ، وكتب الأوس والخزرج الى النبي — صلى الله عليه وسلم — : ابعث لنا من يقرئنا القرآن ، فبعث اليهم مصعب بن عمير ، فأسلم على يده خلق كثير منّ الأنصار منهم سعد بن معاذ ، وأسَيّدُ بن حضير ، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبدالأشهل في يوم

واحد : الرجال والنساء ، حاشا الاصيرم ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، فإنه تأخر إسلامه الى يوم أحد فأسلم ، واستشهد ، ولم يسجد لله سجدة واحدة ، وأخبر – صلى الله عليه وسلم – بأنه من أهل الجنة ، ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ، ولا منافقة ، بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين – رضي الله عنهم أجمعين – ، ثم قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلاً ، وامرأتان .

وقال الحاكم : خمسة وتسعون نفسا ، فكان أول من ضرب على يده – صلى الله عليه وسلم – للمبايعة البراء بن معرور ، ويقال : أسعد بن زرارة على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم ، وابناءهم ، وعلى حرب الأحمر والأسود ، فنقب عليهم اثنى عشر نقيباً ، ومكث – صلى الله عليهم وسلم – عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم ، بمنى وغيرها ، يقول : من يؤويني ؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي فله الجنة ؟ حتى بعث الله له الأنصار – رضي الله عنهم –

وبعد ما تمت البيعة ثالثة
وانتشرت دعوة الإسلام في الحرم
قد زاد في المشركين ثورة الغضب
في دار ندوتهم بسفلة الهمم
قد قرروا قتل خير الناس دون حيا
بالليل في غسق ، وشدة الظلم
وجاء جبريل ينهاه عن المكث
في بيته حذراً من طالبي النقم
وبلغ الامر بالهجرة عن الحرم
إلى مدينته العلياء في الشيم

فخرج المصطفى عن بيته مخبرا
عليًّا عن أمره في البدء والختم
راح إلى دار صديق على ثقة
وخرجا نحو غار الثور بالقدم
وتابع المشركون السير نحوهما
ووصلوا الغار بالحقد وبالشؤم
لكن صيانة ذات الحق صانهما
بالنسج والهدر للحمامة النسلم
بعد ثلاث ليال خرجا بالهدى
وسافرا باعتماد الله ذي الكرم
مع اختيار طريق الساحل لهما
لبعده عن تفوذ الكفر والشئم
ونزلا خيمةً لأم معبد عن
راحة نفس من الاتعاب والألم
وبعدما خرجا سارا على مهل
للاعتماد على الرحمن ذي الكرم
وفي الطريق رأوا سراقة بعجل
جاء لأخذهما في الحل والحرم
وعن عناية رب العالمين نجوا
عن كيده بأمان الله ذي الكرم
خوارق الهجرة المبروكة اشتهرت
زادت على الضبط والتحرير بالقلم
منها عمى المشركين القاصدين له
في باب داره دون العمى والصمم

منهـــا حمامـــة باب الغـــار إذ هـــدرت

يعنـي فلـــو كـــان ناس فيـه لـم تحـم

والنســج للعنكبـــوت طبـــق بابـــه قـــد

شهـــدت بأن ليـــس فيـــه موضـع القـــدم

سراقـــــة قـــــد أتـــى معقبـــا بجفـــا

بمبلـــغ إبل دينــــار أو درهـــــــم

لما رآه الرســـول صـــــار مقتربـــا

رمـــى إليـــه سهـــام القلـــب بالهـــم

فقـــاد مركوبـــه في الارض مـــن نظـــره

فـآل معتـــذراً بالتـــوب والنـــدم

وعنــد ذا وعــد المولـــى بــان لــــه

ســـوار تـــاج لكســـرى صاحـــب العلـــم

واذكـــر كرامتــه في خيمـــة الشـــرف

لام معبـــدٍ المسعـــــودة الشيـــــم

كانـــت لها الغنم العجمــــاء دون لبـــــن

آلـــت إلـــى نعجـــة فـــي الجـــود بالنعـــم

وهـــذه قطـــرة مـــن بحـــر همتـــه

والبحـر قد يرتجـــي منــه مـع الديـــم

فوصـــلا بالصفا إلى ديـــــار الوفـــا

قـــوم بنـــي عوف المعـــروف بالكـــرم

ولما تمت هذه البيعة ، أمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من كان معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا • وأقام ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج •

ثم اجتمعت قريش في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمره ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأجمع أمرهم على قتله وتفرقوا على ذلك • فأتى

جبريل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك . فلما كان الليل اجتمعوا على بابه ، يرصدونه حتى ينامَ ، فيثبوا عليه ، فأمر ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليا ، فنام مكانه ، وغطى ببردٍ أخضر ، فكان أول من شرى نفسه في الله . ثم خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد اخذ الله على أبصارهم ، فلم يره أحَد منهم ، ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده ، وهو يتلو قوله تعالى (يس ... الى قوله فأغشيناهم فهم لا يُبصرون) ثم انصرف ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث أراد .

فاتاهم آت ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا . قال : قد خيبكم الله ، قد والله خرج محمد عليكم ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا ، وفي هذه نزل قوله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) الآية . ثم أذن الله تعالى لنبيه في الهجرة الى المدينة ليتشرف به المكان ، كما تشرف به الزمان ، ولما هاجر ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليها شرفت به حتى وقع الإجماع عى أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاءه الكريمة ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وخرج من مكة لهلال ربيع الاول ، وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه . وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر ــ رضي الله عنه ــ .

وأخبر ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليا بمخرجه ، وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس ، وأتى دار أبي بكر مستخفيا ، فاستصحبه ، وسأله أن يأخذ إحدى راحلتيه ، فأبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلا بالثمن ليستكمل فضل الهجرة . قالت عائشة : وجهزناهما أحبّ الجهاز ، ثم لحق ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبو بكر بغار ثور (وهو جبل بأسفل مكة) ونظر ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين خروجه الى البيت فقال : والله

إنك لأحب أرض الله إليّ ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت . ولما فقدت قريش رسول الله — صلى الله عليه وسلم — طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها ، وبعثوا القافة أثره في كل وجهة . وجعلوا مائة ناقة لمن ردّه ، فلم يظفروا به ، وأنبت الله على باب الغار شجرة (ام غيلان) وأمر العنكبوت فنسجت على فم الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين ، فوقفتا على وجه الغار ، وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين .

وأقبل فتيان قريش من كل بطن حتى وصل بعضهم الغار ، وصدهم وجود الحمامتين ، وقال أحدهم : ادخلوا الغار ، فقال أمية بن خلف : إن فيه لعنكبوتا أقدمُ من ميلاد محمد — صلى الله عليه وسلم — .

وروي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ، ونسج العنكبوت . فقالوا : لو دخلاه لكسر البيض ، وتفسخ نسج العنكبوت ، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود .

وروي أنه — صلى الله عليه وسلم — قال : اللهم أعم أبصارهم . فعميت عن دخول الغار ، وجعلوا يضربون حوله يميناً وشمالاً .

وفي الصحيحين ، عن أنس قال أبو بكر : يا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : لو أن احدهم نظر الى قدميه لرآنا ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وروي أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليقيه بنفسه ، وإنه رأى جحرا فيه ، فألقمه عقبه حتى لا يخرج ما يؤذي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فدخل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ووضع رأسه في حجر أبي بكر ، ونام ، فلدغ أبو بكر ولم يتحرك ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — . فقال : مالك يا أبا بكر ؟ فقال : لُدِغتُ ، فداك أبي وأمي ، فتفل عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذهب ما يجده .

وروي : أنه لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ • وقال : إن قُتِلتُ فإنما أنا رجلٌ واحد ، وإن قتلتَ أنت هلكت الأمة • فعند ذلك قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لا تحزن إن الله معنا (يعني بالمعونة والنصر) فأنزل الله سكينته (وهي أمنة تسكن عندها القلوب) على أبي بكر ــ رضي الله عنه لانه كان منزعجا ، وأيده (يعني رسول الله) بجنود لم تروها ، (يعني الملئكة) ليحرسوه في الغار ، وليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته • ومكث ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو وأبو بكر في الغار ثلاث ليالٍ ، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح بمكة ، فحين يختلط الظلام ، يأتيهما بخبر ذلك اليوم • ويروح عليهما بعد العشاء ، عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر : بغنم فيكتفيان من لبنها ، واستأجرا عبدالله بن الاريقط دليلاً ، وهو كافر لم يعرف له اسلام • فأتاهما براحلتيهما بعد ثلاث ليال ، وانطلق معهما هو وعامر بن فهيرة على طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد (عاتكة بنت خالد الخزاعي) فطلبوا لبنا أو لحماً يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى شاة في كسر الخيمة ، خلّفها الجهد عن الغنم ، فسألها : هل بها من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك • فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ فقالت : نعم بأبي أنت وأمي ، إن رأيت لها حلباً فاحلبها فدعا بالشاة ، فاعتقلها ، ومسح ضرعها ، فدرّت ودعا بإناء يشبع الجماعة ، فحلب فيه وسقى القوم حتى رَوَوا ، ثم شرب هو اخرهم ، ثم حلب فيه مرة اخرى عللاً بعد نهل ، ثم غادره عندها وذهبوا • فما لبث حتى جاء زوجها أبو معبدٍ يسوق عنزاً عجافاً ، فلما رأى اللبن عجب ، وقال : ماهذا يا أم معبد ؟ قالت : إنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا • فقال : صفيه • فوصفته بأحسن الأوصاف • فقال هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته •

وبقيت هذه الشاة الى خلافة عمر بن الخطاب تحلب صباحاً ومساءً • ثم تعرض لهما بقديد سراقة ابن مالك المُدلجي • فبكى أبو بكر وقال يا رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أُتينا . قال : كلا ، ودعا رسول الله بدعوات، فساخت قوائم فرسه ، وطلب الأمان ، وقال : أعلم أن قد دعوتما عليّ ، فادعُوا لي ، ولكما أن أرد الناس عنكما ، ولا أضركما . قال : فوقفا لي فركبت فرسي حتى جئتهما ، فأخبرتهما خبر ما يريدون .

والناس إذ سمعوا هجرة خير الورى
من قطر أم القرى منتظرو المقدم
ويطلعون من البيت لنيل اللقا
وأخذ نور التقى من معدن الكرم
من طول مالبثوا في طلعة يئسوا
باءوا إلى دورهم من لمة الألم
وبينما هم كذا من يأتيهم عن لقا
نادى الجميع يهودي بملء فم :
هيا بني قيلة هاقد أتى جدكم
من عنده سعدكم بالعهد والذمم
فاستقبلته بنو عمرو بن عوف على
محبة ورجاء الفوز بالنعم
وأكرموهم بما يليق في أرضهم
أرض قباء مقام الجود والكرم
وهاجر الحيدر الكرار بعد النبي
وصله في بني عوف على قدم
وحقق النووي أن نزول النبي
لاثني عشر من ربيع أول ينتمي
بقوا بها أربع عشر يوما كما
ثبت في المسند الصحيح لمسلم

وقـد بنـى مسـجد القبـاء فـي رغبـة
لنشـر ديـن الهـدى في سائـر الأمـم

وهـو الـذي مـدح اللـه القيـام بـه
لمسجـد اسـس رمـز لمفتهـم

وكـان ذلكـم المجـد الاثيـل لهـم
فـي نصرة الديـن والاحسـان والكـرم

لمـا رأى اشتيـاق المدنيـين لـه
سافـر منهـا الـى مدينـة الحـرم

فأدركتـه صـلاة الجمعـة فنـزل
علـى بنـي سالـم بن العـوف ذي الهمم

صلـى بهـم جمعـة مـع مسلمـين مائـة
في بطـن وادٍ ب(رانونـاء) متسـم

فـي مسجـد بالغبيـب كـان مشتهـراً
ومسجـد الجمعـة اسمـه فـي الأمـم

وجـاء الأنصـار لاستقبـال حضرتـه
علـى المحبـة والإقبـال والكـرم

واستبشـر النـاس أفـرادا ومجتمعـاً
بوصـل مولـى الكـرام سيـد الأمـم

واهتـزت الأرض والوديـان مـن شغـف
لـروح ريحـان عطـر الـذات ذي الكـرم

اروواحهـم قبـل الأشبـاح لـه وصلـت
بقـت لهم علقـة للمشـي بالقـدم

والنـاس فـوق السطـوح ينطقـون بـذا
قـد طلـع البـدر كالنـور علـى علـم

أي من ثنايا لشرقِ الطيبة ولها
ايضا ثنايات توديع لمعتزم
فصار يومه يوم الحشر للفرح
ونشره نشر بشراهم على النعم
طوبى لكم يا بني أوس بمقدمه
ويا بني خزرج للجود والكرم
أخواله من بني النجار اوصل من
قرابة العصبات في ندى الرحم
هم أكرموه بما في المستطاع لهم
من أنفس ومن الأموال بالكرم
والعصبات قلوه ثم قد قصدوا
تعذيبه بجهات السوء والألم
تبا لكم يا أبا جهل ومشأمة
ويا أبا لهب بالنار والنقم
يختص ربي على ما كان من قدر
قوما على نقم قوما على نعم
برقم سلفا ، قد وصل المصطفى
في شهر هجرته لطيبة الحرم
والناس قد طلبوا لفضل حضرته
كل نزولا على داره للكرم
وقدر الله ان ينزل بيت أبي
أيوب المرتضى في القدر والقيم
فمن هنا نزلا والرب جلّ علا
شفى بمقدمه القلوب من سقم

هـو الـذي ألـف القلـوب بالرحمـة
هـو الـذي صنـف النـاس علـى رحـم
وبـدل اللـه ظلمـات بأنـواره
وبـدل النقـم المشئوم بالنعـم
وأيـن ينـزل مولـى العالمين نـزل
فيـه تجلـى الهـدى بالنـور والكـرم
وكيـف لا واصطفـاك اللـه مـن خلقـه
وانـت رحمتـه المهـداة للأمـم
صلـى عليـك رسـول اللـه ما طلعـت
شمـس السمـا وخلـود الفيـض والكـرم
صلـى علـى صحبـك المختـار في الأمـم
والآل والتابعـين مـن أولـي الهمـم
ونزلـت فـي ثنيـات الـوداع صـدى
قـد طلـع البـدر مـن مـاش علـى قدم
وزادَ طيبـة شوقـا للقـاء بكـم
أصحـاب نـور الهـدى للوصل بالنعـم

قولي : (والناس إذ سمعوا •••) بيانه : أنه لما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة ، كانوا يغدون كل غداة ينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم ؛ فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على مرتفع من مرتفعاتهم لأمر ينظر إليه فبصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي نفسه ، فنادى بأعلى صوته : يا بني قيلة (يعني الأوس والخزرج) هذا جدكم (أي حظكم ومطلوبكم) قد أقبل ؛ فخرجوا إليه سراعا بسلاحهم فتلقوه ، فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة

ليلة خلت من ربيع الاول ، على ما حققه الإمام النووي ، وأقام علي ابن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ بمكة بعد خروجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ منها ثلاث ليال ، ثم أتى إليه ، ووصل إليه ، يوم الاثنين ، سابع يوم وصول الرسول إليها ٠

وبقي عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقبا اربعة عشر يوماً ، وبنى في قباء المسجد المعروف بمسجد قباء ، الـذي مدحه الباري في قولـه الكريم (لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) ٠

ولما علم أن اهل المدينة يشتاقون إليه توجه يوم الجمعة من قباء إليها ، فأدركته صلاة الجمعة في محلهم ، فصلى الجمعة مع مائة مسلم في مسجدهم المعروف باسم (الغبيب) الواقع في وادي (رانوناء) براء وألف ونونين بينهما واو ، على وزن عاشوراء ولما وصـل الى المدينة المنورة ازدحـم الناس في استقباله ، وفرح الناس كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، وكان الناس في أعلى درجات محبته ، ولذلك كلما مر على دار طلب صاحبها أن ينزل رسول الله عندهم ، وهو أرخى عنان إبله وقرر أينما بركت ينزل في ذلك المحل ، الى أن قدر الله بروكها عند دار أبي أيوب الأنصاري ــ رضي الله عنه ــ وكانت ذوات الخدور والأدب يقلن : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ، وجب الشكر علينا ما دعا الله داع ، ونشكره على علمنا بذلك ٠

السعد السابع

لما بقيت زمانا مع أحبتكم
من المهاجر والانصار ذي الكرم
غيرت أرض الهوى فصار أرض هدى
غيرت يثرب لاسم طيبة الحرم
وهاجر السابقون نحو طيبتكم
للفوز بالفضل والاحسان والكرم
آخيت بين رجال الهجرة الشرفا
مع أهل الانصار أهل العهد والذمم
تسعين منهم مع التسعين ناصرهم
في المال والحال والإحسان بالنعم
والاوس مع خزرج في روضة الادب
صاروا كأزهار بستان على أكم
إذ أشهر سبعة مضت بدون جفا
بنيت مسجد نور ثالث الحرم
فصار في الأرض مثل الكعبة حرما
هما مع المسجد الأقصى على قيم
فلا تشد الرحال للصلاة سوى
تلك الثلاث ابتغاء الفضل والكرم
وصار مدرسة لنشر دين هدى
وقد تخرج فيها صاحبو الهمم

تخرجت فيه الاصحاب الكرام ومن
مشى على نهجهم في العلم والحكم
من الذين على ما كان حضرته
عليه والصحب أهل العهد والذمم
من الكتاب ومن مفهوم سنته
وحكم الإجماع للأعلام فافتهم
والفرد يجوز الاتباع له
مع المراعاة للعامي بلا سئم
وذلكم مسلك للمسلمين فكن
على البصيرة في الدين بلا سقم
ورغم دعوة إبراهيم والده
ونشر نعته في الماضي من الأمم
ورغم ما جاء في التوراة من سبق
لحضرة المصطفى من أشرف الشيم
لاسيما سفر شعياء من الرسل
من نعته مع الأصحاب أولي القيم
فقد أبرق النور في سينا، وساعير، ثم
جبال فاران بالإحسان للأمم
وذكره ثم ذكر الصحب في مدد
من الجهاد بكل العزم والهمم
وحفظهم لكتاب الله بالأدب
وكبروا كلما وصلوا إلى القمم
ورغم ما جاء في الإنجيل نور هدى
مبشرا به عيسى ولد مريم

عاداه أهـل الكتـاب والنفـاق ومـن
مشـى علـى دربهـم مـن صاحبي السقم
قـد كـان للمصطفـى صـدر وسيـع لمـا
قـد جـاءه مـن أذى مـن صاحبـي النقـم
وكيـف يعلـو علـى البحـر المحيـط جفـا
بغيـر الهـادئ المملـوء بالكـرم
وكيـف يستـر نـور العالميـن بمـا
يغايـر النـور بالأكـدار والظلـم
قـد استقـام وقـد قامـت شريعتـه
منيـرة لقلـوب الصـدر في الأمـم
هـذا هو الخاتـم الباقـي شريعتـه
مـادام يبقـى رشيـد مـن أولـي الهمم

وأخرج البيهقي عن أنس أنه لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرجت جوار من بني النجار بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

قال الطبري : وتفرق الغلمان ، والخدم في الطرق ينادون جاء محمد ، جاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ولما مضى خمسة أشهر من الاقامة ، آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين والأنصار تسعين رجلا ، من كل طائفة خمسة وأربعون على الحق والمواساة ، والتوارث ، وكانوا كذلـك ، الى ان نزل بعـد بدر (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) الآية .

ولما أراد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بناء المسجد الشريف ، قال : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم . قالوا : لا نطلب ثمنه إلا من الله تعالى .

فأبى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلك وابتاعه بعشرة دنانير ، فأداها من مال أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ وكان قد خرج من مكـــة بجميع ماله •

قال أنس : وكان في موضع المسجد نخل وخرب ، ومقابر مشركين • فأمر رسول الله بالقبور فنبشت ، والخرب فسويت ، والنخيل فقطعت ، ثم أمـر باتخاذ اللبن ، فبنى المسجد ، وسقف بالجريد ، وجعلت عمده خشب النخل ، وعمل فيه المسلمون • وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين • يحمل لبنـة عنه ، ولبنة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال له النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : للناس أجر" ، ولك أجران ؛ وآخـر زادك في الدنيا شربة لبن ، وتقتلك الفئة الباغية !• وروي أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان ينقل معهم اللبن في بنائه وهو يقول :

اللهم ان الاجر اجر الآخرة　　　فارحم الانصار والمهاجرة

وجعلت قبلة المسجد للقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب ، باب في مؤخره ، وباب يقال له باب الرحمة ، والباب الذي يدخل منه ، وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع ، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه ، وجعل أساسه قريبا من ثلاثة أذرع • وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد ، وبنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعاً الى المسجد ، وجعل لسودة بنت زمعة في البيـت الذي يليـه الى الباب الـذي يلـي آل عثمان ، ثم تحـول ــ عليه السلام ــ من دار أبي أيوب الى مساكنه التي بناها ، وكان قد أرسل زيد بن حارثه وأبا رافع مولاه الى مكة قدما بفاطمة ، وام كلثوم ؛ وسودة بنت زمعة ، وأسامة بن زيد ، وأم" أيمن ، وخرج عبدالله ابن أبي بكر قدم بعيال أبيه • وكان في المسجد موضع مظلل ، تأوى إليه المساكين يسمى : (الصـّفة) . وكان أهله يسمون (أهل الصفة) • وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يدعوهم ، فيفرقهم علـى الصحابة ، وتتعشى طائفة منهم معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان

الصحابة يصلون قبل بناء المسجد الشريف أينما أدركتهم أوقاتها ، وبعد بنائه يصلون فيها لكن بدون آذان • وعن مراسيل سعيد بن المسيب ، أن بلالا كان ينادي : (الصلوة جامعة) • وشاور ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصحابه في ما يجمعهم به للصلاة • فقال بعضهم : ناقوس كناقوس النصارى • وقال بعضهم : بوق كبوق اليهود • وقال بعضهم : نوقد ناراً ، ولما رآها الناس أقبلوا الى الصلاة • فرأى عبد الله بن زيد ابن ثعلبة ابن عبد ربه في منامه رجلاً ، فعلمه الأذان والإقامة ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى ، قم مع بلال ، فألق عليه ما رأيت ، فليؤذن به ، لانه أندى صوتا منك ، وفي رواية معاذ بن جبل عند احمد : إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت ما كنت نائماً لصدقت ، رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران ، فاستقبل القبلة ، فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، مثنى مثنى ، حتى فرغ من الأذان الحديث • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى ، قم مع بلال ، فألق عليه ما رأيت ، فليؤذن به ، فإنه أندى صوتا منك •

قال : فقمت مع بلال ، فجعلت أُلقيه عليه ويؤذن ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وهو في بيته ، فخرج يجر رداءه ، يقول : والذي بعثك بالحق ، يا رسول الله، لقد رأيت مثل ما رأى •

وأقام ــ صلى الله عليه وسلم ــ في دار أبي أيوب سبعة أشهر • وقيل الى صفر من السنة الثانية ، وبنى بعائشة لتسعة أشهر من دخول المدينة وقيل في شوال من السنة الثانية •

وذلك المسلك المبروك مسلكنا
دين الرسول الأمين منبع الكرم
اساسه نص قرآن أتى لهدىً
يهدي إلى الحق أهل القدر والقيم

مبيـن ببيـــان الفضـــل سنتـــه
قـولا وفعـــلا وتقريـرا علـى نظـــم
كـــلام رب الـــورى مـــن ذاتـــه نـزلا
جبريـــل جـــاء بـــه لســيد الأمـــم
في بعـض الأوقـات قـــد جـــاء اليـه علـى
صـــورة شخـص شريـف قـاريء الكلـــم
وغالبـا جـــاءه صـوت شبيـــه جـرس
علـــى مهابـــة غيـب جـــاء بالحشـــم
وقـد تلقـــاه جبريـــل مـــن الملـــك
بنهـــج إلهـــام روح كـــان بالكـــــرم
والكـــل والبعـض قرآن بـلا شبـــــه
ووصـف ذات إلـــه بـــاريء النســـم
ومـبدأ اللفظ وصـف، واحـد ازلـــي
مـــن دون حـــرف وصـوت فيه ، فافتهـــم
واللفظ صـــوت بتركيـب علـــى رتـــب
وحـادث ليـــس ممـــا نـــال بالقـــدم
لكـــن رأى بعـض الأعـلام لـــه قدمـــا
بنسبـ ـــة الملـــك الخـــلاق للنســـم
وليـــس ألفاظـــه أمثـــال ألفاظنـــا
أمـــا القيـاس فظـــن جـــاء للأمـــم
إذ وصفـــه ليـس مثـل الوصـــف للبشـــر
ولا يناسبـــه فـــي الحكـم والحكـــم
ديـن مبين بـــدا ختمـــا لديـــن الهـــدى
شريعـــة ونظـــام الرشـــد للأمـــم

وفي العقيدة عين كل ما سبقا
وفي الفروع مداوي جرحة السقم
بدأ بالأمر للإنسان بالشرف
قراءة باسم من أبداه من عدم
رب عظيم قدير خالق النسم
أفاده العلم والتعليم بالقلم
معناه توجيهه لمبدأ الشرف
نظام حق بوجه الحق منتظم
اصوله طاعة لله خالصة
وطاعة للرسول الهادي للأمم
وطاعة لأولي الأمر الهداة إلى
خير الجميع من الاحكام والحكم
وفرض الايمان بالله وبالملك
والكتب والرسل أهل القدر والقيم
وبالقضاء من الله وبالقدر
واليوم الآخر والبعث لذي النسم
وبالعبادة لله العظيم على
أساس الاخلاص والإحسان والسلم
شهادتين ، صلوة الفرض دائمة
على الخشوع وملء القلب بالندم
وصوم رمضان من كل السنين لمن
له استطاعة صوم دونما ألم
زكاة مال ، وحج البيت ، عمرته
للمستطيع على ما كان من نظم

والذكر لله في الأحوال أجمعها
سراً وجهراً بحسب الحال والقسم
وكل ذلك بالإخلاص في العمل
إن الخلاص من الإخلاص ، فافتهم
دليل الإخلاص حب الله جل علا
به الولاية عند الله ، فاغتنم
من محض الإيمان بالله وشرعته
ثم التقى في جميع الحال كالنهم
والاستقامة في السير مع الادب
ومن حضور بلا نقص ولا سأم
وفيه أصل النظام للإرادة في
ما يجري بين الورى في الحرب والسلم
إطاعة الناس أمر الله حيث أتى
وأمر شخص الرسول الحاكم الحكم
وإتباع لأهل الاجتهاد إذا
قد أجمعوا وكذا للفرد ، فاغتنم
والأمر بالعلم والأعمال نافعة
والصبر والصدق والوجدان والكرم
والأمر بالاعتصام والتعاون في
خير بدا ساعياً ، والسير بالقدم
والأمر بالعدل والإحسان بالأمم
والنهي عن كل مذموم من اللمم
لا فرق بين الورى حسب الأصول سوى
فرق بتقوى من الله على الذمم

والأمـــر بالسعـي فـي الأسبـاب قاطبـــة
بحسـب الامكان في الإعــلان والكتـــــم

والأمـر بالسعـي فـــي إعــداد قوتنـــا
دفعــا لشـر عــدو اللـــه والامـــم

والأمـــر بالشـــورى عند الحادث الخطِرِ
كـي يفهـم الخيـر في الحلّ بلا ســأم

ورغـب المؤمنيـن المستعديـن علـــى
تفقـــه الديـــن حسـب قــوة الهمـم

لينـــذروا قومهــــم عنـــد الرجـوع لهـم
وينشـــروا حكـــم الإســلام علـى الأمـم

وقـــد أقـــر سبيـل المجمعيـن علـــى
تفقـــه الديـــن حســـب قـــوة الهمـــم

والأمـر بالصـدق فـي القول وفـي العمــل
والعهـد ثـم الوفـــاء لازم الذمــــــم

ووصــــل الأرحـــام منـــا حسـب الطاقـة
والبـــذل والجـــود والإطعـام بالنعـــم

والنهـــي عـــن كل خلـق فاسـد بشـري
ســرّا وجهـــرا وعـن أحقـــاد منتقـــم

كتـاب حـــق كـــذاك خالـــد أبـــداً
غيـث الـــورى نافـــع لكافـــة الأمـــم

وفي فصاحتــــه أو فـــي بلاغتــــــه
رقـى إلـى فـــوق عنـد الحاذق الفهـــم

وقـــد تحـــدى بــه المولـى الأنـام كمـــا
تتلـو تحديـــه دومـــا علـــى الأمـــم

بكله أو بعشر أو بواحدة
ولم يصل عقل ذي الطاقات في الأمم
فصار معجزة في الدهر خالدة
دامت برغم العدو الفاقد الذمم
لاقدح في مدحه لا كذب في قدحه
في مستوى منحه لفاهم الكلم
في كلٌ باب رُبا مصاحب اربا
في الوعظ والوعد والإيعاد للأمم
اسلوبه غير اسلوبٍ لإلقائنا
لم نلق مثله في الحال وفي القدم
وبعضه مثل تفسير لمشكِله
مثل بيان الرسول صاحب الحكم
حكمه حكمة ، أمثاله نعمة
إرشاده رحمة أتت إلى الأمم
وكلما انقرى غضا طريا ترى
كثمر يجتنى من شجر مثمر
من آيها عشرة ، في عرضها نشرة
تأخذها زمرة والنفع منها نمى
بنوره ينجلي صدأ قلب الولي
إن العدو من العناد في سقم
ووعده قابض بالخير للخالص
ورحمه جابر لبعضه النقم
منطوقه شاهد ، مفهومه شاهد
موصوفه واحد باقٍ من القدمِ

وفيه أخبار غيب كان مستتراً
إلا بوحي من الله لمفتهم
للماضي والمستقبل قرب أو بَعُدا
لجنة الخلد أو للنار باللقم
لما وراء الطباع فيه بحث لذا
ينقاد من دركه عقل لمفتهم
وبحث جنة مأوى سدرة المنتهى
والبيت والعرش واللوح مع القلم
فيه دقاق علوم الكون خافية
من المدارات والمدورات بالنظم
يا معشر الجن والإنس تعالوا إلى
فهم الشواظ من النيران ملتهم
وبحث أحوال هذا الكون مستتر
في دقة ونظامٍ مجمع الحكم
والبر والبحر والأفلاك دائرة
على نظام سليم دونما سقم
ومن سباحة ذات السير في الفلك
كل على محور يخفى على الامم
بحيث يحتار عقل العالمين بها
فضلاً عن الجاهل المنحط في القيم
كتاب حق بليغ خالد أبداً
غيث الهدى منبت في السهل والاطم
لذاك قد أعلن الإكمال خالقنا
في حجة جمعت بحراً من الأمم

آمــن بــه واعملن جــدا بــلا ملــل
وامنــع هوايــة نفس في هــوى الظلــم

وارع الأصــول تنــل باب الوصول ، وقــد
وافــاك ربــك بالإعطــــاء للنعــم

هــذا لكـم بحـر فضــل فــي سعادتكم
شــرع مــع الســنة العليــا علــى قمـم

البــدء بــاء لبســم اللــه مفتتحــا
والختــم ســين لنــاس خـذ ولا تنــم

معنــاه قرآننــا بــس لنــا أبــدا
واللــه كــاف لكــل الفضــل والرحــم

يــا ربنــا إهدنــا مــن نــور حكمتــه
وارحــم بنــا رحمــة فــي البــدء والختـم

آياتــه حســب نــص فيــه انقسمــت
قسمين ، والأول الموســوم بالمحكــم

والمتشــابه للثانــي علــى نصــه
فخــذ بيانــا علــى القسميــن واغتنــم

فالأول الواضــح المعنــى وليــس بــه
مشكلــة عنــد أهــل القــدر والقيم

والثانــي ماقــد حــوى معنــاه مشكلــة
أو لا تليــق بــذات اللــه ذي الحكــم

فمنــه مــا اختـص بالعلــم بــه ربنــا
كبــدء خلــق لدنيانــا ومختتــم

ومنــه مــا يعلــم الأعــلام تأويلــه
فالراسخــون مــن العلم علــى قــدم

فالوقف فرض على لفظ الجلالة في
ما استأثر الله بالعلم به ، فافهم
والوقف حق على العلم لهذا الذي
من غير ما استأثر الله ، فاعلم
مثال آيات أوصاف له أشكلت
يد ووجه وعين جنبه ، فاعلم
وكاستواء إله العالمين على
عرش العلا حيث يبدو النص للأمم
وكالفواتح جاءت أول السور
صاد وقاف ومثل نون والقلم
وقد رأى الخلف الأعلام تأويلها
بما يليق بذات الله ذي الحكم
بحيث لا يوجب النقص لخالقنا
بمثل تجسيم أو تركيبه الموهم
لكن من سلفا لم يقبلوا كلفا
وفوضوا الكل لله على الأسلم
نعم لدى أهل تأويل فوائد إذ
فتحوا أعينا عمياً على كلم
تأويل وجه بذات الله منسجم
والعين بالعلم مقبول لدى الامم
واليد بالقدرة مقبول لأهل هدى
والاستواء بالاستيلاء فافتهم
فالراسخون على عطف لمن سبقا
من لفظة الله فاعلم ذاك واغتنم

وسـره انــه ليــس بجسـم فـلا
جـزء لــه يحتويـه الجسـم ، فافتهـم
واليـد والوجـه والعيـن مـن أجزائـه
فـلا تكـون لمـا ليـس بجسـم نمي
بالقـدم أزلـي ، وبالبقـا أبـدي
وهـو الـذي أوجـد العالـم مـن عـدم
وكيـف يحتـاج للأجـزاء وهـو غنـي ؟
أو المكـان الـذي لـم يـر فـي القـدم
وكيـف ذا واستـواء فـوق عـرش علا
ولـم يُرَ الفـرش والعـرش مـع القـدم
وتلـك الاوصـاف لا تنمـى لـه أبداً
والحـق تفويـض أو تأويـل مفتهـم
نـزل هـذا الكتـاب فـي رسالتكـم
بأحـرف سبعـة تتلـى علـى الأمـم
اي جـاء فـوق لغـات لقريـش علـى
ست قبائـل حـي العـرب الأكـرم
أو إنـه جـاء فيـه أوجـه سبعـة
مـن نحـو قلـب وحـذف جـاء في الكلـم
مـن دون خلـف علـى المعنـى وحاصلـه
ودرك ذلـك سهـل عنـد مفتهـم
قرأتهـا كلهـا علـى الصحابـة فـي
مجتمـع بـارع مـن اشـرف الأمـم
كتبهـا كاتبـون أهـل معرفـة
أهـل الأمانـة فـي الحـل وفـي الحـرم

ألزمهم لك زيد ولد الثابت
صاحب ثبت ودين وحلى الكرم
والخلفاء الكرام الراشدون، كما
قد جاءنا النقل من جمع أولي همم
وغيرهم من كبار الناس منزلة
أهل التقى والنقى كالنور في الظلم
بلغتهم بأمانات لكم وهُمُ
قد بلغوها إلى قوم أولي همم
تواتر النقل فيه واكتسبنا به
علم اليقين على ما صار من قسم
يبقى كذاك بلا تغير أحرفه
وعداً أكيداً أتى من خالق النسم
دستور دين ودنيا دونما خلل
فيه السعادة للدارين فاغتنم
نور منير وشفاء للصدور كما
قد علم الناس في بدء وفي ختم
في ذلك الجامع الأعلى بقيمته
مدرسة النور والبرهان والحكم
تخرجت أمة من أشرف الأمم
قد بلغوه إلى العرب والعجم
صلى عليك إله العالمين كما
أمرنا بالصلاة بأهدى الأمم
وآل والصحب والاتباع قاطبة
من اهتدى بالهدى من كافة الأمم

قولي : (وذلك المسلك الى آخره) يعني أن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى بفضله ، ورحمته ، وموهبته ، وهو مبارك لأنه منه تعالى . هو مسلكنا ، وطريقنا الذي نمشي عليه . نعمل بما أمر به ، ونترك مانهانا عنه، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ جاء لتبليغ هذا الكتاب المبني على توحيده، والإيمان به وبملئكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر ، وإلزام أتباعه الأركان الإسلامية الخمسة ، أعني : الشهادتين ، والصلوات الخمس المفروضة في كل يوم وليلة ، وصيام شهر رمضان المبارك ، وإعطاء زكاة الأموال للمستحقين ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . وعلى الابتعاد عن الكفر بأنواعه من الإشراك بالله تعالى ، وإنكار شيء من أصول الإيمان والإسلام ، وعن كبائر الذنوب ، التي هي أقرب الى سبعمائة من سبعين ، وإذا وجدنا فيه مجملاً رجعنا الى بيانه بسنته الغراء ، لان الله تعالى خوّله بيانه . وقال : (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

وسنته الشريفة المبينة عبارة عن : أقواله ، وأفعاله ، وتقريره وعدم إنكاره لما اطلع عليه من الناس قولاً وفعلاً . ومن جملة مافي الكتاب إطاعة الله وإطاعة الرسول وإطاعة أولي الأمر ، وهم المجتهدون ، سواء كانوا حكاماً أو أمراء متنفذين ، أو أئمة مجتهدين ، وسواء أجمعوا على شيء قولا فيكون اتباعهم واجبا ، أو اختلفوا في حكم وكان في محل الاجتهاد والاتباع هناك جائز لمن قلده وارتضاه ، لأن الله تعالى أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يكون هو ومن اتبعه على بصيرة في دينهم ، والبصيرة ثابتة للعالم بالأمور، فإذا كان المسلم عالماً فذاك ، وإلا فلا مجال له إلا اتباع عالم كامل ، وهم الذين وصلوا الى درجة الاجتهاد في غوامض الدين .

فكل ما أخذ من الكتاب والسنة ودلّ عليه بأحد وجوه الدلالات المعتبرة ، أو أخذ من إجماع أهل الاجتهاد الكاملين ، فهو من الدين الحنيف ، وكذلك ما أخذ من مجتهد واحد بشرط أن لا يكون في قوله خرق الإجماع

ومخالفة النص ، فهو أيضاً من الدين ، وليس من البدع بل البدعة عبارة عن ارتضاء محدثات ومفتعلات خارجة عن الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد ، لأن هذا الدين الإسلامي المبين خالد الى يوم القيامة ، ولا يمكن استيعاب نص الكتاب والسنة لكل ما يحتاج إليه في المستقبل ، وذلك الذي ذكرنا هو طريق الإسلام فكل ما خرج عنه فهو ضلالة في عرف الشرع ، وليس فيه خير مطلقا ، وأما البدعة التي قسمها بعض العلماء الى مورد الأحكام الخمسة ، فهو بدعة بالمعنى اللغوي، اي ما لم يكن في عهد الرسول والخلفاء الراشدين فإنه قد يكون واجبا كبناء دار القضاء ، ودار الإفتاء ، والمدارس الدينية ، وفتح مدارس الصناعات المهمة ، كإعداد العدة في مقابلة الأعداء وغيرها . وقد يكون مندوباً كبناء المنائر العالية والمنابر الرفيعة ، وقد يكون حراماً كما ظهر من الميسر وأسباب الفسوق ، وقد يكون مكروها كالتبسط في بعض المآكل والمشارب ، وقد يكون مباحاً كما عداها ، وأما البدعة بالمعنى الشرعي اي ما خرج من الأدلة الأربعة السابقة ، فهو حرام وضلال لا غير ، فليتنبه لذلك . وإلا لزم أن يكون ركوب السيارة ، وصرف الاوراق ضلالة .

وقولي : (كلام رب العالمين ..) بيان لبعض المهمات وهو أنه يجب على المكلف الداعي الى الحق أن يعلم أن هذا القرآن كلام الله تعالى ، وألقاه الى قلب جبرئيل الأمين لإيصاله الى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس من كلام جبرائيل ولا غيره من الملائكة ، أو الجن او الإنس قطعا ، وإنما هو تنزيل من رب العالمين وفي إلقائه إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ طريقان ، فقد كان في أوقات يتمثل جبريل بصورة إنسان شاب وجيه ويقرأ عليه ما يأتي به من القرآن كما روي أنه قد ظهر عنده بصورة (دحية) ، وقد كان يأتي بأن يظهر صوت كصوت الجرس ، ويسمعه الرسول فيتغير حاله الى أن يلقى إليه تمام ما أتى به من الآيات ، ثم يزول عنه ويغيب ، وهذا أشدّ أحوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أنه قد جاءه بصورة الرؤيا ، كما كان في مدة

ستة أشهر من أول أيام رسالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وعلى كل حال فبعدما ينفصل عنه الملك يقرأه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على من حضر من أصحابه ، ويأمر الكتاب بكتابته ، فقد كان له كاتبون وصل عددهم الى زهاء اربعة واربعين شخصا ألزمهم له زيد بن ثابت ، ثم الخلفاء الاربعة ، ثم غيرهم ، كما في كتب السير ، والسلف الصالح مشوا على ظاهر النصوص ، وقالوا بإثبات صفة الكلام لله تعالى وقدمها له بدون تمييز وتفصيل في الموضوع ، ولكن الخلف بعد المناقشات مع المبتدعة قالوا بأن القديم هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى ، وهو القوة المجردة عن الصوت والحروف ، وقالوا بأن الكلام اللفظي منه حادث لتركبه من الحروف المترتبة التي تؤكد حدوثها ترتبها في التلفظ . لكن المحققين منهم ، كصاحب المواقف ، قالوا بقدم الكلام اللفظي أيضاً ، وحولوا قدمه ووجوده الى علمه تعالى ، وقالوا : لا يجوز قياس كلام الباري على كلام الناس ولا القول بحدوثه بناء على القياس المذكور ، وذلك القياس باطل واشتباه وإلباس ، ولا قياس هنا أبداً ، ألا يرى أن حياته تعالى قديمة ، وليست مشروطة بالبنية والمزاج ؟ وعلمه تعالى قديم ولا يحتاج الى النخاع الشوكي وغيره ، مما يعتبر في علومنا ؟ وارادته تعالى قديمة مع براءتها من الانبعاث والشوق الموجود في ارادتنا ؟ وقدرته قديمة وبها خلق الكائنات ، وليست محتاجة الى الجوارح ، والأيدي ، وسائر الأجهزة الواجبة في استعمالها بالنسبة الى المقدورات .

وسمعه ، وبصره قديمان ولا يحتاجان الى ما نحتاج إليه في سمعنا وبصرنا كالصماخ في السامع ، والحدقة في العين ، فكذلك كلامه اللفظي قديم وقائم بذاته ولا يحتاج الى هذه الشرائط الموجودة عندنا ، ألا ترى أن الله تعالى يعطي العلم الشامل بكثير من المعلومات المتعددة بالإلهام في آن واحد . ولا يحتاج الى ذلك التدريج الموجود في تعليم الأساتذة تلاميذهم بالمعلومات الكثيرة فالحق إسناد الكلام مطلقاً إليه ، أي سواء كان وصفا نفسيا وذاتيا ، أو كلاما لفظياً ويحال ثبوته له الى علم بدون النظر في احتياجه الى ما نحتاج

إليه عندنا ، وهذا هو الأسلم • نعم إن الكلام اللفظي حادث ومحتاج الى الترتيب في التلفظ لكن عندنا فقط والله اعلم •

وسر وجوب إثباته له تعالى وجوب ثبوت كل كمال له تعالى ونفي كل نقص عنه ، ووجود الكلام النفسي ، وتحقق مبدأ الألفاظ كمال ، وضده ، وهو السكوت والخرس الذاتي ، نقص وجب تنزيهه تعالى عنه • وكذلك ثبوت الكلام اللفظي الذي هو مطابق لما يقتضيه الكلام النفسي كمال ، وضده ، وهو السكوت لفظا ووجود الخرس والعجز عن التعبير نقص ، يجب تنزيهه تعالى عنه •

ولا يقال إنهما حادثان بالقدرة الموجودة عنده إذا كان الكلام والتعبير مما يحتاج إليهما ، وذلك لأن كل أثر ناشيء عن القدرة بالاختيار ، لابد أن يكون حادثا ، لأن الموجودلأي شيء ناشيء عن إيجاده تعالى لذلك الشيء ، والإيجاد ناشيء عن القصد ، فيلزم حدوث ذلك الكلام الذي اعتبرناه كمالاً ، وإلا لزم خلوه تعالى عن بعض الكمالات في بعض الأوقات وهو محال : ومسألة ثبوت الصفات لذات الباري كمسألة وجود ذاته تعالى الثابت محققا بالأدلة القطعية ، فالحق القول بثبوتها له تعالى كثبوت الفردية للواحد ولا يناقش فيه ، كما لا نقاش في ثبوت لوازم الماهيات للماهيات ، فخذ هذا الأمر الأسلم •

ومما يجب أن يعتقده المسلم أن لفظ (كلام الله) مشترك بين الكلام النفسي والكلام اللفظي ، فيستعمل في كل منهما ، والمعين للمقصود قرينة الحال أو المقال ، كما ان لفظ القرآن مشترك بينهما ، لكنه قليلاً ما يستعمل للصفة النفسية ، لأن لفظ القرآن من القراءة ، وهي أنسب الألفاظ من المعاني ، وإن لفظ القرآن موضوع لمفهوم الكلام المنزل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإعجاز بسورة منه والتعبد بتلاوته ، ويستعمل للقليل والكثير منه بشرط أن يكون مركبا يوجد في نص الكتاب نحو (قل هو الله أحد ••)

و (قل هو الله) لا لفظ قل • وتترتب عليه أحكام القرآن من حرمة مسه بدون الوضوء وحمله مقصوداً بالذات وغيرهما •

وقولي : (دين مبين الى أبيات عديدة) بيان لبعض أوصــاف القرآن الكريم وهو أن القرآن دين وشريعة واضحة بالذات ، بشرط بيان ما يحتاج الى البيان منه وهو ختم للأديان في العالم •

قال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الآية • ولما كان الرسول خاتم المرسلين كان الكلام المنزل عليه خاتما للدين ، ولأحكام الإسلام ، وقد أكمل الله به دين المسلمين ، وهو موافق لجميع الكتب المنزلة من عهد سيدنا آدم الى الخاتم في المعتقدات ، فهم متحدون في العقائد ولكنه مخالف لها في الأحكام العملية ، فشريعة مــن قبلنا شريعة لنا بشرط تقرير شريعتنا لها ، فنأخذ ما وافقنا من حيث أنه مقرر في شريعتنا ، كما أن الكتب المنزلة قبل عهد سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخالــف بعضها لما تقدمه أو تأخر عنه إذا كان من الأحكام العملية •

وإنه ورد في القرآن نسخ بعض الآيات بالبعض تلاوة كما في آية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زينا فارجموهما البتة) • قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : فإنا قد قرأناها • أو في الحكم فقط ، وسره أن الأحكام تراعى فيها مصالح العباد ، وقد لا يلائم بعض الأحكام لبعض الأزمنة في أمة واحدة ، كما أنه نسخ دين سيدنا عيسى بعض احكام دين سيدنا موسى ، وهكذا وهو معلوم ، وإنكاره من الجهل بمعنى النسخ ، والقول بأن النسخ تخصيص أضل لأن التخصص للعام يبقي بعضا من أفراده ويزيل بعضا ، ولكن النسخ إزالة الحكم بالمرة ، وهذا ظاهر لمن تتبع الأصول •

وليعلم أنه لا نسخ بعد عصر النزول من أيّ فرد أو جمع لأنه معارضة للكتاب المنزل ومعارضته كفر واضح ، فافهم ذلك فإنه من مهمات العقائد •

وهذا القرآن الكريم يدعو الأنام الى أصول السعادة ، وهي الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر ، والى أداء أركان الإسلام ، وهي شهادة أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ وصيام شهر رمضان في كل سنة ، وإعطاء زكوة المال للمستحقين ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، ويدعو العقلاء البالغين الى التخلق بالأخلاق الحسنة من الصبر ، والصدق ، والوفاء بالعهد ؛ والسخاء بالمال لا سيما عند القحط والغلاء ، وبترك الرذائل النفسية من الكبر ، والعجب والحقد ، والحسد ؛ والفتنة ؛ والنميمة وغيرها .

فآداب المسلمين على ما قلنا اثنا عشر أدبا ، الإيمان بالأركان الستة ؛ واداء آداب الاسلام الخمسة بشرط الإخلاص ، وملازمة الأخلاق الحسنة مما ذكر . والله الموفق .

والقرآن يدعو ويأمر بإطاعة الله تعالى ، وإطاعة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعني بهما العمل بالكتاب والسنة ويدعو ويأمر بإطاعة أولي الأمر ، وهم المجتهدون سواء كانوا مجمعين على أمر دين ، فيكون إطاعتهم واجبة ؛ أو كان مجتهد واحد يرى رأيا في الدين وإطاعته جائزة لكل مسلم ، ويجب عليه أن لا يعمل عملا دينيا إلا بهذا الترتيب المذكور .

ويدعو القرآن الى الاعتقاد بأن المسلمين متساوون في الحقوق المشروعة، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى ، فأفضلهم أتقاهم ، وأرذلهم أشقاهم ؛ والتقوى احتراز عن الكفر والذنوب والكبائر وعن الرذائل والدنايا .

والقرآن يأمر بالعدل في الأحكام ، والمشاورة في المهمات ، وبأداء الأمانات ، وبمباشرة الأسباب لجلب الخيرات ، ولدفع الشرور والآفات ؛ ويأمر بإعداد العدة وكل صناعة ، وتحصيل أسباب القوة للجهاد في الدين ومعارضة الكافرين ، ونهي العصاة المارقين عن الدين ، ودعوتهم الى الحق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل ذلك من فروض المسلمين عينا ، أو كفاية ، كما يأمر

أمرا اكيدا بتعلم الدين من القرآن الكريم الى سائر العلوم الدينية الواجبة والمستحبة ، وتعلم الصناعات ، وسائر الأمور المهمة كالطب والاقتصاد وغير ذلك ، مما يحتاج إليه كيان الأسلام لاسيما الوحدة ، والأخوة ، والاعتصام ، ومنع الشقاق والنفاق بين المسلمين .

ومادام هذا الكتاب المبارك مشتملا على هذه المواد المباركة فهو كتاب الخلود ، ويبقى خالداً مع المسلمين الى يوم الدين .

وقولي : (وفي فصاحته ..) إيضاح لوصول القرآن درجة الإعجاز من وجوه عديدة :

الأول : إنه بلغ في فصاحة مفرداته وكلامه ، وبلاغة الكلام الى قمة لم يصل إليها أي لفظ آخر مفرداً أو مركباً ، تاماً ، ذلك لأن فصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابة ، ومخالفة القياس ، والقرآن الكريم حائز لوصف الفصاحة بالمعنى المذكور .

والبلاغة : مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، والقرآن وصل في هذه الصفة أعلى مقام الكلام البليغ ، والدليل عليه أن الله تعالى تحدى الأنام بمثل كل القرآن ، أو عشر سور من مثله ، أو سورة واحدة ، وقد عجزوا عن الإتيان به ، فبذلك ثبت أن القرآن معجز للأنام .

الثاني : أنه لا قدح ، ولا ذم ، ولا كذب في ثنائه على أي شيء يثني عليه ، وفي ذمه لأي شيء يذمه ، وأما غيره من عبارات الناس فلا يخلو من الكذب في مدحه وقدحه ، ومشتمل على الأدب الرفيع في عباراته .

الثالث : أن أسلوبه مخالف لأساليب كلام العرب مطلقا ، حتى أنه يخالف عبارة الرسول نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث تمتاز عن القرآن امتيازا واضحاً .

الرابع : إن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فكم من مطلق في محل يقيد في محل آخر بحيث يتضح معناه ، أو أن هناك بيانا من الرسول المخول بالبيان ، فأصبح القرآن واضحاً تستفيد منه الأمة أحكام الدين المبين .

الخامس : إنه مشتمل على جمل من الحكم المتقنة مثل قولـه تعالى : (وأتوا البيوت من أبوابها) • وقوله تعالى : (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) • وغيرها مما يطول ذكره ، فالقرآن رحمة للأمة ببيانه وإرشاده •

السادس : إنه مختص بوصف عجيب خارق ، وهو أنه كلما كرر القارىء قراءته ، فكأنه لم يقرأ تلك الآية من قبل ، وكلما سمع منه بعضا وجده كجديد لم يسمعه من قبل ذلك ، فيزداد نشاطاً لقراءته أو لسماعه •

السابع : إنه كلما تلونا عشر آيات منه ، وجدنا فيه حظا لكل السامعين على أيّ حال كانوا ، من أهل أي عمل وأي مكسب يجدون في تلك العشرة ما يناسب أحوالهم ، ولا تخلو عن نصيب للحاضرين •

الثامن : وصف يدرك بالوجدان لمن يؤمن به ، وهو أنه يحصل من قراءته ومن سماعه نور في قلبه تنجلي به الصدور ، وتذهب به الأحزان •

التاسع : إن ما فيه من الوعيد الحامض على مذاق الناس ، يقابل بحلاوة وعده ، فالوعد كأنه مستول على وعيده ، وتبشيره على تهديده ، وبعضه الآتي بالرحمة جابر لبعضه الآتي بالوعيد بالنقم ، ومعناه أن فيه في مقابلة الوعيد وعداً أكيداً مباركاً •

العاشر : إن منطوقه شاهد على بعض الأحكام ، ومفهومه شاهد على بعض احكام أخرى مخالفة لحكم المنطوق ، كما يستفاد من قوله تعالى :

(وإن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) يستفاد منه أن المعسر له حكم والموسر له حكم آخر •

الحادي عشر : إن فيه إخبارات بالغيب الماضي ، وذكر أشياء كانت في الماضي والناس يجهلونه ، وأشياء للمستقبل لا تدرك في الحال ، كما في قوله تعالى : (الم غُلبتِ الروم في أدنى الآرض وهم من بَعد غَلبهم سَيَغلبون في بضع سنين) • ويتكلم عما وراء الطبيعة الحاضرة فيتكلم عن الجنة والنار ،

والسموات السبع ، وسدرة المنتهى ، والبيت المعمور ، والكرسي ، والعرش وحملته في الدنيا وفي الآخرة ، واللوح المحفوظ .

الثاني عشر : من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، هو أنه مشتمل على دقائق علوم الكائنات العلوية والسفلية ، بحيث يصعب تعلمها على الناس من وجود المدارات للكواكب السيارة ، ووضع ميزان لدورانها بحيث لا تعارض حركتها على مدار حركة كوكب آخر ، فيقول : (والسماء رفعها ووضع الميزان) .

ويقول : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) .

ثم يعلن أن في الطبقات العليا موادا ملتهبة نارية لا يمكن النفوذ فيها ، والعبور عنها الى ما فوقها إلا بسلطان وقوة خارقة إلهية ، ، كما في المعراج للرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — ، أو بقوة علمية واختراع أسباب النفوذ والعبور ، وهذا للمنصف دليل قاطع وبرهان ساطع على أن القرآن كلام الله تعالى . ولا مجال للعلم بها وإظهارها من شخص أمي نشأ في مكان بعيد عن الحضارة والمدارس الرياضية ، والحال أنه لم يسافر الى محل كذلك للحصول عليها ، ولم يكن في محله من يعلمه ذلك ، ومع ذلك كله يتلو آياته بكل اطمئنان ، وسكينة نفس ، فكأنه أخذ درسها من علام ، أليس ذلك دليلاً على جلالة قدر الرسول ورسالته وانتساب هذا القرآن المبين الى العليم الخبير ؟

وهناك وجوه أخرى من دقائق الأسرار ، كاشتمال حروفها على فوائد ألهم بها العارفون بحيث تكتب الآيات ويستفاد منها خوارق العادات من قهر الظالمين ، ونجاة المظلومين السالمين ، ويفيد منع نفوذ الرصاص في لحوم الانسان والحيوان ، ويفيد بعون الله تعالى شفاء المرضى بالمرض النفسي ، والمرض البدني الاعتيادي ، وذلك معلوم عند أهل الخبرة بأولئك العارفين .

ووجوه أخرى نورية كانشقاق الحجر بالقراءة عليه ، وجـذب قلوب العصاة الى إطاعة الباري تعالى ، وتسهيل صعاب الأمور ، وشرح الصدور بإذن الله تعالى •

ولذلك المذكور من الوجوه وغيره من الأسرار ، ولتكامله من كل باب أعلن النبي على ملأ من خيار الناس في حجة الوداع أن الله تعالى أكمل بهذا القرآن العظيم دينهم ، وشريعتهم ، ولا يحتاجون الى نظام خارج عنه لمن طبقه حق التطبيق ، فأنزل الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا) ويرمز الى إكمال الدين تركيب الحرف الاول من أول القرآن أعني باء بسم الله الرحمن الرحيم مع الحرف الأخير من القرآن ، أعني سين الناس ، حتى يصير (بس) أي أن هذا بس ، ويكفيكم ، وحسبكم في حساب الدنيا والآخرة وذلك لمن اصطفاه الله من عباده الصادقين• فلم يبق للمؤمن الأمين في قلبه إلا الاستفادة منه بتلاوته مع الخشوع لصاحبه الذي نزله من عالم الغيب والعمل بمندرجاته الوافرة في مدة الحياة السعيدة • ولم يبق لنا نحن المؤمنين إلا أن نقول : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) •

وقولي : (آياته حسب نص الى آخر الأبيات) بيانه : أن قوله تعالـى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب ، وأخرُ متشابهات) الآية • يدل بالصراحة أن في القرآن الكريم نوعين من الآيات : الاول : المحكمات • والثاني : المتشابهات •

وقوله تعالى : (وأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فيا لعلم يقولون آمنا به كل منعند ربنا) • يدل بوضوح على أن نوع المحكمات واضح المراد وليس فيه إشكال يستصعب حله ، وأن نوع المتشابه فيه ذلك ، كما أنه مـن الواضح أن من المتشابه ما استأثر الله بعلمه مثل وقت بدء الخلق ، والإيجاد

للكائنات ، ووقت الساعة ، وسر القضاء والقدر وغيرهما • ومن المتشابه ماليس من المستأثرات ولكن يصعب حله كفواتح السور مثل : (الم ، وحم ، والمص ، وكهيعص ، وصاد ، وقاف ، ونون) • أو أنه لا يجوز انتسابه الى الله تعالى على ظاهره مثل قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) • وقوله (ويبقى وجه ربك) وقوله (وجاء ربك والملك) وقوله : (ولتصنع على عيني) وقوله (يد الله فوق أيديهم) وقوله : (بل يداه مبسوطتان) • وذلك لأن الله تعالى لا يماثله شيء من الجسم والجسمانيات ، ولا تركيب في ذاته من الأجزاء ، لأن ذلك يستلزم الحاجة والله بريء منها • فالعلماء من السلف والخلف اتفقوا على أن ما استأثر الله بعلمه لا يعلم تأويله إلا الله ، ووجب بالنسبة الى هذا البعض الوقف على لفظ الجلالة ، حيث لا يعلم تأويله إلا الله ، وأن ما عدا المستأثرات مما يعلم الراسخون في العلم معانيها بالتأويلات الصحيحة السليمة المناسبة يعلم تأويله ، لكن اختاروا الوقف على لفظ الجلالة أيضاً ، لأن ذلك أسلم وآدب •

فلا يبقى مجال تخالف بين السلف والخلف ، إن الوقف على لفظ الجلالة واجب بالنسبة الى المستأثرات ، وإن الوقف على لفظ العلم حق بالنسبة الى غيرها ، ومع ذلك فالعلماء الأعلام اختاروا بالنسبة الى غير المستأثرات تأويله بالتأويلات المناسبة ، كتأويل (الاستواء) في الرحمن على العرش استوى بالاستيلاء والتصرف الكامل فيه ، وتأويل الوجه بالذات ، والعين بالعلم ، واليد بالقدرة ، واليدين بالقدرة الإيجابية ، كالإعزاز ، والإعطاء • والقدرة السلبية ، كالمنع ، والاذلال ، والإماتة ، وذلك لأن الله تعالى أنزل الكتاب للهداية والإرشاد الى الصواب فبيان المعاني ، ولو بالتأويل الصحيح أوفق بإرشاد الأنام ، وأما ما ذهب إليه بعض من المتنطعين من حمل هذا النوع على ظواهرها بشبهة عدم التعطيل في الآيات ، والقول بالكيفية مثلاً يقولون :

استوى على الظاهر وكيفية الاستواء مجهولة ، فهذا القول فاسد لإفضائه الى القول بالجسم ، والتركيب للباري ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

وقول الإمام أبي الحسن الأشعري ـ رضي الله عنه ـ : بالإيمان بهذا الفرع ، لكن بلا كيف ، فمعناه ، إنا نؤمن بتلك الآيات أنها حق وحقيقة واردة من الله تعالى ، ولكن لا نقول بكيفية ربطها ، ونسبتها الى ذاته تعالى لتنزهه تعالى عن أوصاف الممكنات المفضية الى الحاجة المنافية لذاته تعالى . وإياك أن تنسب الى الإمام الأشعري ما يقول به المبتدعة ، فإنه على ما عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من الإيمان بها وتفويضها الى الله سبحانه وتعالى .

وقولي : (نزل هذا الكتاب .. الأبيات) إشارة الى الأحرف السبعة الواردة .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل استزيده ، ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف . زاد مسلم ، قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحدا ، لا يختلف في حلال ، ولا حرام ، وأما معنى الحديث الشريف ففيه وجوه كثيرة جداً ، والمختار من بينها أن معنى نزول القرآن على سبعة أحرف نزوله على سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، وإن جاء على سبعة ، أو أكثر ، ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن .

فالأحرف بمعنى الأوجه على معنى أن وجوه الاختلاف لا تتجاوز سبعة أوجه ، مهما كثر ذلك التعدد ، والتنوع في أداء اللفظ الواحد ومهما تعددت القراءات ، والطرق في الكلمة الوحدة .

فكلمة (مالك يوم الدين) التي ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة ، أو العشرة . وكلمة (وعبد الطاغوت) التي ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة ، وكلمة (أُفٍّ) التي اوصل الرمّاني لغاتها الى سبع وثلاثين لغة ، كل ذلك لا يخرج التغاير فيه على كثرته عن وجوه سبعة . بقي أن تتساءل : ماهي تلك الوجوه السبعة التي لا تخرج القراءات عنها مهما تنوعت وتكثرت في الكلمة الواحدة ؟ والذي اختاره المحققون من بين الآراء العديدة ، هـو ما ذهب إليه الإمام أبو فضل الرازي في اللوائح ، إذ يقول : الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف .

الأول : إختلاف الأسماء من افراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير ، وتأنيث .

الثاني : إختلاف تصريف الأفعال من ماض ، ومضارع ، وأمر .

الثالث : وجوه اختلاف الإعراب .

الرابع : الاختلاف بالنقص ، والزيادة .

الخامس : الاختلاف بالتقديم ، والتأخير .

السادس : الاختلاف بالإبدال .

السابع : إختلاف اللغات ، يعني اللهجات كالفتح ، والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والإظهار ، والإدغام ، وغير ذلك .

والتمثيل لكل ذلك موجود في الكتب المعتمدة ، ومن أراد الإطلاع عليها فليراجعها ، ومن جملتها « الجزء الأول (من مواهب الرحمن في تفسير القرآن) » الذي وفقني ربي برحمته لتأليفه في أواخر حياتي في مدرسة سيدنا الشيخ عبد القادر الگيلاني ـ نور الله روحه آمين .

وقولي : (كتبها كاتبون ...) حاصله : أنه كلما نزل الوحي عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قرأ الآيات النازلة على من حضر عنده ويأمر الأصحاب بكتابته ، لحفظه ، وصيانته ، وقد وصل عدد الكتاب على اختلاف الأوقات الى

اربعة وأربعين شخصاً ؛ ألزمهم له ــ صلى الله عليه وسلم ــ زيد بن ثابت ، ثم الخلفاء الراشدون ، ثم غيرهم من الصحابة ، ومنهم في أواخر حياته معاوية بن أبي سفيان ، فإنه كان أخا أم حبيبة زوجته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويحضر عنده كثيراً •

ثم هذا القرآن الكريم منذ نزوله الى زماننا هذا تلقاه أفراد المسلمين من الجيل الأقدم ، وهكذا الى الصحابة الكرام الاخذين له منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مشافهة ، وكل آية من آياته التي بلغت ستة آلاف وستمائة وست وستين ، متواتر ، ومعلوم لنا علما يقينياً بلا شبهة ، وقد احتاط الأصحاب في حفظه ، وكانوا لا يكتبون مع القرآن شيئاً آخر قط ، حتى النقاط ، والأشكال، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء عن المسلمين •

الاصحـاب الكـرام

مسجـــدك الجامـــع اللامـــع بالحكـم
بالعلـم فـي الديـن والارشـــاد للأمـم

لـــدرس الأخـــلاق بالتعليـــم لـلأدب
تنويـر الآفـــاق مـــن توحيـــد ذي القدم

وكلمـــا كنـــت بالأصحـــاب تجتمـــع
كانـــوا كهالـــة بـــدر فـــي سمـــا الكـرم

ما كنـــت شمـــس السمـــا إذ حيثمـــا ظهـرت
أخفـــت نجومـــا وغابـــت فـــي خطـــا الظلم

بـــل أنـــت شمـــس الهـــدى للعالمـين إذا
ظهـرت أظهـــرت نـــور الحـــق فـــي الأمـم

يا مرحبـــاً بمقـــام كنـــت فيـــه وقـــد
اجتمعـــت عندكـــم صحـــب أولـــو همـم

ينغمـــر الصحـــب فـــي الأنـــوار قاطبـــة
حيـــث تجلـــى عليـــك اللـــه بالكـــــرم

يـــا صاحـــب الفضـــل بالأنـــوار ساطعـــة
يا صاحـــب النـــور فـــي صـــدر علـــى همـم

لا ينقـــص النـــور منكـــم لـــو أتـــى قبـس
ينيـــر قلبـــي وينجينـــي مـــن السقـــم

يا مرجبـــا بمقـــام فيـــه أصحابكـــم
أصحـــاب رشـــد وأهـــل القـــدر والقيـــم

هم الأولى كالنجوم في سماء الهدى
بهم هدى المقتدي في موجة الظلم
هم آمرون بمعروف لدى ربهم
ناهون عن منكرٍ ولو من اللمم
ضحّوا بأموالهم ضحّوا بأنفسهم
على استقامتهم في الحرب والسلم
واضطهدوا واستقاموا فوق ملتهم
وصبروا تحت غدر المشرك الآثم
وكلما عذبوا كانوا كمن شربوا
عذبا فراتا على عطش من السقم
وهاجر البعض منهم هجرتين إلى
حبشة دونما وحشة أو نقم
وهاجر الكل بعد هجرة المصطفى
لطيبة الطيبة الصحراء والأكم
واذ مضت أشهر سبع من الهجرة
إذن القتال أتى في الحل لا الحرم
وفي سنين غزوا وبانتصار نجوا
ونشروا ملة الإسلام في الأمم
نحو ثلاث وستين غزوا غزوة
منتصرين بنور العزم والهمم
في نحو ست وعشرين بها المصطفى
يا حبذا قائد الأبطال ذو الحكم
لهم مواقف فضل في الحروب كما
قد جاءنا الخبر الثابت بالرقم

يطول شرح الجميع للجميع كما
ظهر أبررها كأسطع الأنجم
أشهرها بدرنا الكبرى ، وخيبرهم ،
وخندق شهدت بقوة الهمم
وغطفان بها واقعة وقعت
تليق تكتب بالنور على الرقم
ليست حديبية من الحروب ولو
قد بايعوك على حرب أولي النقم
والله أثنى عليهم في المبايعة
بأن يد الله فوق الأيدي بالكرم
وغزوة أحد والناس في كبد
من ترك أمر الرسول صاحب الهمم
وفتح مكة ذات القدر أم القرى
بصلح أو عنوة في جانب الحرم
حرب حنين وإذ أعجبتهم كثرة
فجاءهم نصرة من بعد منهزم
وهاجموا المشركين في حروبهم
مثل الأسود إذا هاجت على غنم
تحت فوارق حرفٍ نصر ملتنا
اوفى بوارق سيف جاء بالحشم
ومن رأى صولة الأصحاب فيها درى
بأنهم أشجع الأبطال في الأمم
وحاربوا لحداد السيف والمقصد
إعلانهم كلمات الله في العالم

في زمنٍ عاجل سار بالأنام بما
فيهم من الروم والأقباط والعجم
فسخروا القبط أهل العجل من خجل
وسخروا جيش كسرى ملك العجم
وهددوا دولة الروم لشوكتهم
فارتعشت أصبع الكتاب بالقلم
وجددوا جملة التوحيد خالصة
وبعدوا طالبي الإشراك بالصنم
من عدلهم كان للناس آمال وهم
قد أرشدوا الناس للإخلاص والقيم
لما أتى موعد التوديع من كلف
ووقت وصل لرب البيت والحرم
قد أعلن المصطفى حجا إلى بيته
وأقبل الصحب أهل الفضل والكرم
توجهوا نحو بيت الله بالشغف
شوقاً إلى البيت ميلاً نحو ملتزم
لبيك لبيك في صعد وفي نزل
داعين عفو الإله الحاكم الحكم
طوبى لمن حج بيت الله ذي المدد
مع الرسول رسول الفيض والكرم
فقد يلبى وكشف الأنبياء له
هذاك موسى، وذا عيسى على أكم
مائة ألف وزادت أربع ألفا
في هذه الحجة المبروكة الشيم

في عرفة نزلت (اليوم اكملت) إذ
جاء الختام لدين الحق بالكلم
هو الطواف ببيت الله ذا شرف
قد حرم المتعة المقوت بالحرم
مع كثرة في (غدير الخم) إذ رجعوا
ألقى لهم خطبة جامعة الحكم
كانت أصولاً لهم في الدين خالدة
والجمع جم غفير حادٌ عن تهم
فاستمعوا واستفادوا الدين عن رشد
وبلغوا غيرهم عن صحة الهمم
وكيف لا وهم الأركان في ديننا
أولو الأمانة في البليغ للأمم
وغزوة أحد جاؤا على عدد
لأخذ ثأر من الأصحاب بالنقم
والعين في رمدٍ من حادث أحد
من كيد ملتحد في أسوأ الشيم
والشمس في كسف ، والنفس في أسف
والبدر في خسف ، والدهر في الظلم
ومن مخالفة المولى الجليل حوى
ما فاجأ الجيش جيش العزم والهمم
فانهزموا وبقي حول النبي عدد
ممن لهم مدد في الحرب والسلم
من المهاجر والأنصار أهل فدا
لحضرة المصطفى في ساعة السأم

نضر ، زبير ، وصديق ، ومصعبهم
كانوا على غاية من قوة القدم
وابن قمأة أفنى مصعبا وأتى
بقتل حمزة وحشي على هجم
طوبى لمن قد تأذى في سبيل هدى
ويل لمن قد جفا بالرمح والسهم
ويل لمن جرح المحبوب في خده
خد أصيل كدر الأبحر الخضم
بحيث قد كسرت له رباعية
من جانب الأيمن الأسفل عند الفم
وغاص في وجهه الدرع وأخرجه
بمصه ابن عوف صاحب الكرم
وكسرها نصرة في حالة العسرة
تبقى لنا في امتداح سيد الأمم
روحي فداء لطبع كان معتدلا
في العيش والطيش والايذاء والنقم
وكان دأبهم الفداء بالفرح
للمال والجاه والنفس بلا ألم
كحرب مؤتة حربا في جفا وقعت
طبقا لما قد بدا من سيد الأمم
جيش قليل لهم مع قلة العُدد
للكفر جيش كثير العد والنعم
زيد بن حارثة شهيد كارثة
قل المثال لها في نكبة الأمم

وجعفـر قطعـت منـــه اليـــدان ولـــم
تنـزل الرايـــة العليـــا مـــع الألــــم

فبـــدل اللـــه بالإحســـــان أيديـــه
ممـــا يطيـــر بـــه في جنـــة النعـــم

وابـن رواحـــة راحـت روحـــه بصفـــا
مستشهـــدا بالوفـــا للفـــوز بالنعـــم

قـــد باعهـــم ربهـــم جنـــات رحمتـــه
بمـــا لديهـــم مـــن النفـس ومـن حشـــم

طوبـى لهـــم طيبـــات ذات مفخـــرة
تبـــدو علـــى أعيـن الأعـــلام كالعلـــم

طوبـى لمستشهـدي الأصحـــاب فـي أحـــد
فـــي البـدر فـي خنـدق فـي خيبـر النعـم

طوبـى لمـن جـــال حـــول المصطفـى بصفـــا
فـــي الغـــزوات علـى الأقـــدار والقيـــم

أحســـن بمقبـــرة المستشهديـن بهـــا
روح وريحـــان زهـــر روضـــة الكـــرم

سقـــوا بســـاتين الإســـلام بعيـــن دم
تجـــري كانهـــار جنـات علـى علـــم

لمـــا أظهـــر العجـــب فـي بـــدر بنصرتـــه
ولا استكانتـــه فـــي الاحـــد بالنقـــم

هـــذا هـــو الخلـق المخصـوص بالشـرف
خلـق عظيـــم عجيـــب مـن أولـي الهمـــم

وكـــان فـي كسرهـــا قسـم مـــن الحكـم
يـــدري بهـــا العاقـــل الموصـوف بالحكـــم

كي يستقر الثرى من طوع خير الورى
مما جرى أو يرى مستقبل الأمم
ويعلم الصادقون وأولو كذب
أهل النفاق وأهل الغدر والنقم
وعندنا أسف ومحنة كلف
عمالهم أسلفوا من صاحبي الكرم
للأربعين من القراء أهل هدى
بقدر قوم بعين فاقدي الذمم
دعا عليهم رسول الله في مدة
حتى أتى (ليس لك) من منبع الحكم
والعارفون أولو فضل ومنقبة
ذاقوا جفاهم كحلو في مذاق فم
وكم أتت محنة في طيها رحمة
ومنحة ترتجى من أفضل النعم ؟
وكم جرت جولة لهذه الدولة
ناتجها صولة من صاحبي الهمم ؟
والعاديات أتت في دولة قد أتت
خيولها بميول الخير والكرم
وأنت يا سيدي في كنف الصمد
مطالب عدداً من صاحبي الهمم
وجاءكم مدد ، أو جاءكم عدد
من عالم الغيب من مولاك ذا كرم

قولي : (المسجد) اسم مكان مشتق من سجد يسجد من الباب الأول ، وقياسه المسجد بفتح العين ، ولكنه يقرأ بكسرها على الشذوذ ، وقولي :

(الجامع) صفة المسجد لبيان أن ذلك المسجد كان مهماً بالنسبة للمسلمين ، وتقام فيه الجمعة ، والجماعات ، والنسبة مجاز لأن الجامع هو الله تعالى خلقا والخلائق كسباً . والفرق بين المسجد والجامع عرفاً : هو اختصاص الجامع بما تقام فيه الجمعة ، وخطبته ، والمسجد للجماعات الأخرى . وقولي : (اللامع بالحكم) صفة إيضاحية ، معناه أن : هذا المسجد الجامع المبارك يبرك ويظهر بدرس الحكمة فيه ، والحكمة في الاستعمال اللغوي لكل قول ، وفعل سديدين ، وفي عرف الحكماء هي العلم بأحوال الأمور الموجودة من الأعيان والأعراض الموافقة للمواقع بحسب الطاقة البشرية .

فإن كانت تلك الامور أعمالاً اختيارية ، فالعلم بها يسمى بالحكمة العملية ، وإلا فيسمى حكمة نظرية ، والأول إن كان متعلقا بالإنسان في ذاته فتسمى علم تهذيب الأخلاق ، وإن كان متعلقا بأحوال أهل البيت ، والمجاورين له فهو علم تدبير المنزل ، أو بأحوال الإنسان أينما كان ، فعلم سياسة المدن ، والثاني إن كان مما لا يحتاج البحث عنه الى اعتبار المادة لا ذهنا ، ولا خارجا كذات الباري ، وصفاته ، فيسمى بالحكمة الإلهية ، أو في الذهن والتعليم ، وإن كان محتاجا إليها في الخارج ، فيسمى بالحكمة الرياضية ، أو كان محتاجاً إليها فيهما كعلم الطب ، والزراعة ، فيسمى بالحكمة الطبيعية ، وكل ما ذكرنا يتفرع من علاقة النفس بالله تعالى ، لاكتساب العلوم والإدراكات ، وتسمى هذه العلاقة بالعقل النظري ، وأما علاقة النفس بذاته تعالى لاكتساب الأعمال فهذه تسمى بالعقل العملي : وهي قوة الاستنباط والتصرف التي بها يمكن من استنباط الصناعات ؛ وتتفرع منها الحكمة العملية المفسرة بالقيام بالأمور المطلقة على ما ينبغي عملا أو علما ، وقد نطلق لفظ الحكمة على هذه العلاقة الأخيرة ، كما يطلق على معنيين آخرين .

الاول : القيام بالأمور على ما ينبغي ، وهو المراد بقوله تعالى : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) .

والثاني : التوسط للنفس بين الجربزة والغباوة ، فللحكمة أربعة معان كما هو دائر بين أهل العلم •

وقولي : (وكلما كنت بالأصحاب تجتمع ••) الأصحاب : جمع صاحب بمعنى من صاحب إنساناً كيف كان ، وأما الصاحب للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو من اجتمع به مؤمنا به ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومات على الإيمان . وإن لم تكن صحبته له طويلة ، ولم يغز معه ولم يروِ عنه •

يقول جلال الدين المحلي : أنه قد يأتيه البدوي الجلف فيتشرف بصحبته قليلاً . ثم يرجع الى محله ، ويتكلم بما يعجب العقلاء من الألفاظ المفهمة للمعاني السامية من بركة تلك الصحبة القليلة ، فكيف بالصحبة المديدة ، نعم من طالت صحبته ، وزادت محبته وغزا معه ، وتحققت محنته أو روي عنه أحاديث ، فله زائداً على شرف الصحبة أجور كثيرة •

وقولي : (ما كنت شمس السماء •••) معناه : إنك يا سيدي لست كالناس الاعتياديين الذين يبخلون بما عندهم لاتباعهم إلا ما قل ، بل أنت بعثت رءوفاً رحيماً بالناس ، بل بعثت رحمة للعالمين ، ونورك نور" يظهر في وجوه أصحابك الكرام • يقول مولانا وسيدنا الحضرة (مولانا خالد) : من مهمات المسلم أن يعتقد أنه لا تخلو مسافة من الأجرام العلوية أو السفلية ، إلا وفيها حظ من هذه الرحمة المبعوث بها للعالمين ، لأن بركات حضرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ مستمرة الى يوم القيامة والمسلمون يستفيدون من صلواتهم عليه ، أو خدمة دينه ، أو ذكريات مناقبه الشريفة بحسب مستواهم ، وإن أرواحهم بوارق مشرقة في العالم ولا تتقيد بقبورهم ، أو بمحل خاص كالسدرة ، أو الجنة ، أو العرش ، أو غيرها بل سائرة بها ، حيث شاؤا بمشيئة الله تعالى • وكذلك أرواح سائر الرسل ، والأنبياء ــ عليهم الصلوات والسلام ــ طلقاء في العالم ، ويقول مولانا الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ــ نور الله روحه وأرواح سائر الأولياء ــ : من لم يكن مرشده يرشده ويربيه ، فليداوم

على الصلوات على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى تحصل المناسبة معه ويستفيد من روحه الشريف ما يريده من الأنوار ، والبركات بإذن الله ، ومن هنا يقول الناظم بتضرع : يا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نورك المحيط الهادي لا ينقص بشعلة منه تتفضل بنزوله الى قلب هذا الخادم الخالي عن الفضل ، لعله يتنور ، ويستقيم استقامة يستفيد منه حسن الخاتمة •

وقولي : (هم آمرون بمعروف) إشارة الى تطبيق قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) فالظاهر أن جملة (تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) ليست حالاً حتى تفيد أنهم خير أمة في حال كونهم آمرين وناهين ، وإذا لم يكونوا كذلك لا تبقى فيهم الخيرية بل إنها جملة مستأنفة وتفيد كما أنه تقرر في علمه تعالى أنهم (خير أمة أخرجت) استقر في علمه تعالى أنهم دائما آمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر بحسب الاستطاعة ، وكانوا كذلك والحمد لله •

وقولي : (ضحوا بأموالهم •• الأبيات) حاصله : أنه كان للأصحاب الكرام مقامان ، مقام قبل هجرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة المنورة ومقام بعدها ، فهم في المقام الاول لم يكونوا مأذونين في القتال ، ولم يكن لهم فيه مجال ، وكانوا تحت غدر المشركين ، وكانوا يعذبونهم أنواع العذاب البدني بالضرب ، والكوي ، والعذاب النفسي بالتحقير بوجوه كثيرة ، ومع ذلك فقد كانوا ثابتين على دينهم وصابرين على اذى المشركين . كانوا يعذبون بلالا على ترك التوحيد ، ويقول : أحد أحد ، فجزاه الله تعالى بأن جعله مؤذن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفي هذا التاريخ يذكر اسمه مع اسم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الفواتح ، بل كانوا يعدون عذابهم من المشركين كشرب الماء العذب عند شدة الحرارة والعطش •

ولما أخرجت قريش بني هاشم ، وبني المطلب الى شعب أبي طالب أمرهم بالهجرة عن مكة ، فهاجروا الى الحبشة ، وبقوا مدة ، ولما سمعوا بسجود

المشركين مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند سجدة سورة النجم ، ظنوا تندم المشركين ، فرجعوا الى مكة ، ولما علموا باستمرارهم على ما كانوا عليه هاجروا مرة ثانية الى الحبشة ، فبقوا فيها الى ما بعد هجرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهاجروا الى المدينة المنورة •

ولما اجتمع المهاجرون في المدينة المنورة ومضت على الهجرة سبعة أشهر ، نزلت آية الإذن في قتال المشركين •

وفي الأنوار المحمدية : وأذن الله تعالى لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالقتال • قال الزهري : أول آية نزلت في القتال قوله تعالى : (أُذن للذين يُقَاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير) • فبعث ــ صلى الله عليه وسلم ــ البعوث والسرايا ، وغزا ، وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وكان عدد مغازيه ــ عليه الصلاة والسلام ــ التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين ، قاتل في تسع منها بنفسه (بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف) وسراياه التي بعث فيها سبع" وأربعون سريّة ، أولها سرية حمزة ــ رضي الله عنه ــ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، فخرجوا يعترضون عيراً لقريش ، فلم يقع حرب ، ثم سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب الى (بطن رابغ) في ستين رجلاً ، لقي أبا سفيان بن حرب ، وكان على المشركين في مائتين فلم يكن بينهم قتال ، ثم سرية سعد بن أبي وقاص الى (الخزار) ــ وادٍ ــ في عشرين رجلاً يعترض عيراً لقريش ، فوجدوها قد مرت بالأمس •

غــزوة ودان

ثم غزوة (ودّان) ، وهي الأبواء ، وهي أول مغازيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرج من المدينة في صفر على رأس اثني عشر شهرا من الهجرة ، يريد قريشاً ، في ستين رجلاً ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب ، واستعمل على

المدينة سعد بن عبادة ، فكانت الموادعة الى المصالحة على أن : بني ضمرة لا يغزونه ، ولا يكثرون عليه جمعاً ، ولا يعينون عدوا .

غزوة بواط

ثم غزوة بواط ، وهي الثانية ، غزاها ــ صلى الله عليه وسلم ــ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ، في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش ، أُمية بن خَلف الجمحي ، فرجع ولم يلق حرباً .

غزوة العشير

ثم غزوة العشيرة (وهي موضع لبني مدلج ، بينبع) خرج إليها ــ صلى الله عليه وسلم ــ في جمادي الاولى ، وقيل في جمادي الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة ، في مائة وخمسين رجلاً ، وقيل مائتين ، ومعهم ثلاثون بعيراً ، وحمل اللواء ــ وكان أبيض ــ حمزة ، يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة ، فخرج إليها ليغنمها ، فوجدها قد مضت ووادع بني مدلج من كنانة على أن ينصرهم وينصروه ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

غزوة بدر الاولى

ثم غزوة بدر الاولى أغار كرز بن جابر الفهري ، على سرح المدينة بعد غزوة العشيرة بعشرة أيام ، فخرج ــ صلى الله عليه وسلم ــ في طلبه حتى بلغ (سفوان) ــ موضع من ناحية بدر ــ ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الأولى ، وحمل اللواء علي ابن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ .

سرية عبدالله بن جحش

ثم سرية عبد الله بن جحش ، وكان معه ثمانية من المهاجرين الى (نخلة) على ليلة من مكة ، في رجب ، يترصد عير قريش ، فمرت به تحمل زبداً ، وتمراً ، وأدماً من الطائف ، فيها عمرو بن الحضرمي ، فقتلوه ، وأسروا عثمان

بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وهرب من هرب ، واستاقوا العير ، فكانت أول غنيمة في الإسلام •

غزوة بـدر الكبـرى

ثم غزوة بدر الكبرى ، وهو يوم الفرقان ، الذي أعز الله به الإسلام وأهله ، وأذل فيه الشرك مع قلة عدد المسلمين ، وكثرة عدد المشركين ، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد ، والعدّة الكاملة ، والخيول المسومة ، والخيلاء الزائدة ، ولذلك امتن الله على المؤمنين بقوله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وكان خروجهم ليوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة ، وخرج معه الأنصار ، ولم يخرجوا معه قبل ذلك ، وكانت عدة من خرج معه ثلاثمائة ، وثمانية لم يحضروها وإنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم ، فكانوا كمن حضرها ، وكان معهم ثلاثة أفراس للمقداد ، والزبير ، ومرثد الغنوي ، وكان معهم تسعون بعيرا أما المشركون فكانوا ألفا ، ومعهم مائة فرس وتسعمائة بعير ، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان ، وكان خروجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقصد التعرض لعير قريش القادم من الشام ، في قافلة عظيمة ، فيها أموال قريش ، وعليها أبو سفيان ، في ثلاثين راكبا ، فلما بلغ ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأصحابه (الروحاء) أتاه الخبر بمسيرة قريش ليمنعوا عن عيرهم ، فاستشار النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصحابه وقال : إن الله وعدكم إحدى الطائفتين ، إما العير ، وإما قريش • فقام أبو بكر فقال ، فأحسن ، ثم قام عمر فقال ، فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك • والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى (برك الغماد) ــ يعني مدينة

الحبش ــ ، لجالدنا معك من دونه فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : خيــرا ودعا •

ثم قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أيها الناس ــ يريد الأنصار ــ ، فقال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر ، فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا ، وإنا لصبر عند الحرب ، وصدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله تعالى • فَسُرَّ ــ عليه الصلاة والسلام ــ بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله تعالى ، وأبشروا ، فإن الله قد وعدنا إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم • وعين مصارعهم ، فما تعدّوها •

ثم ارتحل ــ صلى الله عليه وسلم ــ قريباً من بدر ، وترك قريشا بالعدوة القصوى وبني له ــ صلى الله عليه وسلم ــ عريش فكان به ، ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ودعوا الى المبارزة ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ، فقالوا : مالنا بكم حاجة • ثم خرج إليهم بأمر رسول الله عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وحمزة ، وعلي ابن أبي طالب ، فبارز حمزة شيبة ، فقتله ، وبارز علي الوليد فقتله ، واختلف بين عبيدة وعتبة ضربتان ، فأثخن كل صاحبه ، فمال حمزة على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة ، واستشهد بعد ذلك من تلك الجراحة ــ رضي الله عنه ــ ثم تزاحف الناس ، ودنا بعضهم مــن بعض ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في العزيش ، ومعه أبو بكر فقط ، وهو يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم ، فلا تعبد في الأرض أبدا •

ولما نظر ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكثرة المشركين ، وقلة المسلمين ، قام ، فركع ركعتين ، وقال وهو في صلاته : اللهم لا تخذلني ، اللهم أنشدك ما وعدتني • ولما كان في العريش ومعه الصديق أخذته ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة من النوم ، ثم استيقظ مبتسماً ، فقال : أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ـ أي الغبار ـ ، ثم خرج من باب العريش يتلو : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وأمد الله المسلمين بألف من الملائكة ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف ، وكانت الملائكة لا تعرف كيف تقتل الآدميين ، فعلمهم الله تعالى بقوله : (فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان) وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر ، وفيما سواه كانت عَدَداً ومدداً ، وكانت سيماهم يوم بدر عمائم بيض ، ويوم حنين عمائم خضر ، وعن سهل ابن حنيف عن أبيه قال : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه الى المشرك ، فيقع رأسه عن جسده ، قبل أن يصل إليه السيف ، ولما التقى الجمعان تناول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفاً من الحصباء ، فرمى به في وجوههم ، وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه شيء ، فانهزموا • وقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أُسِر من أشرافهم •

وقال ابن إسحاق : وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه ، حتى انقطع بيده ، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأعطاه جزلا من حطب ، فقال له : قاتل به ! فهزه ، فعاد في يده سيفاً طويل القامة أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى (العون) ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى قتل وهو عنده ، وجاءه عليه الصلاة والسلام ـ يومئذ معاذ بن عمرو يحمل يده ، ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلده ، فبصق عليه الصلاة والسلام ـ عليها فلصقت ، فعاش بعد ذلك الى زمان عثمان ـ رضي الله عنهما ـ وأمر ـ صلى الله عليه

وسلم ــ بقتلى المشركين أن يطرحوا في (القليب) ، فطرحوا فيه . فأتاهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وناداهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقا . قال عمر : كيف تكلم اجساداً لا ارواح فيها ؟ قال : ما أنتم بأسمع منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً . قال ابن مرزوق : ومن آيات بدر الباقية ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج : أنهم إذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ، ويرون أن ذلك لنصر أهل الإيمان ، وكنت ربما أنكر ذلك ، وربما أتأوله ، حتى من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع الشريف ، فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً المرة بعد المرة يومي أجمع !

وقد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، وقتل من المشركين سبعون ، وأسر سبعون ، ولما فرغ ــ صلى الله عليه وسلم ــ من بدر في آخر رمضان ، بعث زيد بن حارثة بشيراً ، فوصل المدينة ضحى ، وقد فرغوا من دفن رقية بنت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان عثمان رضي الله عنه ــ تخلف عن بدر لتمريضها ، فضرب له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بسهمه ، وأجره . ثم سرية عمير بن عدي الخطمي ، الى عصماء بنت مروان ، وكانت تعيب الإسلام وتعادي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجاءها عمير ليلاً فقتلها ، ثم صلى الصبح مع النبي بالمدينة ، وأخبره بذلك ، فقال : لا ينتطح فيها عنزان .

غزوة قرقرة الكدر

خرج ــ عليه الصلاة والسلام ــ بعد بدر بسبعة أيام يريد بني سليم ، فبلغ ماء يقال لها (الكدرة) ، أقام ثلاثا ، وقيل عشراً ، ولم يلق أحداً ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

سرية سالم بن عمير

الى أبي عفك اليهودي ، وكان يحرض على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ويقول فيه الشعر ، فأقبل إليه سالم فقتله .

غزوة بني قينقــاع

بطن من يهــود المدينة ، وكانت يوم السبت ، نصف شــوال في رأس عشرين شهراً من الهجرة ، وقد كان الكفار بعد الهجرة مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ثلاثة أقسام : قسم وادعهم ــ عليه الصلاة والسلام ــ على أن لا يحاربوه ، ولا يألبوا عليه عدوه ، وهم طوائف اليهود الثلاثة (قريظة ، والنضير ، وبني قينقاع) وقسم حاربوه ، ونصبوا له العداوة كقريش . وقسم تركوه ، وانتظروا ما يؤل إليه أمره كطوائف من العرب ، فمنهم من كان يحب ظهوره ، ومنهم من كان معه ظاهراً ، ومع عدوه باطناً ، وهم المنافقون . وكان أول من نقض العهد من اليهود بني قينقاع ، فحاربهم ــ عليه الصلاة والسلام ــ في شوال ، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أن له أموالهم ، ولهم النساء والذرية ، وأمر أن يجلوا من المدينة ، فلحقوا بأذرعات ، وأخذ من حصنهم سلاحاً وآلة كثيرة .

غــزوة الســـويق

ثم غزوة السويق في ذي الحجة يوم الأحد لخمس خلون منها ، علــى رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة ، وسميت بذلك لأنه كان اكثــر زاد المشركين السويق وغنمه المسلمون ، وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر أن لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمدا ــ عليه الصلاة والسلام ــ فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه ، حتى أتوا (العريض) ــ على ثلاثة أميال من المدينة ــ فحرقوا نخلاً ، وقتلوا رجلاً

من الأنصار ، وانصرفوا راجعين ، وخرج عليه الصلاة والسلام ــ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار . وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرُبَ السويق ، وهي عامة أزوادهم يتخففون للهرب ، فيأخذه المسلمون ، ولم يلحقهم ــ عليه الصلاة والسلام ــ فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام .

وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة ــ رضي الله عنهما ــ وخطبها قبله أبو بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ فلم يجبهما ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم دعاهما وجماعة من المهاجرين والأنصار ، فلما اجتمعوا وكان علي غائباً ــ خطب ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطبة بليغة ، ثم قال : إن الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن ابي طالب ، فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ، إن رضي بذلك علي! ثم دعا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بطبق من بُسر ، وقال : انتهبوا ، انتبهوا ، ودخل علي ، فتبسم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في وجهه ، ثم قال : إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال من فضة ، أرضيت بذلك ؟ فقال : قد رضيت بذلك يا رسول الله . فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : جمع الله شمليكما ، وأعز جدّكما ، وبارك عليكما ، أخرج منكما كثيراً طيباً ، قال أنس : فوالله قد أخرج منهما الكثير الطيب .

ثم سرية محمد بن مسلمة هو وأربعة معه الى كعب بن أشرف اليهودي ، وكان شاعراً يهجو رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ويحرض عليه كفار قريش ، فتوجهوا إليه وقتلوه .

غـزوة غطفـان

كانت على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة ، وسببها أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة ، جمعهم دعثور ابن الحارث المحاربي ، وكان شجاعاً ، فندب ــ صلى الله عليه وسلم ــ المسلمين فخرج في أربعمائة وخمسين فارساً ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

فلما سمعوا بمهبطه ــ صلى الله عليه وسلم ــ هربوا الى رؤوس الجبال ، فأصابوا رجلاً منهم من بني ثعلبة يقال له (حبان) فادخل على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فدعاه الى الإسلام ، فأسلم •

وأصابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مطر ، فنزع ثوبيه ، ونشرهما على شجرة ليجفا ، واضطجع تحتها ، وهم ينظرونه ، فقالوا لدعثور : قد انفرد محمد فعليك به ، فأقبل ، ومعه سيف ، حتى قام على رأسه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : الله ؛ فدفعه جبريل في صدره ، فوقع السيف من يده ، فأخذه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ فقال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم أتى قومه ، فدعاهم الى الإسلام •

وأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) الآية • ثم رجع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يلق كيداً ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة •

غــزوة بحــران

وتسمى غزوة بني سليم ، وسببها أنه بلغه ــ عليه الصلاة والسلام ــ أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم ، فخرج في ثلاثمائة من أصحابه ، فوجدهم قد تفرقوا في مياههم ، فرجع ، ولم يلق كيــداً ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ؛ وكانت غيبته عشر ليال •

سرية زيد بن حارثة ــ رضي الله عنه ــ

الى قردة ــ اسم ماء من مياه نجــد ــ في مائة راكب ، يعترض عيراً لقريش ، فيها صفوان بن أمية ، ومعهم مال كثير ، فأصابوها ، وقدموا بها على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

ثم غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لإحــدى عشرة ليلة خلت منه ، اجتمعت قريش لحرب رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ ليدركوا ثأرهم يوم بدر ٠

وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بخبرهم ، وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي مــن قبل أحد مقابل المدينة ٠

وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر ، وأُري َ رسول الله رؤيا أحبّ لأجلها المكث في المدينة ، وقال لاصحابه : امكثوا ، فإن دخلَ القومُ الأزقة قاتلناهم ، ورُمُوا من فــوق البيت ٠ فقال أولئك القوم : يا رسول الله ، كنا نتمنى هذا اليوم أُخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنّا عنهم ٠ فصلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالناس الجمعة، ثم وعظهم ، وأمرهم بالجِدّ والاجتهاد ، وأخبرهم أن النصر لهم ما صبروا وأمرهم بالتهيء لعدوهم ، ففرح الناس بذلك ، ثم دخل عليه الصلاة والسلام ــ بيته ثم خرج ، وقد لبس لأمَتَهُ ، وتقلــد سيفه ، فندموا علــى ما صنعوا ، وقالوا : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ٠ فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عــدوه ، وعقد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاثة ألوية : لواء المهاجرين بيد علــي ابن أبي طالب ــ كــرم الله وجهه ــ ، ولواء الخزرج بيد الحباب بن منذر ، ولواء الأوس بيد أسيد بن حُضَير ــ رضي الله عنه ــ وفي المسلمين مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه يعدوان : سعــد بن معاذ ، وسعــد بن عبادة ــ رضي الله عنهما ــ دارعين ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وعلى الحــرس تلك الليلة محمــد بن مسلمة ، وأدلج ــ عليه الصلاة والسلام ــ في السحر ، وكان المسلمون ألفا والمشركون ثلاثة آلاف رجل ، فيهم سبعمائة دارع ، ومائتا فرس ، وثلاثة آلاف

بعير ، وخمس عشرة امرأة ، ونزل ــ عليه الصلاة والسلام ــ بأحد ، ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ممن تبعه من أهل النفاق ، ويقال : إن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمرهم بالانصراف لكفرهم ، ثم صف المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالسبخة ، وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل .

وجعل ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الرماة ، وهم خمسون رجلاً (عبد الله بن جبير) ، وقال : لا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، واحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل ، فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا . ووقعت الحرب ، وقتل من المشركين جماعة ، وأنزل الله نصره على المسلمين ، فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة ، فولى الكفار لا يلوون على شيء ، ونساؤهم يدعون بالويل ، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ، ووقعوا ينهبون العسكر ، ويأخذون ما فيه من الغنائم ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ قالوا : والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة .

فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل ، وقلة أهله ، فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل ، فأقبلوا على من بقي من النفر الرماة ، فقتلوهم ، وأخيرهم عبد الله بن جبير .

وفي البخاري : إنهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فشد عليه فكان كأمس الذاهب ، وكان وحشي كامناً تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته ، حتى خرجت من بين وركيه ، فكان آخر العهد به ــ رضي الله عنه ــ .

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمئة ، وهو يظنه رسول الله، فصاح : إن محمداً

قد قتل ، وقال قائل : أي عباد الله أخراكم ، أي احترزوا من جهة أخراكم ، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا ، وهم لا يشعرون ، وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة • وتفرق سائرهم ، ووقع فيهم القتل ، وثبت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى انكشفوا عنه ، وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين منهم أبو بكر الصديق ، وسبعة من الأنصار • وأصيب من المسلمين سبعون رجلاً ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر الكبرى مائة وأربعين ، سبعين قتيلاً ، وسبعين أسيرا ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ؟ ثلاث مرات • فنهاهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يجيبوا ، فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاث مرات • فنهاهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يجيبوا • فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاث مرات • فرجع الى أصحابه ، فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا ، فما ملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدوّ الله إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقي لك ما يسوؤك قال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال •

ورمي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يومئذ فكسرت رباعيته اليمنى السفلى ، وجرحت شفته السفلى ، وشج في جبهته وجرحت وجنته ، وهشموا البيضة على رأسه (أي كسروا الخوذة) ، ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة ، فأخذه علي ــ كرم الله وجهه ــ واحتضنه طلحة بن عبيد الله ، حتى استوى قائماً ، ونشبت حلقتان من المغفر بوجهه ، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح ، وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه الشريف ، وامتص مالك بن سنان ، والد أبي سعيد الخدري ، الدم من وجنته ثم ازدرده • فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : من مسّ دمي دمه لم تصبه النار • وعن أبي أمامة قال : رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم أحد فشج وجهه ، وكسر رباعيته ، فقال : خذها وأنا ابن قمئة ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يمسح الدم عن وجهه :

أقمأك الله • فسلط الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة •

عن الإمام الاوزاعي قال : بلغنا أنه لما جرح ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون •

واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم ، يقطعون الأذان ، والأنوف والفروج ، ويبقرون البطون ، وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون ، وقتل ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيده الشريفة أبيّ بن خَلف • ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ، وصرخ بأعلى صوته : إن الحرب سجال يوم بيوم بدر (أُعلُ هبل) ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعمر : أجبه ، فقال : (الله أعلى واجلّ) ، وقال أبو سفيان : أنعست أي الازلام • فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار • فقال : إن لنا العزى ولا عُزى لكم • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ قولوا : الله مولانا، ولا مولى لكم • فلما انصرف أبو سفيان قال : موعدكم بدر العام المقبل •فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينكم موعد • ونظر ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى حمزة وقد بقر بطنه، عن كبده وجدع أنفه وأذناه ، فلم ينظر الى شيء أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمة الله عليك ، فقد كنت فعولا للخير ، وصولا للرحم • وممن مثل به كما مثل بحمزة ابن أخته عبد الله بن جحش ، ودفن معه في قبر واحد •

ولما أشرف ــ عليه الصلاة والسلام ــ على قتلى المسلمين قال : أنا شهيد على هؤلاء ، وما من جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، ، اللون لون دم ، والريح ريح المسك • وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لما اصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ،

وتأوي الى قناديل من ذهب فـي ظل العـرش ، فلما وجـدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئـلا يزهدوا في الجهاد وينكلوا عن الحرب ، قال الله تعالى (أنا أبلغهم عنكم) • فأنزل الله عز وجل على نبيه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء" عند ربهم يرزقون) الآيات •

غزوة حمـراء الاسـد

ثم غزوة حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة ، وكان صبيحة يوم الأحد خرج ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأصحابه لطلب عدوهم بالأمس ، ونادى مؤذنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومئ بالامس (أي من شهد أحداً) وانما خـرج (عليه الصلاة والسلام) مرهب للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا بهم قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ، وأقام ــ عليه الصلاة والسلام ــ ثلاثة أيام ثم رجع الى المدينة •

وقد غاب خمساً ، وظفـر ــ صلى الله عليه وسلم ــ في مخرجه ذلك بمعاوية ابن المغيرة ابن أبي العاص ، فأمر بضرب عنقه صبرا انتهى •

قلت : إن واقعة أحد أثبتت أن القضاء يتحتم مضاؤه ، وإلا فلو كان الأصحاب لا يرغبون الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الخروج من المدينة أو لم يكونوا يخالفون ما أمر به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما كان يصيبهم ما أصابهم • ومع ذلك ففي القضاء بما قضى الله تعالى به حكم كثيرة جداً :

منها : أنه يجب على الأصحاب بل على كل اتباع أولي الأمر الرشيـد إطاعته والالتزام بأوامره ونواهيه كلها •

ومنها : أن لا يغتر الأصحاب بالنصر والظفر المستمر ، فإن الحرب سجال، ولكل واقعة رجال •

ومنها : أن الله غني عن العالمين يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولا يسأل عما يفعل .

ومنها : إخلاص النية في الجهاد بحيث لا يشوبه الميل الى الغنائم .

ومنها : اكتساب مزيد من الأجر بقبول الاستشهاد والتعب والجراحة .

ومنها : تمييز الصادقين عن المنافقين المترددين في الدين .

ومنها : إظهار عظمة أخلاق سيد الكائنات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السراء والضراء ، وعند تجلي الآلاء وإنزال البلاء ، فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ نعومة أظفاره وأوائل نشوء أعماله وآثار أفكاره يوما فيوما ، وشهراً فشهراً ، وسنة فسنة ، وطوراً فطوراً وجده المنصفون المتصفون بالعقل السليم ، متخلقاً بالأخلاق العالية الفائقة اللائقة لخاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين ، وبالخاصة بعد جلوة إعلان الرسالة العامة الخالدة كان هو وأصحابه يتقلبون في الشدائد ، والاضطهاد ، والتعذيب والهجرة والتغريب ، ومع ذلك لم يأت على ذاته المقدس إلا التسليم والتفويض الى الحكيم العليم ، لاسيما بعد وفاة عمه المحب أبي طالب وقع في آساف ومحن كثيرة . وبعد أن عزموا على إبادته ، وأخذ الأمر لهجرته ، وإدراك التعب لنفسه ولأمته ، وظهور الخير والإقدام على العون من أنصار حضرته ، وعند فتحه وظفره ببدر الكبرى لم يحصل منه آثار غير التسليم ، وكذلك في نقمة حادثة أحد الحاصلة في مخالفة أمره لم يظهر منه شيء إلا الصبر والسكينة ، والاستقامة على ما أمره الله به ، والرضاء بالقضاء . فقد أثبت للعالم أنه على خلق عظيم الذي يعد من أكبر معجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفسر للعالم فعلاً قوله تعالى : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فيارب العالمين ويا أرحم الراحمين أثبتنا في ديوان أمته المقبولة المستقيمة ، واثبتنا على خدمة دينه المبين ، وتفضل علينا بالخاتمة الحسنى حتى نتشرف بلقائه يوم الدين ، وفرج عنا وعن المسلمين ، واجعلنا وأمواتنا من عتقاء هذا

الشهر المبارك الذي نحن في ترقيم نموذج من سيرته المباركة ــ صلى الله تعالى عليه وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين وجميع أهل بيته وآله وأصحابه وأتباعهم باحسان الى يوم الدين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين •

سرية أبي سلمة عبدالله بن عبد الاسد

الى قطن (جبل بناحية ــ فيد ــ) ومعه مائة وخمسون من الأنصار والمهاجرين لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما • ووجد إبلا رشاء أغار عليها ولم يلق كيداً •

سرية عبدالله بن أنيس وحده

لأنه بلغه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه جمع الجموع لحربه فقتله عبد الله ، وأخذ رأسه حتى قدم المدينة •

سرية عاصم بن ثابت

الى الرجيع ــ اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان ــ قدم على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد أحد رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا • فبعث معهم ستة من أصحابه وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع ، غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فنفروا بقريب من مائتي رجل ، يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف ؛ وقد غشوهم ، فقاتلهم مرثد وخالد وعاصم حتى قتلوا ، ونزل عليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، ثم امتنع منهم عبد الله ، فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب ، وزيد ، حتى باعوهما لأهل مكة ، فقتلوهما ، وقال أبو سفيان لزيد : أنشدك بالله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه ، وإنك في أهلك ؟ فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وإني لجالس في أهلي • فقال

أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب احدا كحب أصحاب محمدٍ محمدا ! ثم قتلوه .

سرية المنذر بن عمــرو

الى بئر معونة ــ وهو موضع بين مكة وعسفان ــ بعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في سبعين من القراء ، ليدعوا أهل نجدٍ الى الإسلام بطلب أبي براء (مُلاعب الأسنة) وجواره ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل بني سُليم ، عُصَيَّةَ ورِعلاً ، وقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم إلا كعب بن زيد ، وعمرو بن أمية الضمري ، فلما بلغ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ خبرهم ، قال : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهــذا كارها متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفا ! وعن أنس بن مالك ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال : مارأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجد ــ أي حزن ــ على أحد ، ما وجد على أهل بئر معونة ، ودعا على من قتلهم ثلاثين صباحاً .

غــزوة بنــي النضــــير

ثم غزوة بني النضير ــ قبيلة كبيرة من اليهود ــ وكانت في ربيع الأول سنة أربع من الهجرة . خرج ــ صلى الله عليه وسلم ــ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي ــ رضي الله عنهم ــ يستعينهم في دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، فقالوا : يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم همّوا بإلقاء صخرة عليه ليقتلوه .

ونهاهم سلام بن مشكم فلم ينتهوا ، فقال لهم : لا تفعلوا ، والله ليخبرن بما هممتم ، وإنه لنقض للعهد . فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقــام ــ عليه الصلاة والسلام ــ مظهراً أنه يقضي حاجة ، ورجع مسرعاً الى المدينة ، وتبعه أصحابه فأخبرهم بما أرادت يهود من الغدر به ، وأمر ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتهيء لحربهم ، والمسير إليهم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم،

ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فحاصرهم ست ليال ، فتحصنوا منه في الحصون ، ثم قذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجليهم عن أرضهم ، ويكف عن دمائهم ، فأجلاهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَوَلي إخراجهم محمد بن مسلمة ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ، وحملوا النساء والصبيان ، وتحملوا على ستمائة بعير ، فلحقوا بخيبر ، وقسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ منازلهم بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مؤنهتم عن الأنصار .

غزوة ذات الرقاع

ثم غزوة ذات الرقاع ـ سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها ـ وكان خبرها أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة لأنه بلغه أنهم جمعوا الجموع ، فخرج في أربعمائة من أصحابه ، وقيل سبعمائة ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وخرج حتى نزل نخلا هو موضع من نجد من أرض غطفان ، فتقارب الناس ، ولم تكن بينهم حرب . وقد أخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة الخوف ، وكانت غيبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة .

غزوة بدر الاخيرة

وهي الصغرى ، لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها جمادي الأولى الى آخر رجب ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان ، فخرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، فأقاموا على بدر ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان حتى نزل عسفان ثم بدا له الرجوع فرجع بالناس .

غزوة دومة الجندل

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبُعدُها من المدينة خمس عشرة ليلة ، وكان في شهر ربيع الأول على رأس تسعة واربعين شهراً من الهجرة ، وكان سببها أنه بلغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مرّ بهم ، فخرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في الف من أصحابه ، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطه، فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء ، فهجم على ماشيتهم ورُعاتِهِم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا •

ونزل ـ عليه الصلاة والسلام ـ بساحتهم فلم يلق أحداً ، وأقام بها أياماً ، وبث السرايا ، ثم رجع ودخل المدينة في عشرين من ربيع الآخر •

غزوة المريسيع

وهو ماء لبني خزاعة ، وتسمى غزوة بني المصطلق ، وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس • وسببها أنه بلغه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، فدعاهم الى حرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأجابوه وتهيأوا للمسير معهم ، فبعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ بريدة بن الخصيب الأسلمي يعلم علم ذلك فأتاهم ولقي الحارث وكلمه ورجع الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره ، وخرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ مسرعاً وبلغ الحارث ومن معه مسيره ـ عليه الصلاة والسلام ـ فسيئوا بذلك وخافوا خوفاً شديداً ، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب ، وبلغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ المريسيع ، وصفّ أصحابه ، ودفع راية المهاجرين الى أبي بكر ، وراية الانصار الى سعد بن عبادة ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم أمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد ، وقتلوا عشرة ، وأسروا سائرهم ، وسبوا

النساء ، والرجال ، والذرية ، والنعم ، والشاء ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد ، وكانت غيبته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثمانية وعشرين يوماً •

غزوة الخنـــدق

وهي الأحزاب سميت بالخندق الذي حفر حول المدينة ، بأمره ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي أشار به سلمان الفارسي ــ رضي الله عنه ــ ، وعمل فيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بنفسه ترغيباً للمسلمين •

وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف مـــن المشركين على حـــرب المسلمين ، وهم قريش ، وغطفان ، واليهود ، ومن معهم ، وكان من حديث هذه الغزوة أن نفراً من اليهود خرجوا ، حتى قدموا علـــى قريش مكة ، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فاجتمعوا لذلك واتحدوا له ، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوهم الى حربه ــ صلـــى الله عليـــه وسلم ــ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وإن قريشاً قد بايعوهم على ذلك ، واجتمعوا معهم ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حِصن في فزارة ، والحارث بن عوف ني بني مرة ، وكانت عدتهم عشرة آلاف ، والمسلمون ثلاثة آلاف ، ولما سمع ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالأحزاب وبما أجمعوا عليه من الأمر ، ضرب علـــى المسلمين الخندق ، وقد وقع في حفر الخندق آيات مـــن اعلام نبوته ــ عليه الصلاة والسلام ــ منها ماوراه أحمد والنسائي عن البراء ، قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحفر الخندق عرضت لنا صخرة لا تأخذ منها المعاول ، فاشتكينا ذلك للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فجاء فأخـــذ المعول ، فقال : بسم الله ، ثم ضرب ضربة ، فنشر ثلثها ، وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة • ثم ضرب الثانية ، فقطع ثلثاً آخر ، فقال : أالله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، وإني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن • ثم ضرب الثالثة ، فقال : بسم الله فقطـــع

بقية الحجر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء في مكاني الساعة •

ومنها تكثير الطعام القليل ، كما ثبت في الصحيح بحديث جابر وسيأتي إن شاء الله مستوفى في مقصد المعجزات •

ولما فرغ ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، ونزل عيينة بن حصن في غطفان ، ومن تبعهم من أهل نجد الى جانب أحد ، وخرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع ، وكانوا ثلاثة آلاف رجل ، فضرب هناك معسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وكان لواء المسلمين بيد زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة • وكان بنو قريظة على عهد وعقد مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يزل حُيَيّ بنُ أخطَب برئيسهم كعب بن أسد حتى نقض هو وقومه العهد ، فلما انتهى الخبر الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعث بعض أصحابه إليهم ، فوجدهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظنّ المؤمنون كل ظنٍّ ، ونجم النفاق في بعض المنافقين ، وأنزل الله تعالى : (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) وأقام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمون وعدوهم يحاصرهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا مراماة بالنبل ، لكن كان عمرو بن ودّ العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق ، فبارزه علي فقتله ، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، فقتله الزبير ، ورجعت بقية الخيول منهزمة ، ورمي سعد بن معاذ ــ رضي الله عنه ــ بسهم فقطع منه الأكحل ، وهو عرق الحياة ، وفي كل عضو منه شعبة ، فلم يرقأ الدم •

وفي البخاري : دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم ، وزلزلهم .

وفي ينبوع الحياة لابن ظفر قيل : إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا ، فقال : يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين ، اكشف همي وغمي وكربي ، فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي . فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فبشره أن الله تعالى يرسل عليهم ريحاً وجنوداً ، فأعلم أصحابه ، ورفع يديه قائلاً : شكراً ، شكراً .

وهبت ريح الصبا ليلاً ، فقلعت الأوتاد وألقت عليهم الأبنية ، وكفأت عليهم القدور ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصباء ، وسمعوا في أرجاء معسكرهم التكبير ، وقعقعة السلاح ، فارتحلوا هُرّاباً في ليلتهم ، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم ، قال : فذلك قوله تعالى : (فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً) وانصرف ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غزوة الخندق يوم الأربعاء ؛ لسبع خَلَوْنَ من ذي القعدة ، وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يوماً .

وقال عليه الصلاة والسلام ـ : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا . وفي ذلك علم من أعلام النبوة ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعتمر في السنة السادسة فصدته قريش من البيت ، ووقعت الهدنة بينهم الى أن نقضوها ، فكان ذلك سبب فتح مكة ، فوقع الأمر كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

غزوة بني قريظة

وهم اليهود الذين كانوا عاهدوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكنهم قد نقضوا العهد وانضموا الى الأحزاب كما مر سابقا في غزوة الخندق. وفي المواهب اللدنية : لما رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووضع السلاح ، واغتسل ، أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح ؟ ، والله ما وضعناه؛

اخرج إليهم ، وأشار الى بني قريظة فإني عائد إليهم فنزلزل بهم • فأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مؤذناً فأذن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ، وبعث منادياً ينادي : يا خيل الله اركبي ؛ وبعث علياً ــ رضي الله عنه ــ على المقدمة ، ثم سار في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ، وحاصرهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ خمساً وعشرين ليلة ، حتى أجهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسيد أن يؤمنوا ، فقال لهم : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني أعرض عليكم خلالاً ثلاثة ، فخذوا أيها شئتم • قالوا : وماهي ؟ قال : نبايع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله إنه لقد تبين إنه لنبي مرسل ، وإنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم ، وأموالكم ، وأبنائكم ، ونسائكم ، فأبوا • فأشار عليهم بقتل أولادهم ونسائهم ، والخروج الى قتال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه ، فأبوا •

ولما اشتد الحصار بهم أذعنوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأنصار ، فحكم فيهم : بأن تقتل رجالهم ، وتقسم الاموال ؛ وتسبى الذراري والنساء ، فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : حكمت اليوم فيهم بحكم الذي حكم به من فوق سبع سموات • وانصرف ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الخميس لسبع ليال خلون من ذي الحجة •

وأمر بالغنائم فجمعت وأخرج الخمس وقسم الباقي بين المسلمين ؛ وانفجر جرح سعد بن معاذ ، فمات شهيداً ــ رضي الله تعالى عنه ــ وعن أبي سعيد الخدري : كنت ممن حفر لسعدٍ قبره ، فكان تفوح علينا المسك كلما حفرنا !

سرية محمد بن مسلمة

الى القرطاء ــ بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بالبكرات و بينها وبين المدينة سبع ليال ــ بعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ثلاثين راكباً ،

فلما أغار عليهم قتل نفرا منهم ، وهرب سائرهم ، واستاق نعما رشاءً ، وقدم المدينة ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيراً ، فربط بأمره ــ عليه الصلاة والسلام ــ بسارية من سواري المسجد ، ثم أطلق سراحه بأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاغتسل . وأسلم ، قال : يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد اصبح وجهك اصبح الوجوه إلي .

غزوة بني لحيان

في ربيع الأول سنة ست من الهجرة ، قالوا وَجَد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديداً ، فأظهر أنه يريد الشام ، وعسكر في مائتي رجل ، ومعهم عشرون فرساً ، واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ، ثم أسرع السير حتى انتهى الى حيث كان مُصابُ أصحابه أهل الرجيع ، فترحم عليهم ، ودعا لهم ، فسمعت به بنو لحيان ، فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد ، فأقام يوماً أو يومين ، فبعث السرايا في كل ناحية ، ثم خرج حتى أتى عسفان ، فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فتذعرهم ، فأتوا (كراع) ثم رجعوا ، ولم يلقوا أحدا ، وانصرف ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة ، ولم يلق كيداً ، وهو يقول : آيبون . تائبون ، عابدون لربنا حامدون ، لربنا حامدون .

وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة .

غزوة الغابة

وسببها أنه كان لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عشرون لقحةً وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ــ ترعى بالغابة ، وكان أبو ذر فيها ، فأغار عليهم عيينة بن الحصن الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين فارساً، فاستاقوها ، وقتلوا ابن أبي ذر ، فلما أتى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الخبر نادى : يا خيل الله اركبي ، وركب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في خمسمائة ، وعقد لمقداد بن عمر لواءً في رُمحِهِ ، وقال : امض حتى تلحقك

الخيول ، وأنا على أثرك ، فأدرك أُخريات العدو ، وقتل أبو قتادة فارساً ، وعكاشة ، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه ، ولحق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشاءً ، واستنقذوا عشر لقاح ، وأفلت القوم بما بقي وهي عشر ، وقد رجع وغاب خمس ليال •

سرية عكاشة بن المحصن الاسدي

الى غمر مرزوق ، وهي ماء لبني أسد ـ في أربعين رجلاً ، فنذر به القوم ، فهربوا ، فاستاق مائتي بعير ، وقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يلق كيدا •

سرية محمد بن مسلمة

الى بني ثعلبة ، ومعه عشرة ، فورد عليهم ليلاً ، فأحدق بهم القوم ، وهم مائة رجل ، فتراموا ساعة من الليل ، ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح ، فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة ، فوقع جريحاً واحتمل الى المدينة • فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا عبيدة بن الجراح الى مصارعهم ، في أربعين رجلاً فهربوا فاستاق نعماً من نعمهم ، ورثا من متاعهم ، فقدم به المدينة ، فخمسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقسم ما بقي عليهم •

سرية زيد بن حارثة

الى بني سليم ، فأصابوا امرأة من مزينة ، يقال لها حليمة ، فدلتهم على محلة من محالهم ، فساقوا نعماً وشاة وأسرى ، وكان فيهم زوج حليمة ، فلما قفل زيد بما أصاب وهب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحليمة نفسها وزوجها •

سرية زيد أيضا

في سبعين راكباً ، يعترض عيراً لقريش قد أقبلت من الشام فأخذوها وما فيها •

سريـة زيـد أيضـا

ثم في خمسمائة رجل الى جذام ، لأنهم قطعوا الطريق على دحيَة الكلبي، فأغاروا عليهم من الصبح ، فقتل فيهم ، فأوجعوا ، وأخذوا من النعم ألف شاة ومائة من النساء والصبيان ، فجاء زيد بن رفاعة الجذامي الى رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نفر من قومه ، وأسلم ، فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علياً ـ رضي الله عنه ـ الى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين أولادهم ، ففعل .

سريـة زيـد أيضـا

الى وادي القُرى ، فقتل من المسلمين قتلى ، وحمل زيد من المعركـة جريحاً .

سرية عبدالرحمن بن عوف

الى دومة الجندل ـ مدينة في الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ـ سنة ست، قالوا : دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبدالرحمن بن عوف ، فأقعده بين يديه وقال : اغز باسم الله ، في سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا ، وبعثه الى كَلب بدومة الجندل ، وقال : إن استجابوا لك فتزوج بنت ملكهم ، فسار عبد الرحمن حتى دومة الجندل ، فمكث ثلاثـة أيام يدعوهم الى الإسلام ، فأسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانياً ، وكـان رئيسهم فأسلم ، وأسلم معه ناس كثيرون من قومه ، وأقام من أقام على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن (تَماضُرَ) بنت الأصبغ ، وقدم بها المدينة ، فولدت له أبا سلمة .

سرية علي ابن ابي طالب

ومعه مائة رجل الى بني سعد ابن بكر ، لما بلغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم يريدون أن يُمِدّوا يهود خيبر ، فأغاروا عليهم ، فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد .

سرية زيد بن حارثة

الى أم قرفة الفزارية ، وسببها أن : زيداً خرج في تجارة الى الشام فلقيه ناس من فزارة ، فضربوه ، وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم ، وقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره فبعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصحبهم هو وأصحابه ، وأحاطوا بالحاضر ، وأخذوا أم قرفة ، وكانت ملكة رئيسة ، وأخذوا ابنتها جاريةً بنت مالك ابن حذيفة بن بدر .

سرية عبدالله بن عتيك

لأبي رافع اليهودي ، وكان يؤذي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرج ومعه أربعة ، فوضعهم خارج الحصن ، ودخل هو واحتال عليه وقتله ، وفي انصرافه كسرت ساقه ، فلما رجع الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فحدثته ، فقال : أبسط رجلك ، فمسحها ، فكأنها لم أشتكها قط ، وعادت أحسن ما كانت .

سرية عبدالله بن رواحة

الى اسير بن رزام اليهودي بخيبر ، الذي أمرته اليهود عليها بعد قتل أبي رافع ، فسار في غطفان وغيرهم بجميعهم لحربه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبلغه ذلك ، فوجه إليه عبدالله بن رواحة في ثلاثين رجلاً ، فضربه عبد الله بن أنيس ، ومالوا على أصحابه وهم ثلاثون رجلاً من اليهود ، فقتلوهم غير رجل واحد ، ولم يصب من المسلمين أحد .

سرية كرز بن جابر الفهري

الى العرنيين • في البخاري عن أنس أن أناساً من عُكلٍ وعُرينة ؛ قدموا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتكلموا بالإسلام ، فقالوا : يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف ، واستوخموا المدينة ، فأمر لهم رسول الله بذود وراع ، وأمرهم أن يخرجوا إليه ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها • فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستاقوا الذود ، فبلغ ذلك النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم ، فسملوا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالتهم •

قال أنس : إنما سمل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاء ، فيكون ما فعل بهم قصاصا ، وعن سلمة بن الأكوع : أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعث في آثارهم خيلا من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري •

سرية عمرو بن امية الضمري

الى أبي سفيان بن حرب بمكة ، لأنه أرسل الى النبي من يقتله غدراً ، فأقبل الرجل ، ومعه خنجر ليغتاله ، فلما رآه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، قال : إن هذا ليريد غدراً ، فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره ، فإذا بالخنجر ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أصدقني ما أنت ؟ ؟ قال : وأنا آمن ؟ قال : نعم • فأخبره بخبره فخلى عنه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبعث عمرو بن أمية الضمري ، ومعه سلمة بن أسلم الى أبي سفيان ، وقال : إن أصبتما منه غرةً فاقتلاه •

ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلاً ، فرآه معاوية ابن أبي سفيان . فأخبر قريشا بمكانه ، فخافوه وطلبوه ، وكان فاتكاً في الجاهلية ، فحشد له أهل مكة ، وتجمعوا ، فهرب عمرو وسلمة ، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي ،

فقتله وقتل آخر ، ولقي رسولين لقريش بعثهما يتجسسان الخبر ، فقتل أحدهما، فقدم به المدينة ، فجعل عمرو يخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خبره ، وهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ يضحك .

امر الحديبية

وهي قرية على تسعة أميال من مكة . خرج ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الأثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة ،وخرجت معه زوجته أم سلمة ، في ألف وأربعمائة بلا سلاح ، إلا سلاح المسافر ، السيوف في القرب ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، فلما كان بذي الحليفة ، قلد الهدى وأشعر وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خزاعة ، وسار حتى كان بغدير الأشطاط ، أتاه عينه فقال : إن قريشاً جمعوا لك جموعا ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت ، ومانعوك ، فقال : أشيروا علي أيها الناس ، أترون أن أميل الى عيالهم ، وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت ، لا تريد قتل أحد ، ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا قاتلناه ، قال : امضوا على اسم الله . قال أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ : ما رأيت أحداً قط أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وسار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط منها عليهم ، بركت ناقته ، فقال الناس: حل حل ، فألحت ، يعني تمادت على عدم القيام ، فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ما خلأت ، وليس ذلك من عادتها ، وإنما حبسها حابس الفيل . أي أحبسها الله تعالى عن دخول مكة ، كما حبس الفيل عن دخولها ، لأن الصحابة لو دخلوها صدتهم قريش ، فوقع بينهم القتال، وسفك الدماء ، لكن سبق في علم الله تعالى أنه سيدخل في الإسلام منهم خلق كثير ، وستخرج من أصلابهم ذرية ناس يسلمون ويجاهدون .

ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها .

ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ، على ثمد ـ أي قليل من الماء ـ فنزحوه ، وشكي الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه . قال راوي الحديث : فوالله مازال يجيش بالماء حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك، إذ جاء بُديل بن ورقاء الفزاري في نفر من قومه ، وكانوا عيبة نصح لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن اظهر ، وان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جمّوا ـ يعني استراحوا ـ وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن الله أمره ، فقال بديل : سأبلغهم ما تقول : فانطلق حتى أتى قريشاً ، فحدثهم بما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال عروة بن مسعود : قد عرض عليكم خطة رشدٍ ، اقبلوها ودعوني آته ، فأتاه فجعل يكلم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحوا من قوله لبديل . وجعل عروة يرمق اصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعينه ، فقال : والله إذا أمرهم امراً ابتدروا أمره ، واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيما له ، فرجع عروة الى أصحابه ، فقال : أي قومي ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على كسرى ، وقيصر ، والنجاشي ، والله إني ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ، والله إذا أمرهم امراً ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ،

وما يُحِدون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، ثم دعت قريش سهيل بن عمرو ، فقالوا اذهب الى هذا الرجل فصالحه ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا ، فلما انتهى الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين ، وأن يأمن بعضهم بعضا ، وأن يرجع عنهم عامهم هذا ، وعلى أنه لا ياتيه منهم رجل ، وإن كان على دينه ، إلا رده إليهم ، وكتب في ذلك كتاباً ، وبعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكتاب إليهم مع عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأمسك سهيل بن عمرو عنده ، فأمسك المشركون عثمان ، فغضب المسلمون ، وبلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن عثمان قد قتل ، فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت ، وقيل على أن لا يفروا ، ووضع ـ صلى الله عليه وسلم ـ شماله في يمينه ، وقال : هذه عن عثمان . ولما سمع بهذه البيعة المشركون خافوا ، وبعثوا عثمان ، وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) الآية .

وحلق الناس مع النبي ، ونحروا هداياهم بالحديبية ، وأقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحديبية بضعة عشر يوماً ، ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء ، فأنزل الله تعالى سورة الفتح يسليهم بها ، ويذكرهم نِعمهُ ، فقال تعالى : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) . قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ وأنس ، والبراء بن عازب : الفتح هنا فتح الحديبية ، ووقوع الصلح ، ثم رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

غزوة خيبر

هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ، على ثمانية بُردٍ من المدينة ، الى جهة الشام ، قال ابن اسحاق : خرج ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بقية لمحرم سنة سبع ، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة ، الى أن فتحها ، وكان معه

ـ عليه الصلاة والسلام ـ ألف وأربعمائة راجل ، ومائتا فارس ، ومعه أم سلمة زوجته .

وفي البخاري : من حديث أنس أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى خيبراً ليلاً ، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغزهم حتى يصبح ، فلما أصبح ، خرجت اليهـود الى أعمالهم بمساحيهم ، ومكاتلهم ، فلمـا رأوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : محمد ، والله محمد والخميس ، أي الجيش ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ خربـت خيبـر ، فإنا إذا نزلنـا ساحـة قوم فساء صباح المنذرين .

وفي رواية فرفع يديه وقال : الله أكبر ، خربت خيبر . وفرق رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرايات .

وفي البخاري : وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ تخلف عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان رمداً ، فلحق ، قال راويه : فلما بتنا الليلة التي فتحت ، قال : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه اللهُ ورسوله يفتح الله على يديه ، فلما أصبح الناس ، غدوا على رسول الله ، كلهم يرجون أن يعطاها فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ قالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه . قال : فأرسلوا إليه . فأتي به ، فبصق رسول الله ـ صلـى الله عليه وسلم ـ في عينيه ، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : أنفذ علـى رسلك : ـ أي هينتك ـ حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقوق الله ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكـون لك حُمرُ النعم ، وقاتل ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل خيبر . وقاتلوه أشد قتال ، واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً ، وقتل مـن اليهود ثلاثة وتسعون ، وفتحها الله تعالى عليه حصناً حصناً ، وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار ـ أي جلده ـ وكانوا قد غيبوه في خربة ، ودل الله تعالى رسوله عليه ، فاستخرجه .

وتزوج ــ صلى الله عليه وسلم ــ بصفية بنت حيي بن أخطب ، وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع ، وكانت عروسا ، فذكر له جمالها ، فاصطفاها لنفسه الكريمة ، بعد أن اعتقها فصارت من أمهات المؤمنين ، وكانت قد رأت في الرؤيا أن القمر قد سقط في حجرها ، فتؤول بذلك • وعن يزيد بن أبي عبيد ، قال : رأيت أثر ضربة ساق سلمة ، فقلت : ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتها يوم خيبر •

فأتيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنفث فيها ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة ، وفي هذه الغزوة سممت اليهودية زينب بنت الحارث شاة مصلية ــ أي مشوية ــ أهدتها الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ارفعوا أيديكم ، وأرسل الى اليهودية فقال : سممت هذه الشاة ؟ فقالت : من أخبرك ؟ فقال : أخبرتني هذه في يدي (للذراع) ، فقالت : نعم ، قلت إن كان نبياً فلن يضره ، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه ، فعفا عنها ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ولم يعاقبها ، وتوفي أصحابه الذين أكلوا منها ، وفيهم بشر بن البراء ، فدفع ــ صلى الله عليه وسلم ــ اليهودية الى أوليائه ، فقتلوها به قصاصاً ، واحتجم ــ صلى الله عليه وسلم ــ على كاهله • وفي هذه الغزوة أمر ــ صلى الله عليه وسلم ــ بإعلان حرمة نكاح المتعة •

ومما يجب على المسلم أن يكون على بصيرة في دينه اعتقاداً وعملا ، ويعلم أن الإسلام رحمة من الله للعباد ، لابعادهم عن الفساد ، وتقريبهم الى الرشاد ، وذلك بأن يتوجهوا الى رب العالمين بتوحيد خالص ، ويأخذوا عقائدهم من الرسول المؤيد من رب العالمين بالمعجزات ، ويلتزموا أحكام دينه ، ويجتنبوا عن كل عقيدة وعمل يخالفان العقول السليمة التي مقتضاها صيانة الأنفس ، والأعراض ، والأموال ، والعقول ، ولذلك حرم الله في جميع الشرائع القتل ، والتعدي على الأموال ، والأعراض ، وحرم المسكرات ، فإن كل ذلك مخالف

للعقل السليم ، وأما الذين ابتعدوا عن الشرائع ، واتبعوا الهوى والشهوات ، فقد باشروا بحسب إمكانهم كل ما يدعو إليه الهوى ، وقد كانت الأمة الجاهلية مباشرة للمفاسد التي لا تحصى وكانوا يقتلون الأبرياء ، وينهبون الاموال ، ويهتكون الأعراض ، ويتزوجون محارمهم ، وزوجات الآباء والأبناء ، ويزنون ، ويفسقون ، ويطلقون زوجاتهم ويرجعونهن بلا حصرٍ ... ولما انتصر الإسلام منع الفساد ، ورغب في الرشاد ، وجعل العقل منوراً بالتزام الحق ، ومنع الإشراك بالله ، والتعرض للمحرمات ، وجعل لكل شيء قدراً ، ولكل مدّ حداً ، وقرر العدل والاعتدال أساساً للإسلام ، ولما كان قد انتشر في الجاهلية الزنا ، والفسوق ، وطغى الطبع ، جاء الإسلام قرر النكاح المستمر أساساً لبناء العوائل السليمة ، ومنع ماعدا مباشرة الأزواج محرما قطعاً : (إلا ما ملكت أيمانكم) . وأنزل الله تعالى في تعداد المؤمنين قوله الكريم : (والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك ، فأولئك هم العادون) أي المتجاوزون عن حدود الدين . وكان إنزال الآية في مكة المكرمة مرتين تأكيداً وتأسيساً لحكم الزواج المشروع . ولكن لم يكن للرسول — صلى الله عليه وسلم — غلبة في مكة ، وبقيت الأمور على ما كانت عليه الى ما بعد الهجرة ، وهناك جاء دور التطبيق لما أنزل سابقاً ، والتأسيس لما ورد بعدها ، فحرم المتعة إلا في وقت محدود واضطرار شديد ، فإنه أعلن منعها في غزوة خيبر ، وأباحها في غزوة أوطاس ، ثم حرمها قطعا مؤبداً بعد انتهاء الغزوة ، وأكد تحريمها في حجة الوداع على جمهرة الناس ، وفيهم كبار الأصحاب من الخلفاء الراشدين ، وغيرهم — رضي الله عنهم أجمعين — .

أما النهي عنها في غزوة خيبر ، فلما رواه البخاري في صحيحه بقوله : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا ابن عيينة أنه سمع الزهري يقول : أخبرني الحسن بن محمد بن علي ، وأخوه عبد الله عن أبيهما أن علياً — رضي الله

عنه ــ قال لابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : أن النبي ــ صلـى الله عليه وسلم ــ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية في خيبر •

وأما إباحتها ثم حرمتها في عام الفتح عام اوطاس ، فلما رواه مسلم عن أياس بن سلمة عن أبيه قال : رخص لنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عام أوطاس في المتعة ثلاثاً ــ أي ثلاثة أيام ــ ثم نهى عنها • وأما إباحتها في أماكن أخرى فقد ردها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ونقل فيه عن النووي ما نصه : الصواب أن تحريمها وإباحتها وقعا مرتين ، وكانت مباحة قبل خيبر ، ثم حرمت فيها ، ثم أبيحت عام الفتح عام أوطاس ثم حرمت تحريماً مؤبداً • انتهى •

وهذا الترخيص الذي صدر عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان ترخيصاً مقيداً ، بالغربة والاضطرار ، ومبنياً على الابتعاد عن الفتنة ، فشرع للغزاة الغرباء ذلك النكاح المؤقت في مقابلة عوض معلوم يتوافق الطرفان عليه ، ولما استقر أمر الاسلام والمسلمين حرمها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الأبد ، فكان التشريع بالسنة النبوية والتحريم أيضاً بالسنة النبوية • ووقع عليهما الإجماع ولم يخالف في ذلك أحد • وما يقال من مخالفة ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ كان في أول الامر ، ولما ثبت عنده تحريمها بقول الامام علي ــ رضي الله عنه ــ عنه تندم ، وهذا هو راجح النقل • وما يقال من أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ نهى عنه من جانب نفسه فغلط فاحش •

والدليل عليه ما ذكره صاحب فتح الباري ، ونصه : وأخرج ابن المنذر والبيهقي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهم ــ عن أبيه قال : صعد عمر المنبر فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ثم قال : ما بال رجـال ينكحون هذه المتعة بعـد نهي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عنها ؟ انتهى •

وصيغة نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها ما ذكره صاحب فتح الباري ، ونصه : وكان تقدم في حديث ابن نمير ، أنه قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة . انتهى .

وكان ذلك عندما كان واقفا بين الركن والمقام من الكعبة الشريفة عام الفتح بعد غزوة أوطاس ، وما روي من أنه كان ذلك في حجة الوداع فعلى تقدير ثبوته كان تأكيداً للنهي السابق عام الفتح ، وغزوة أوطاس بمناسبة كثرة الناس في موسم الحج ، حتى ينتشر التحريم ويشتهر ، وأما ما يروى من أن كثيراً من الناس كانوا يستبيحون المتعة فلعلهم لم يبلغهم نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلا لما أقدموا عليها .

واستدلال المخالف على حل المتعة بقوله تعالى : (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) موكداً له بقراءة بعضهم (الى أجل مسمى) .. لا يفيد حلها ؛ لأن معنى الاستمتاع موجود في الأنكحة كلها ، فإن معناه أخذ اللذة بقضاء الشهوة ، وهو محقق فيها مطلقا مؤقتة أم لا . والأجور بمعنى المهور ، لأنها بدل الإبضاع كما جاءت بمعناها في قوله تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات، والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض ، فانكحوهن بإذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف ، محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) . وفي قوله تعالى : (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وفي قوله تعالى : (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) مع العلم ان النساء المتمتع بهن لم يسمين أزواجا لا في ذلك الزمان ، ولا الآن .

وأما قراءة (الى أجل مسمى) فلا تأثير لها في الموضوع ، لأنها من القراءات الشاذة الخارجة عن القراءات السبع ، ولا تبنى عليها الأحكام قطعاً .
ولو سلمنا اعتبارها فهي محمولة على تحديد آجال المهور المؤجلة .

ولا يخفى على من له علم بالكتاب أن تلك الآية الكريمة نزلت لبيان الزوجات اللاتي يتزوجن ، ويؤسسن مع أزواجهن العوائل السعيدة بالأنس والالفة والتفاهم والدوام بالاخلاق الحسنة ، لأنها نزلت بعد بيان النساء المحرمات بالنسب والرضاع والمصاهرة والجمع ، والحرائر التي تحت عصمة أزواجهن . هذا .

(غريبة) : يجري على ألسنة بعض الناس أنه : تأسف على حرمة نكاح المتعة ، وقال : لو لم تحرم المتعة ما وقع أحد في الزنا ، وغفل عن أن المتعة والزنا كانا حين ذاك متساويين في المغزى ، إذ لا يوجد زنا إلا بميل الزاني والزانية ، وإرادتهما سواء اتفقا على بذل المال ، أو لا ، وحين ذلك لم يبق مانع من مجامعة أي رجل مع أية امرأة ، إلا في مواد شاذة من العمل بالإكراه .

غزوة وادي القرى

في جمادي الآخرة بعدما أقام لها ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعا يحاصرهم وصالحه اهل تيماء على الجزية .

سرية عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ

الى تربة سنة سبع ، ومعه ثلاثون رجلاً ، فخرج معه دليل من بني هلال ، فكان يسير الليل ويكمن بالنهار ، فأتى الخبر الى هوازن ، فهربوا ، وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم ، فلم يلق منهم أحداً ، وانصرف راجعاً الى المدينة .

سرية ابي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ

الى فزارة ـ ناحية ضرية ـ في شعبان سنة سبع ، فسبى جماعة ، وقتل آخرين .

سرية بشير بن سعد الانصاري

الى بني مرة بفدك ، في شعبان سنة سبع ، ومعه ثلاثون رجلاً ، فقتلوا . وقاتل بشير حتى ارتث ، وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ثم قدم بعده بشير بن سعد .

سرية غالب بن عبد الله الليثي الى الميفعة

بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد ، في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائتين وثلاثين راجلاً ، فهجموا عليهم في وسط محالهم ، فقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نعما وشاءً الى المدينة .

قالوا : وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس ، بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ألا شققت قلبه فتعلم أصادق أم كاذب ؟ فقال أسامة : لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله . وفي البخاري عن أبي ظبيان قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الحرقة ، فصبحنا القوم ، فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناهم ، قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري عنه ، وطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا . بلغ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال : يا أسامة أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ قلت : كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم اكن أسلمت قبل ذلك اليوم !

سرية بشير بن سعد الانصاري أيضا

الى يمن وجبار ــ وهي أرض لغطفان ــ في شوال سنة سبع من الهجرة ، وبعث معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاثمائة رجل ، لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة ، فساروا الليل ، وكمنوا النهار ، فلما بلغهم مسير بشير ، هربوا ، وأصاب لهم نعماً كثيرة ، فغنمها ، وأسر رجلين ، وقدم بهما الى المدينة ، الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأسلما .

عمـــرة القضـــاء

قال الحاكم في الإكليل : تواترت الأخبار أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما هل ذو القعدة سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية ، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر ، ورجال ماتوا ، وخرج معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المسلمين ألفان ، واستخلف على المدينة أبا رُهم الغفاري ، وساق ــ صلى الله عليه وسلم ــ ستين بدنة .

وحمل السلاح ، والبيض ، والدروع ، والرماح ، وقاد مائة فرس ، فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه ، عليها محمد بن مسلمة ، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد ، وأحرم ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ولبّى ، والمسلمون يلبون معه ، ومضى محمد بن مسلمة في الخيل الى مَرّ الظهران ، فوجد نفراً من قريش ، فسألوه ، فقال : هذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصبح هذا المنزل غداً ، إن شاء الله تعالى . فأتوا قريشاً ، فأخبروهم ، ففزعوا ، ونزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمرّ الظهران ، وقدم السلاح الى بطن ياجج ــ موضع بقرب مكة ــ ، وخلف عليه أوس بن خولي الأنصاري ، في مائتي رجل ، وخرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال ، وقدم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الهَدْيَ ، فحُبس بذي طوى ، وخرج رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلــم ــ على راحلته القصواء ، والمسلمون يتوشحون السيوف محدِقون رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ يُلبّون ، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون ، وابن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو يقول :

خلــوا بنـــي الكفـــار عـــن سبيلـــه
اليـــوم نضربكـــم علـــى تنزيلـــه
ضربـــاً يزيـــل الهـام عـــن مقيلـــه
ويذهـــل الخليـــل عـــن خليلـــه

فقال له عمر : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقول شعراً ؟ فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : خل عنه يا عمر ، فلهيَ أسرع فيهم من نضحِ النبل • ولم يزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلبي ، استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه ، وطاف على راحلته ، والمسلمون يطوفون معه ، وقد اضطبعوا بثيابهم • ــ والاضطباع أن يدخل الرداء تحت إبطه الأيمن ، وَيردّ طرفه على يساره ، ويبدي منكبه الأيمن ، ويغطي الأيسر ــ •

وفي البخاري : قال المشركون : إنه قدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب ، فأمرهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا مابين الركنين • وفي رواية قال : أرملوا ، لِيَرى المشركين قوتهم ، ثم طاف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين الصفا والمروة على راحلته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة ، قال : هذا المنحر ، وكل فجاج مكة منحر ، فنحر عند المروة ، وحلق هنالك • وكذلك فعل المسلمون • وأمر ــ صلى الله عليه وسلم ــ ناساً منهم أن يذهبوا الى أصحابه ببطن ياجج ، فيقيموا على السلاح ، ويأتي الآخرون ويقضون نسكهم ، ففعلوا • وأقام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة ثلاثاً ، فلما مضى الأجل أتى المشركون علياً ــ رضي الله عنه ــ فقالوا : قل لصاحبك اخرج فقد مضى الأجل ، فخرج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

سرية ابن ابي العوجاء السلمي

الى بني سليم في ذي الحجة ، سنة سبع في خمسين رجلاً ، فأحدق بهم الكفار من كل ناحية ، وقاتل القوم قتالاً شديداً ، حتى قتل عامتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى ، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

سرية غالب بن عبدالله الليثي

الى بني الملوح بالكديد ، في صفر سنة ثمان ، فغنم •

وفي هذا الشهر قدم خالد بن الوليد ، وعثمان ابن أبي طلحة ، وعمرو بن العاص المدينة فأسلموا •

ثم سرية غالب أيضاً الى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك ، سنة ثمان ، ومعه مائتا رجل ، فاغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى ، وأصابوا نعماً •

سرية شجاع بن وهب الاسدي

الى بني عامر في شهر ربيع الاول سنة ثمان ، ومعه أربعة وعشرون رجلاً ، الى جمع من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم ، فأصابوا نعماً وشاءً واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة •

سرية كعب بن عمير الغفاري

الى ذات أطلاع ، فوجدوا جمعاً كثيراً ، فقاتلهم أشد مقاتلة حتى قتلوا ، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى ، قيل هو الأمير ، فلما برد الليل تحامل حتى أتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فأخبره ، فشق ذلك عليه ، وهم بالبعث إليهم ، فبلغه أنهم ساروا الى موضع آخر فتركهم •

سرية موتة

وهي من عمل البلقاء بالشام ، كانت في جمادي الأولى سنة ثمان • ذلك أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان أرسل الحارث بن عمير بكتاب الى ملك بصرى ، فلما نزل موتة ، عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني ، فقتله ، ولم يقتل لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رسول غيره ، فأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف ، وقال : إن قتل فأميركم جعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فأميركم عبد الله بن

رواحة . فإن قتل ، فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم • وعقد لهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ لواءً أبيض ، ودفعه الى زيد بن حارثة ، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ، وأن يدعوا من هناك الى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله ، وقاتلوهم ، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع • ولما ساروا نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين غانمين ، فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدم الطلائع أمامه ، وقد نزل المسلمون معان ــ موضع من أرض الشام ــ وبلغ الناس كثرة العدو ، وتجمعهم ، وأن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة الف من المشركين ، فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم ، وقالوا : نكتب الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنخبره الخبر ، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي ، فمضوا الى مؤتة ، ووافاهم المشركون ، فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد ، والسلاح ، والكراع ، والديباج ، والحرير ، والذهب ، والتقى المسلمون والمشركون ، فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة ، فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح ، ثم أخذ اللواء جعفر ابن أبي طالب ، فنزل على فرس له شقراء فعقرها ، ثم تقدم فقاتل حتى قطعت يداه جميعاً ، فأخذ اللواء بيمينه فقطعت ، ثم أخذه بشماله فقطعت ، ثم احتضنه ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة ، ووجد فيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف ، وطعنة برمح • ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فقاتل حتى قتل ، فأخذ اللواء ابن أقوم العجلاني الى أن اصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فأخذ اللواء وقاتلهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة ، ثم انحازت كل طائفة ، ورفعت الأرض الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى نظر الى معترك القوم ، (يعني أن الله تعالى كشف أمام قلبه الشريف محل المعركة ، فعلم ما فيه من الحوادث) وذكر موسى ابن عقبة في المغازي : أن يَعلى ابن أمية قدم بخبر أهل مؤتة ،

فقال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتك ! قال : أخبرني ، فأخبره خبرهم ، فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره !

سرية عمرو بن العاص

الى ذات السلاسل ، وهي من المدينة على عشرة أميال ، وكانت في جمادي الآخرة سنة ثمان ، وسببها : أنه بلغه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن جمعاً من قضاعة قد تجمعوا للإغارة ، فبعث عمرا ، وعقد له لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرساً ، فسار في الليل ، وكمن النهار ، فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً . فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح ، وعقد له لواء ، وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ وأمره أن يلحق بعمرو ، وأن يكونا جميعاً ، ولا يختلفان ، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ، فقال عمرو : إنما قدمت عليّ مدداً ، وأنا الأمير ، فأطاع له بذلك أبو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس ، وسار حتى وصل الى العدو بليٍ وعُذرةَ ، فحمل عليهم المسلمون ، فهربوا بالبلاد وتفرقوا .

سرية ابو عبيدة بن الجراح

وسماها البخاري (غزوة سيف البحر) ، وكانت في رجب سنة ثمان ، الى حي من جهينة بالقبلية ، مما يلي ساحل البحر ، وبينها وبين المدينة خمس ليال .

روى البخاري وغيره عن جابر قال : خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا ، ففني زادنا حتى كان الرجل يأكل تمرة تمرة ، وابتاع قيس بن سعد جزوراً ، ونحرها لهم ، وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر ، فأكلوا منها ، وتزودوا ، ورجعوا ولم يلقوا كيداً . زاد في رواية فلما قدمنا

المدينة أتينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فذكرنا له ذلك ، فقال : هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا ؟ قال : فأرسلنا الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منه فأكل .

سرية أبي قتادة الانصاري

الى خضرة ، وهي أرض محارب ــ قبيلة بنجد ــ في شعبان سنة ثمان ، وبعث معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ خمسة عشر رجلاً الى غطفان ، فقتل من أشرف منهم ، وسبى سبيا كثيراً ، واستاق النعم ، فكانت الإبل مائتي بعير ، والغنم ألفي شاة ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

سرية أبي قتادة الانصاري (أيضا)

الى بطن اضم على ثلاثة برُد من المدينة ، في أول شهر رمضان سنة ثمان ، وذلك أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما همّ أن يغزو أهل مكة ، بعثه ليظنّ ظان أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ توجه الى تلك الناحية ، ولأن تذهب تلك الأخبار فلقوا عامر بن الأضبط ، فسلم عليهم بتحية الإسلام ، فقتله محلم بن جثامة ، فأنزل الله تعالى (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) الآية . فجاء محلم بن جثامة في بردين ، فجلس بين يدي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليستغفر له . فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لا غفر الله لك . فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتى مات ، فلفظته الأرض ، ثم عادوا به فلفظته الأرض ، فلما غلب قومه ، عمدوا الى صدين ــ أي جبلين ــ ثم وضعوا عليه الحجارة حتى واروه ، فذكروا ذلك لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : إن الأرض تقبل من هو شرٌ من صاحبكم ، ولكن يريد الله أن يعظكم .

فتح مكة المكرمة

زادها الله شرفاً ، وكرماً ، وهو الفتح الأعظم الذي جعله الله هدىً للعالمين . وهو الفتح الذي أعز الله به دين الإسلام ورسوله وجنده وحرمه.

الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين • خرج له ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكتائب الإسلام ، وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية ، وقدِم أبو سفيان بن حرب المدينة على رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ يسأله أن يجدد العهد • ويزيد في المدة فأبى عليه ، فانصرف راجعا الى مكة ، فتجهز رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من غير إعلام أحد ، فكتب حاطب ابن أبي بلتعة ، وأرسله الى مكة يخبرهم بذلك ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي والزبير والمقداد : انطلقوا حتى تأتوا روضَة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها •

قال وانطلقنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجي الكتاب قالت : ما معي كتاب • قلنا لتخرِجنّ الكتاب أو لتلقين الثياب ، قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإذا به من حاطب ابن أبي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم بأمور النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول اللهلا تعجل علي ، إني كنت امرأ مُلصقاً في قريش أي حليفا ، ولم اكن من أنفسِها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم ، وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أما إنه قد صَدَقكم • فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق • فقال : إنه شهد بدراً ، وما يدريك ؟ لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم • فأنزل ــ سبحانة وتعالى ــ : (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة ••• الى قوله : فقد ضل سواء السبيل) رواه البخاري • وحكى السهيلي أن لفظ الكتاب الذي كتبهُ حاطب : أما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله ــ صلى

الله عليه وسلم ــ جاءكم بجيش عظيم يسيل كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم والسلام •

وبعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى من حوله من العرب (اسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع ، وسَليم) فجلبهم ، فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لحقه بالطريق ، واستخلف ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المدينة ابن ام مكتوم ، وخرج يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رمضان ، وقيل لعشر ، وقيل لأكثر ، بعد العصر سنة ثمان من الهجرة ، وكان المسلمون عشرة آلاف ، وقيل اثنا عشر ألفا ، وكان العباس قد خرج بأهله وعياله مسلماً مهاجراً ، فلقي رسول الله بالجحفة ، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته • ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عنه راضٍ • وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث ابن عمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ وأخوه من الرضاعة من حليمة السعدية ، ومعه ولده جعفر ، وكان أبو سفيان يألف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما بُعِث عاداه وهجاه ، وكان لقاؤهما له ــ عليه الصلاة والسلام ــ بالأبواء ، وأسلما قبل دخول مكة • ثم سار ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ، ودفعها الى القبائل ، ثم نزل مرّ الظهران عشاء ، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، ولم يبلغ قريشاً مسيره ، وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم ، فبعثوا أبا سفيان بن حرب ، وقالوا : إن لقيت محمداً ، فخذ لنا منه أماناً ، فخرج أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء حتى أتوا مرّ الظهران ، فلما رأوا العسكر أفزعهم ، فرآهم ناس من حرس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأدركوهم ، فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس : احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين • فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : هذه غفار ، قال : مالي ولغفار ، ثم جهينة قال مثل ذلك • حتى

أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة ، معه الراية ، فقال سعد : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة، وفي رواية نستحل الحرمة . فسمعها رجل من المهاجرين فقال : يا رسول الله ما آمن أن يكون لسعد في قريش ، فقال : لعلي ادركه ، فخذ الراية منه ، فكن أنت تدخل بها ، وروي أن أبا سفيان قال : للنبي - صلى الله عليه وسلم - لما حاذاه أمرت بقتل قومك ؟ قال : لا ، فذكر له ما قال سعد بن عبادة . ثم ناشده الله والرحم ، فقال يا أبا سفيان : اليوم يوم المرحمة ، اليوم يُعِزُّ الله قريشاً ، وأرسل الى سعد فأخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قيس ، قال موسى بن عقبة : بعث رسول الله الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل من كداء بأعلى مكة ، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ، ولا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة ، وسليم وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة يغرز رايته عند أدنى البيوت ، وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار ، في مقدمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمرهم أن يكفوا أيديهم ، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها بنو بكر ، وبنو الحارث بن عبد مناف . وناس من هذيل ، ومن الاحابيش الذين انتصرت بهم قريش ، فقاتلوا خالداً ، فقاتلهم فانهزموا ، وقتل من بني بكر نحوا من عشرين رجلاً ، ومن هذيل ثلاثة أو اربعة ، حتى انتهى بهم القتل الى الجزورة ، الى باب المسجد حتى دخلو الدور ، فارتفعت طائفة منهم على الجبال ، وصاح أبو سفيان : من أغلق بابه وكف يده فهو آمن . ونظر رسول الله الى البارقة ، فقال : ماهذه ، وقد نهيت عن القتال ؟ فقالوا : إن خالداً قوتل وبدىء بالقتال ، فلم يكن له بد من أن يقاتلهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن اطمأن لخالد : لم قاتلت ، وقد نهيتك عن القتال ؟ فقال : هم بدأوا بالقتال ، وقد كففت يدي ما استطعت . فقال : قضاء الله خير ، وقال العباس بعد أن أسلم أبو سفيان وشهد شهادة الحق : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له

شيئاً ، فقال : نعم • وأمر ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنادى مناديه : من دخل المسجد فهو آمن إلا المستثنين ، وهم على ما جمعه الواقدي عن شيوخه عشرة رجال ، وأربع نسوة • وفي المواهب اللدنية : (١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أسلم (٢) وابن خطل قتله أبو برزة ، وقينتاه وهما (٣) فرتنا (٤) وقرَيبَة أسلمت إحداهما ، وقتلت الأخرى ، (٥) وعكرمة بن أبي جهل أسلم • (٦) والحويرث بن نقيد فقتله علي ، (٧) ومقيس بن صبابة قتله غيلة الليثي ، (٨) وهبار بن أسود ، أسلم ، (٩) كعب بن زهير ، أسلم ، (١٠) هند بنت عتبة ، أسلمت ، و (١١) وحشي بن حرب أسلم •

وعن أنس أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المِغفَر ، (وهو زرد" ينسج على قدر الرأس مثل القلنسوة) وعن جابر أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان على رأسه عمامة سوداء • ولما كان الغد من يوم الفتح ، قام ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطيباً في الناس فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ومجده بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، فلا يحل لأمريء يؤمن بالله، واليوم الآخر ، أن يسفك بها دماً أو يعضد بها شجرة • فإن احد" ترخص فيها لقتال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيها ، فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أحلت لي ساعة من نهارٍ ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس • فليبلغ الشاهد الغائب • ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ــ أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ، ولم يؤسروا ــ • ولما فتح الله مكة على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال الأنصار فيما بينهم : أترون أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الصفا رافعاً يديه • فلما فرغ من دعائه ، قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لاشيء يا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال

رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ معاذ الله المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

وهمّ فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يطوف بالبيت ، فلما دنا منه ، قال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أفضالة ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لاشيء ، كنت أذكر الله . فضحك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق اللهُ شيئاً أحب إليّ منه .

وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي : إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لما أعلم رسوله بأنه قد أنجز وعده بالنصر على أعدائه ، وفتح مكة ، وإعلاء كلمة دينه ، أمره إذا دخل مكة يقول : (قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) فصار ــ صلى الله عليه وسلم ــ يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه ، ويقول : جاء الحق وزهق الباطل . فيخر الصنم ساقطاً مع أنها كانت مثبتة بالحديد ، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً بعدد أيام السنة ، وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : أقبل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عام الفتح على ناقته القصواء ، وهو مردف أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة ، ثم دعا عثمان بن طلحة ، فقال : ائتني بالمفتاح ، وذهب الى أمه ، فأبت أن تعطيه . فقال: : والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي ، فأعطته إياه ، فجاء به الى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فدفعه إليه ففتح الباب ــ رواه مسلم ــ .

وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الأثنين والخميس ، فأقبل ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فاغلظت له ، ونلت منه ، فحلم عني . ثم قال : يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت . قلت : لقد

هلكت قريش يومئذ وذلت. فقال : بل عمرت ، وعزّت يومئذ ، ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير الى ما قال ، فلما كان يوم الفتح قال : يا عثمان ائتني بالمفتاح . فأتيت به ، فأخذه مني ثم دفعه إليّ . وقال : خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعنها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف . قال : فلما وليت ناداني ، فرجعت إليه ، قال : ألم يكن الذي قلت لك ؟ قال : فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة : (ولعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت) قلت : بلى ، أشهد أنك رسول الله .

وفي عثمان هذا نزلت آية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها). وروى مسلم : أنه دخل ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو وبلال وعثمان بن طلحة الكعبة فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر : فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت بلالاً فسألته هل صلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ قال: نعم بين العمودين اليمانيين ، وذهب عني أسأله كم صلى . وفي إحدى روايات البخاري جعل عموداً على يساره ، وعموداً على يمينه ، وثلاثة اعمدة وراءه .

وفي كتاب مكة للأذرقي والفاكهي أن معاوية سأل ابن عمر : أين صلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة أذرع .

فعلى هذا ينبغي لمن أراد الاتباع في ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع ، فإنه تقع قدماه في مكان قدميه ــ صلى الله عليه وسلم ــ إن كانت ثلاثة سواءً . أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع والله اعلم .

وعن أسامة بن زيد قال : دخلت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الكعبة ورأى صوراً فدعا بدلوٍ من ماءٍ فاتيته به فجعل ــ صلى الله عليه وسلم ــ يمحوها ، ويقول : قاتل الله قوماً يصورون مالا يخلقون .

رواه أبو داود • وأقام ــ صلى الله عليه وسلم ــ خمس عشرة ليلة ، وقيل أكثر ، وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان •

سرية خالد بن الوليد (رضي الله عنه)

عقب فتح مكة الى العزّى بنخلة ، وكانت لقريش ، وجميع بني كنانة . وكانت اعظم أصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ، ومعه ثلاثون فارساً ليهدمها ، فلما انتهوا إليها هدمها ، ثم رجع الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة ، فأخبره ، فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا • قال : فإنك لم تهدمها ، فارجع إليها فاهدمها • فرجع فجرد سيفه فخرجت إليه أمرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس ، فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجندلها باثنتين ، فرجع الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة فأخبره ، فقال : نعم تلك العزى ، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً •

سرية عمرو بن العـــاص

الى سواع صنم هذيل ، على ثلاثة أميال من مكـــة ، في شهر رمضان ، سنة ثمان حين فتح مكة • قال عمرو : فانتهينا إليه ، وعنده السادن ، فقال : ماتريد ؟ فقلت : أمرنـــي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن أهدمه • قال : لا تقدر على ذلك ، قلت : لِم ؟ قال : تمنع • قلت : ويحك ، وهل يسمع ، أو يبصر ؟ قال : فدنوت منه ، فكسرته ، ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله •

سرية سعد بن زيـــد الاشهلي

الى مناة ــ صنم للأوس والخزرج بالمشلل ــ في شهر رمضان حين فتح مكة ، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها • قال السادن : ما تريد ؟ قال : هدم مناة • قال السادن : أنت وذاك ، فأقبل سعد يمشي ، فخرجت امرأة عريانة سوداء ، ثائرة الرأس ، تدعو بالويل ، وتضرب صدرها ، فضربها سعد

ابن زيد ، فقتلها ، وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه ، فهدموها ، وانصرف راجعاً الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان ذلك لست بقين من رمضان •

سرية خالد بن الوليــد

الى بني جذيمة ــ قبيلة من عبد قيس أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم ــ في شوال سنة ثمان ، وهو يوم الغميصاء ، بعثه ــ عليه الصلاة والسلام ــ لما رجع من هدم العزى ، وهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقيم بمكة ، وبعث ثلاثمائة وخمسين رجلاً داعياً الى الإسلام لا مقاتلاً ، فلما انتهى إليهم ، قال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون قــد صلينا ، وصدقنا بمحمد ، وبنينا المساجد في ساحاتنا • وفي البخاري لم يحسنوا أن يقولوا ذلك ، فقالوا : صبأنا ، فقال لهم : استأسِروا ، فاستأسروا ، فأمــر بعضهم فكشف بعضا ، **وفرقهم في** أصحابه فلما كان السحر نادى منادي خالد : مــن كان معه أسير ، فليقتله ، فقتل بنو سليم من كان بأيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار ، فأرسلوا أسراهم، فبلغ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : أللهم إني أبرأ إليك من فعل خالدٍ ، نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، ولم ينقادوا للدين ، فقتلهم متأولاً ، وأنكر ــ عليه الصلاة والسلام ــ العجلة ، وترك التثبيت في أمرهم ، قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا •

غــزوة حنــين

وهو واد قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وتسمى غزوة هوازن ، وذلك ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما فرغ من فتح مكة ، وتمهيدها ، وأسلم عامة أهلها ، مشت أشراف هوازن وثقيف بعضهم الى بعض ، وحشدوا، وقصدوا محاربة المسلمين ، وكان رئيسهم مالك بن عوف النضري ، فخرج إليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة يوم السبت لست ليال مــن شوال في اثني عشر ألفا من المسلمين ، عشرة آلاف من أهل المدينة ، وألفان ممن أسلم من أهل مكة ، واستعمل ــ صلى الله عليه وسلم ــ عتاب بن أسيد ،

فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال ، فجاء رجل فقال : إنني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم ، بظعنهم ونعمهم وشياههم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ • وقال : تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله • وقال رجل : لن نُغلب اليوم مــن قلة ، فشق ذلك علــى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ • ثم ركــب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بغلته البيضـــاء (دُلدُل) ولبس درعين ، والمغفر ، والبيضة ، فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد ، والكثرة • وذلك في غبش الصبح ، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي ، فحملوا حملة واحدة ، وانكشفت خيل بني سليم مولية ، وتبعهم أهل مكة ، والناس ، ولم يثبت معه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأبو بكر ، وعمر ، وأسامة بن زيد ، في ناس من أهل بيته وأصحابه ــ رضي الله عنهم ــ • قال العباس : وأنا آخذ بلجام بغلته ، أكفها مخافة أن تصل الى العدو ، لأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يتقدم في نحر العدو ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجعل ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقول للعباس : نادِ يا معشر الأنصار ، يا أصحــاب السمرة ــ يعني شجــرة بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها ــ ألا يفروا عنه ، فجعل تارة ينادي : يا أصحاب السمرة ، وتارة : يا أصحاب سورة البقرة ، وكان العباس رجلاً صيتا ، فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنّت الى أولادها •

وفي رواية مسلم قال العباس : فوالله لكأن عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، يقولون : يالبيك ، يالبيك ، فتراجعوا الى رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وأرسله ، ورجع بنفسه الى رسول الله ــ صلى الله عليه

وسلم ــ فأمرهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يَصدُقوا الحملة ، فاقتتلو مع الكفار ، فأشرف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنظر الى قتالهم ، فقال : (الآن حَمِيَ الوطيسُ) ، وهو التنور ، ضربه مثلاً لشدة الحرب . وهذا من فصيح الكلام الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وفي البخاري عن البراء سأله رجل : أفررتم عن رسول الله يوم حنين ؟ فقال : لكــن رسول الله لــم يفر ، كان هوازن رماة ، وإنا لما حملنا عليهــم انكشفوا ، فأكببنا على المغانم ، فاستقبلونا بالبهام ، ولقد رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على بغلته البيضاء ، وأن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

أنا النبــي لا كـــذب أنا بــن عبــد المطلب

وتناول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حصيات من الارض ، ثم قال : شاهت الوجوه ــ أي قبحت ــ ورمى بها في وجوه المشركين ، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه مــن تلك القبضــة . وفي رواية مسلم قبضة من تراب الأرض . وفي رواية أحمد وغيره أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما ولى المسلمون مدبرين قال : أنا عبد الله ورسوله ، أنا عبد الله ورسوله ، ثم أخذ كفاً من تراب ، وضرب وجوههم ، وقال : شاهت الوجــوه ، فهزمهم الله سبحانه وتعالى . قال ابن مسعود : حادت به بغلته ، فمال السرج ، فقلت : ارتفع رفعك الله . فقال : ناولني كفاً من تراب ، فضرب وجوههم ، وامتلأت عيونهم تراباً ، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب ، فولى المشركون الأدبار .

وعن عبد الرحمن الفهري قال : حدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : لم يبق منا واحد" إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً ، وسمعنا صلصلة من السماء

كإمرار الحديد على الطست الجديد ، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وهم الملائكة •

وفي سيرة الدمياطي : كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر" أرخوها بين أكتافهم ، وأمر ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن قتل من قدر عليه • وأفضى المسلمون في القتل الى الذرية • فنهاهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ذلك وقال : من قتل قتيلاً له عليه بينة ، فله سَلَبُه ، واستلب أبو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلاً ، وأمر ــ صلى الله عليه وسلم ــ بطلب العدو فانتهى بعضهم الى الطائف ، وبعضهم نحو نخلة ، وقوم منهم الى أوطاس ، واستشهد من المسلمين أربعة ، منهم أيمن الحبشي ، وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلاً •

سرية أبي عامر الاشعري

وهو عم أبي موسى ، بعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن ، وكان معه سلمة ابن الأكوع ، فانتهى إليهم ، فإذا هم مجتمعون ، فقتل منهم أبو عامر تسعة إخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم الى الإسلام ، ويقول : أللهم اشهد عليه ، فقال واحد منهم : أللهم لا تشهد علي ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ، ثم أسلم بعد ، فأحسن إسلامه ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا رآه قال : هذا شريد أبي عامر • ورمى أبا عامر ابنا الحارث العلاء وأوفى ، فقتلاه ، فخلفه أبو موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أللهم اغفر لأبي عامر ، واجعله من أعلى أمتي في الجنة ، وكان في السبي الشيماء أخته ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الرضاعة •

سرية الطفيل بن عمرو الدوسي

الى ذي الكفين ــ صنم من خشب ــ في شوال ، لما أراد ــ صلى الله عليه وسلم ــ السير الى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف ، فخرج سريعاً

فهدمه ، وجعل يحشو النار في وجهه ــ أي يلقيها عليه ويحرقه ــ ويقول :

ياذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه اربعمائة رجل سراعاً ، فوافوا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام .

غزوة الطائف

وهي بلدة كبيرة على ثلاث مراحل من مكة ، سار إليها النبي ــ صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان ، حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته ، وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف ، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم سنة ، وتهيأوا للقتال ، فسار ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى نزل قريباً من الحصن ، وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً ، كأنه رجل الجراد ، حتى أصيب ناس من المسلمين ، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً ، فارتفع ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى موضع مسجد الطائف اليوم ، وكان معه من نسائه أم سلمة ، وزينب ، فضرب لهما قبتين ، وكان يصلي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين القبتين حصار الطائف كله ، فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ، ونصب عليهم المنجنيق ، وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام ، وأمر بقطع أعنابهم ، وتحريقها ، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً ، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إني أدعها لله وللرحم ، فقال : ثم نادى مناديه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أيما عبد نزل من الحصن ، وخرج إلينا فهو حر ، فخرج ثلاثة وعشرون عبداً منهم أبو بكرة . ولم يؤذن له ــ صلى الله عليه وسلم ــ في فتح الطائف وأمر عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فأذن بالناس بالرحيل ، فضج الناس من ذلك وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا الطائف ؟ فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : فاغدوا على

القتال ، فغدوا ، فأصاب المسلمين جراحات ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ إنا قافلون ان شاء الله تعالى ، فسرّوا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرحلون ، وفقئت عين أبي سفيان (صخر بن حرب) يومئذ فذكر ابن سعد أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال له وهي في يده : أيهما أحب إليك عين في الجنة ، أو أدعو الله أن يردها عليك ؟ قال : بل عين في الجنة ، ورمى بها وشهد اليرموك ، فقاتل وفقئت الأخرى يومئذ .

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ قولوا : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده . فلما ارتحلوا قال : قولوا آيبون ، تائبون ، عابدون لربنا حامدون . ولما قيل له : يارسول الله ادع على ثقيف . قال : أللهم اهد ثقيفاً وائت بهم ، وكان ــ عليه الصلاة والسلام ــ قد أمر أن يجمع السبي والغنائم ، مما أفاء الله على رسوله يوم حنين ، فجمع ذلك كله الى الجعرانة ، فكان بها الى أن انصرف ــ عليه الصلاة والسلام ــ من الطائف ، وكان السبي ستة آلاف رأس ، والابل أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، وانتظر ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهوازن أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليلة ، ثم بدأ يقسم الأموال .

وفي البخاري : وطفق ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي رجالاً المائة من الإبل ، فقال ناس من الأنصار : يغفر الله لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ! قال أنس : فحدث لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقالتهم ، فأرسل الى الأنصار ، فجمعهم في قبة من أدم ، ثم قال لهم : أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبوا بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به . قالوا : يا رسول الله قد رضينا . عن جبير بن مطعم قال : بينما أنا مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعه الناس مقفلة من

حنين علقت برسول الله الأعراب حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداؤه ، فوقف ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال : أعطوني ردائي ، فلو كان لي عدد هذه العضاء نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ، ولا كذوبا ، ولا جباناً . والعضاء شجر ذو شوك . وأحرم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعمرة ، ودخل مكة ، ثم قدم المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوماً . وبعث ــ صلى الله عليه وسلم ــ قيس بن سعد بن عبادة الى ناحية اليمن في أربعمائة فارس . وأمره أن يقاتل قبيلة صداء حين مرورهم عليهم في الطريق ، فقدم زياد بن الحارث الصدائي ، فسأل عن ذلك البعث ، فأخبر فقال : يا رسول الله أنا وافدهم ، فاردد الجيش ، وأنا لك بقومي ، فردهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا .

وبعث ــ صلى الله عليه وسلم ــ عيينه بن حصن الفزاري الى بني تميم بالسقيا ــ وهي أرض بني تميم ــ في محرم سنة تسع ، في خمسين فارساً من العرب ، ليس فيهم مهاجري ولا انصاري ، وكان يسير بالليل ، ويكمن بالنهار ، فهجم عليهم في صحراء قد حلوا وسرحوا مواشيهم . فلما رأوا الجمع ولوا ، فأخذوا منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً ، فقدم عشرة من رؤسائهم الى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فرد عليهم الأسارى والسبي ، ثم بعث ــ صلى الله عليه وسلم ــ الوليد بن عقبة الى بني المصطلق من خزاعة لصدقتهم ، وكان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية ، وكانوا قد أسلموا ، وبنوا المساجد ، ولما سمعوا بدنو الوليد قدم منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزر والغنم فرحاً به ، وتعظيماً لله ولرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، فرجع من الطريق قبل أن يصلوا إليه ، وأخبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة ، فهمّ ــ عليه الصلاة والسلام ــ أن يبعث إليهم من يغزوهم ، وبلغ ذلك القوم ، فقدم منهم الركب الذين لقوا الوليد ، فأخبروا النبي الخبر على وجهه ، فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ

فتبينوا أن ..... الى آخر الآية) وبعث معهم عبادة بن بشر بأخذ صدقات أموالهم ، ويعلمهم شرائع الإسلام ، ويقرئهم القرآن .

وبعث ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو ابن حارثة ، في مستهل صفر يدعوهم الى الإسلام ، فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بالصحيفة ، فدعا عليهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذهاب العقل ، قال راوي الحديث : فهم الى اليوم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط !

سرية قطبة بن عامر ــ رضي الله عنه ــ

الى خثعم ، قريباً من تربة من أعمال مكة سنة تسع ، وبعث معه عشرين رجلا ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً ، وقتل قطبة من قتل ، وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة .

سرية علقمة بن مجزز المدلجي

الى ناس من الحبشة في ربيع الآخر سنة تسع في ثلاثمائة ، فانتهى الى جزيرة في البحر ، فلما خاض إليهم هربوا ، فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهليهم ، فأمر عبد الله بن حذافة على من تعجل ، وكانت فيه دعابة ، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ، فقال : عزمت عليكم إلا تواثبتم على هذه النار ، فلما هم بعضهم بذلك ، قال : اجلسوا إنما كنت أمزح ، فذكروا ذلك للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال : من أمركم بمعصية فلا تطيعوه . وفي رواية : لو دخلوها ما خرجوا .

سرية علي ابن أبي طالب

الى الغلس ، وهو صنم طي لهدمه في ربيع الآخر ، سنة تسع ، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً . فهدمه ، وغنم سبياً ونعماً وشاءً ، وكان في السبي سفانة بنت حاتم فأطلقها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي بن حاتم .

سرية عكاشة بن محصن ـ رضي الله عنه ـ

الى الحباب موضع بالحجاز ، وهو أرض عـذرة وبليٍ ـ اسم قبيلتين ـ وقيل أرض فزارة وكلب .

قصة كعب بن زهير مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وكانت في ما بين رجوعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الطائف وغزوة تبوك ، وكان من خبره وأخيه بجير ، أن بجيرا قال لأخيه : اثبت حتى آتي هذا الرجل يعني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسمع كلامه ، واعرف ماعنده ، فأقام كعب ومضى بجير حتى أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمع كلامه وآمن به . وذلك أن زهيرا كان يجالس أهل الكتاب ، فسمع منهم أنه قد آن مبعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورأى زهير في منامه انه قد مُدّ سبب من السماء وأنه قد مدّ يده ليتناوله ، ففاته ، فتأوله بالنبي يبعث في آخر الزمان ، وأنه لا يدركه ، فأخبر بنيه بذلك ، وأوصاهم إن أدركوه أن يسلموا . وكتب بجير الى كعب ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ، وأن من بقي من شعراء قريش هربوا ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فَطِر الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائبا ، وإن كنت لم تفعل ، فانـج الى نجائك ، فكتب له أبياتا لامـه فيها على إسلامه ، فأنشدها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله . فلما بلغ كعبا ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه فخرج حتى قدم المدينة ، فوضع يده في يد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو لا يعرفه فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء ليستأمنك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله : نعم . قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير . فوثب عليه رجل من الأنصار . فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعه عنك ،

فقد جاء تائباً ثم قال قصيدته (بانت سعاد) ، قال أبو بكر بن الانباري لما وصل الى قوله :

إن الرســول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى إليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بُردَةً كانت عليه ، وإن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف . فقال : ما كنت لاوثر بثوب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحداً ، فلما مات كعب ، بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفاً ، فأخذها منهم . قال : وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم .

غـــزوة تبــوك

مكان معروف ــ وهو نصف طريق المدينة الى دمشق ــ وهي (غزوة العسرة) كان يوم الخميس في رجب سنة تسـع مـن الهجرة ، وكان حراً شديداً ، وجدباً كثيراً ، فلذلك لم يُور عنها كعادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في سائر الغزوات ، وخرجوا في قلةٍ من الظهر ، وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون مافي كرشه من الماء ، فكان ذلك عسرة في الماء ، وفي الظهر والنفقة فسميت (غزوة العسرة) وسببها أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بلغه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الأنباط الذين يَقدِمونَ الزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مـع هرقل ، فندب ــ صلى الله عليه وسلم ــ الناس الى الخروج ، وأعلمهم بالمكان الذي يريد ، ليتأهبوا لذلك . وقال عثمان : يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ، ومائتا أوقية ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ما على عثمان ، لا يضر عثمان ما عمل بعدها .

وروي عن قتادة : أنه قال : حمل عثمان في جيش العسرة علـى ألف بعير ، وسبعين فرساً ، وعن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : جاء عثمان ــ رضي الله عنه ــ بألف دينار في كُمه حينَ جهز جيش العسرة ، فنثرها في حجـره ــ صلى الله عليه وسلم ــ فرأيت رسول الله يقلبها في حجره ، ويقول : ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم . رواه الترمذي .

وروى الطبراني عن حذيفة : أن عثمان بعث في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فصبت بين يديه ، فجعل – صلى الله عليه وسلم – يقول بيده ويقلبها ظهراً ببطن ، ويقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت ، وما أعلنت ،وما هو كامن الى يوم القيامة ، ما يبالي ما عمل بعدها . ولما تأهب – صلى الله عليه وسلم – للخروج ، قال قوم من المنافقين : لا تنفروا في الحر ، فنزل قوله تعالى : (وقالوا : لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) . وأرسل – صلى الله عليه وسلم – الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم .

وجاء البكاؤن يستحملونه ، فقال – عليه الصلاة والسلام – ما أجد ما أحملكم عليه . وهم الذين قال الله تعالى فيهم : (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون) . وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف ، فأذن لهم ، وهم إثنان وثمانون رجلاً ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علةٍ جَراءة على الله ورسوله . واستخلف على المدينة ، وعلى عياله علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – وقال له يومئذ : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي .

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ، ولا ارتياب منهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية . وفيهم نزل قوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا ...) الآية ، وأبو ذر وأبو خيثمة ، ثم لحقاه بعد ذلك ، وأمر – صلى الله عليه وسلم – لكل بطن من الأنصار ، والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً وراية ، وكان معه – عليه الصلاة والسلام – ثلاثون ألفا ، وكانت الخيل عشرة آلاف . فلما قدموا تبوك ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة ، فلا يقم أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عِقاله ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيّ رواه مسلم .

ولما مرّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالحجر سجى ثوبه على وجهه . واستحث راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم • رواه الشيخان • والحجر ديار ثمود الذين غضب الله عليهم • ولما كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ ببعض الطريق ضلت ناقته • فقال زيد بن اللصيت ، وكان منافقاً : أليس محمد يزعم انه نبي ، ويخبركم بأخبار السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن رجلاً يقول كذا وكذا ، وذكر مقالته ، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله سبحانه وتعالى ، وقد دلني الله تعالى عليها ، وهي في الوادي في شعب كذا وقد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا فجاءوا بها رواه البيهقي ، وأبو نعيم •

وفي مسلم عن معاذ بن جبل : أنهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء ، وأنهم غرفوا منها قليلاً حتى اجتمع في شن ، ثم غسل ــ صلى الله عليه وسلم ــ به وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير ، فاستقى الناس ، ولما انتهى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية • وأتاه أهل جرباء وأدرج ، وهما بلدان بالشام ، فأعطوه الجزية ، وكتب لهم كتاباً •

ووجد هرقل بحمص ، فأرسل خالد بن الوليد الى أكيدر ابن عبد الملك النصراني بدومة الجندل ، في اربعمائة وعشرين فارساً في رجب سرية ، وقال له ــ عليه الصلاة والسلام ــ إنك ستجده ليلاً يصيد البقر ، فانتهى إليه خالد ــ رضي الله عنه ــ وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو وأخوه حسان ، فشدت عليهم خيل خالد ، فأستأسر أكيدر ، وقتل أخوه حسان ، وهرب من كان معهما ، فدخل الحصن ، ثم أجار خالد أكيدراً من القتل حتى يأتي به الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أن يفتح له دومة الجندل ، ففعل ، وصالحه على ألفي بعير ، وثمانمائة فرس ، وأربعمائة

درع ، وفي هذه الغزوة كتب ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتاباً في تبوك الى هرقل يدعوه الى الأسلام ، فقارب الإجابة ولم يجبه . رواه ابن حبان .

وفي مسند أحمد أن هرقل كتب من تبوك الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أني مسلم فقال : صلى الله عليه وسلم : كذب هو على نصرانيته ، ثم انصرف ــ صلى الله عليه وسلم ــ من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة ، وقيل عشرين ، ولم يلق كيداً ، وبنى في طريقه مساجد ، وأقبل ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى نزل بذي أوان ــ بينها وبين المدينة ساعة ــ جاءه خبر مسجد الضِرار من السماء ، فأرسل من هدمه وحرقه بعد أن أنزل الله فيه : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا) الآية . وكان الذين اتخذوه اثني عشر رجلاً يضارون به مسجد قباء ، وذلك أنهم قالوا في طائفة من المنافقين : نبني فنقيل فيه ، ولا نحضر خلف محمد ، ولما دنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المدينة خرج الناس لتلقيه ، وخرج النساء والصبيان ، والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ إن في المدينة أقواماً ، ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر . ولما دخل ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال العباس : يا رسول الله أتأذن لي امتدحك ؟ قال : قل ، لا يفضض الله فاك ، فقال قصيدة منها :

وأنت لما ولدت اشرقت الأر
ض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو
ر وسبل الرشد نخترق

وجاءه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من كان تخلف عنه ، فحلفوا له ، فعذرهم واستغفر لهم ، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع حتى نزلت توبتهم .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم ؛ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد ، وكان ممرّ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا رجع في المسجد عليهم ، فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم ، فقال : أقسم بالله لا أطلقهم ، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ؛ رغبوا عن الغزو فأنزل الله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) فلما نزلت أرسل إليهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأطلقهم وعذرهم .

حجة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ

بالناس سنة تسع ، في ذي القعدة ، وكان معه ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة ، بعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يؤذن في الناس يوم النحر ؛ أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ثم أردفه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعلي ــ رضي الله عنه ــ وأمره أن يؤذن ببراءة ، فقرأها على الناس حتى ختمها ، وأنزل الله سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) . فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حجة الوداع مشرك . ثم بعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبا موسى ومعاذاً الى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهم على مخلاف ، أي إقليم . واليمن مخلافان ، ثم قال : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وقال لمعاذ : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم ، فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم

صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب • وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن ، وكانت جهة أبي موسى السفلى ، ثم أرسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة عشر الى بني عبد المدان ــ قبيلة بنجران ــ وأسلموا •

ثم أرسل علي بن أبي طالب الى اليمن في رمضان سنة عشر وعقد له لواءً وعممه بيده • وقال علي ــ رضي الله عنه ــ : بعثني النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى اليمن ، فقلت : يا رسول الله تبعثني الى قوم أسن مني ، وأنا حديث السن لا ابصِر القضاء • فوضع يده في صدري ، وقال : أللهم ثبت لسانه واهد قلبه ، وقال : يا علي إذا جلس المتخاصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ، فخرج في ثلاثمائة فارس ، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ، ونعم وشاء وغير ذلك • ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الإسلام ، فأبوا ، ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي ــ رضي الله عنه ــ بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا ، فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الإسلام ، فأسرعوا وأجابوا ، ثم قفل ، أي رجع فوافى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في مكة قد قدمها للحج سنة عشرٍ •

حجة الوداع

حج ــ صلى الله عليه وسلم ــ حجة الوداع ، وتسمى حجة الإسلام ، وحجة البلاغ ، فخرج ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة وخرج معه تسعون ألفا ، ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفا ، ويقال اكثر من ذلك • قال ابن الأثير : كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحج كل سنة قبل أن يهاجر ، وفي حديث جابر عن مسلم ، مكث ــ صلى الله عليه وسلم ــ تسع سنين في المدينة لم يحج ، ثم أُذِن في الناس في العاشرة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خارج ، فقدم المدينة بشر كثير ،

كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويعمل مثل عمله . فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فصلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في المسجد ، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به . وكان خروجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المدينة بين الظهر والعصر ، فنزل بذي الحليفة ، فصلى بها العصر ركعتين ، ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر . وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن تلك الليلة ، ثم اغتسل غسلاً ثانيا لإحرامه غير غسل الجماع الأول .

وفي الصحيحين : أن عائشة طيبته ــ صلى الله عليه وسلم ــ (بزريرة) وهي نوع من الطيب يجعل فيه المسك ، قالت : طيبته عند إحرامه ، ثم طاف في نسائه ، ثم أصبح محرماً ، وثبت في الصحيحين عن ابن عمر : أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يركع بذي الحليفة ركعتين ، ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل (أي رفع صوته بالتلبية) . واختلفت روايات الصحابة في حجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حجة الوداع هل كان مفرداً ، أو قارنا أو متمتعاً .

عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال : صلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الظهر بذي الحليفة ، ثم دعا بناقته ، فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن ، وسلت الدم عنها ، وقلدها نعلين ، رواه مسلم . أي ليعلم أنها هدي ، وأشعرها ــ أي شقها ــ وكان حجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على رحلٍ رثٍ يساوي أربعة دراهم رواه الترمذي .

ولما مر ــ صلى الله عليه وسلم ــ بوادي عسفان ، قال : يا أبا بكر أي وادٍ هذا ؟ قال : وادي عسفان ، قال : لقد مر به هود وصالح على بكرين

أحمرين خطامهما الليف ، وأزرهما العباء ، وأرديتهما النمار ، يلبون بالحج ـ يحجون البيت العتيق ـ رواه أحمد (والنمار جمع نمرة بُردة من صوف تلبسها الأعراب) وفي رواية مسلم من حديث ابن عباس : لما مرّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوادي الأزرق قال : كأني أنظر الى موسى هابطا من الثنية واضعاً إصبعيه في أُذنيه ، ماراً بهذا الوادي ، وله جؤار الى الله بالتلبية .

ولما بلغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذا طوى عند آبار الزاهر بات بها بين الثنيتين ، فلما أصبح ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى الغداة ، ثم اغتسل رواه البخاري .

وفي حديث ابن عمر كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدخل مكة من الثنية العليا ، التي ينزل منها الى المعلاة (مقبرة مكة) ، ويقال لها الكداء والحجون . ودخل ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة لأربع خلون من ذي الحجة ، ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف (وهو باب بني شيبة) لأن باب الكعبة في جهة ذلك الباب . وروى الطبراني عن حذيفة بن أسيد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا نظر البيت قال : اللهم زد بيتك هذا تشريفاً وتعظيماً وتكريماً وبراً ومهابةً ، وزد من عظمته وشرفه ، ممن حجه واعتمره تعظيماً وتشريفاً وبراً ومهابة .

ولم يركع ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحية المسجد إنما بدأ بالطواف ، لأنه تحية البيت ، ثم استلم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحجر الأسود بالمحجن، وروى الشافعي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهم ـ قال : استقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحجر الأسود فاستلمه ، ثم وضع شفتيه عليه طويلاً ، وكان إذا استلم الركن قال : بسم الله والله أكبر . وكلما أتى الحجر قال : الله اكبر رواه الطبراني ، ولما استلم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحجر مضى على يمينه ، فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، ولما فرغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ من طوافه أتى المقام وقرأ : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فصلى ركعتين،

والمقام بينه وبين البيت ، فقرأ فيهما (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) • ثم رجع الى الركن الذي فيه الحجر فاستلمه • ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت ، واستقبل القبلة فوحد الله وكبره ، وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده • ثم دعا بين ذلك • قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة (أي توجه إليها) حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة • وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثر عليه الناس يقولون هذا محمد ، هذا محمد ، حتى خرجت العواتق من البيوت ، وكان رسول الله ـ صلى الله علبه وسلم ـ لا يضرب الناس بين يديه ، فلما كثر عليه الناس ركب ، والمشي في السعي أفضل • هذا لفظ رواية مسلم •

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بظاهر مكة ، يقصر الصلاة فيه بالمسلمين ، وكانت مدة إقامته قبل الخروج الى منى أربعة أيام ، وقدم علي ـ رضي الله عنه ـ من اليمن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : بم اهللت ؟ فقال : بما اهل به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : لولا أن معي الهدي لأحللت ، رواه الشيخان من حديث أنس •

وكان مجموع الهدي الذي قدم به علي من اليمن ، والذي أتى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مائة • ولما كان يوم التروية ، وهو الثامن من ذي الحجة ، وكان يوم الخميس ضحىً ركب ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجه بالمسلمين الى مِنىً ، وقد أحرم بالحج من كان أحل منهم ، فصلى ـ صلى

الله عليه وسلم ـ بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة من شعر ، فضربت له بنمرة من عرفة . فلما بلغها نزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فركب فأتى بطن الوادي .

فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ووضع أي اسقط أمر الجاهلية ورباها ، وأوصى بالنساء خيراً ، وقال في آخر خطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ : وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وانتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء ، وينكتها الى الناس ويقول : أللهم اشهد (ثلاث مرات) ، ثم أذن بلال ، ثم اقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً .

ولما فرغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صلاته ركب حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات وجعل حبل الشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ، وكان أكثر دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عرفة في الموقف : أللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول ، أللهم لك صلاتي ونسكي ، ومحياي ومماتي ، وإليك مآبي ولك ربي تراثي ، أللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم إني أسألك من خير ما تجيء به الريح ، وأعوذ بك من شر ما تجيىء به الريح رواه الترمذي من حديث علي . وفي الترمذي : أفضل الدعاء يوم عرفة : أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وكان من دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عرفة في عرفة أيضاً كما رواه الطبراني من رواية ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : اللهم إنك تسمع كلامي ،

وترى مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنوبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك ربي شقيا ، وكن بي رؤفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين .

وأتاه ناس من أهل نجد وهو بعرفة ، فسألوه كيف الحج ؟ فأمر منادياً ينادي : (الحج عرفة) من جاء ليلة جمع أي قبل طلوع الفجر ، فقد أدرك الحج . أيام منى ثلاثة ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه رواه الترمذي . وجَمع" هي المزدلفة وليلتها ليلة العيد ، وفي رواية جابر عند أبي داود قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعرفة (: وقفت هاهنا ، وعرفة كلها موقف ، وهاهنا أُنزل عليّ (اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا) كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب . ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلاً حين غاب القرص أفاض ــ صلى الله عليه وسلم ــ من عرفة ، وأردف أسامة خلفه ، وقد شنق القصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رجله ، ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السكينة ، السكينة . وكلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد ، وأفاض من طريق المأزمين . ومعنى الحبل التل اللطيف من الرمل ، وطريق المأزمين بين عرفة والمشعر الحرام .

وفي رواية ابن عباس أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ سمع وراءه زجراً شديداً ، وضرباً للإبل فأشار بسوطه ، وقال : أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع ــ أي الإسراع ــ .

وفي رواية أسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق ، وإذا وجد فجوة نص ، والعنق سير بين الإبطاء والإسراع ، والنص فوق العنق . والفجوة

المكان الواسع . ولما كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ في أثناء الطريق نزل فبال وتوضأ وضوءً خفيفاً ، فقال له أسامة : الصلاة يا رسول الله ؟ قال : الصلاة أمامك . فركب حتى أتى مزدلفة ، فصلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بها المغرب والعشاء كل واحد منهما بإقامة . وترك ــ صلى الله عليه وسلم ــ قيام الليل تلك الليلة ، ونام حتى أصبح مع كونه ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ، لكنه أراح نفسه الشريفة لما تقدم في عرفة ، ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنةً . وذهب الى مكة لطواف الإفاضة ومشى الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الأسانيد .

وعن عباس بن مرداس أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة ، فأجيب إني قد غفرت لهم ما خلا الظالم ، فإني آخذ للمظلوم منه . قال : أي ربّ إن شئت أعطيت للمظلوم من الجنة ، وغفرت للظالم ، فلم يجب عشيته ، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى ما سأل . قال : فضحك ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو قال تبسم . فقال أبو بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ بأبي أنت وأمي لهذه الساعة ماكنت تضحك فيها ، فما الذي أضحكك . أضحك الله سنك ؟ قال : إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فأضحكني ما رأيت من جزعه . رواه ابن ماجه ، وأبو داود .

وقد جاء في بعض الروايات من غير عباس ان المراد من الأمة من وقف بعرفة . وقال الطبري : أنه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب ، وعجز عن وفائه . وقال الترمذي في الحديث : من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد . ولما طلع الفجر صلى النبي الفجر حين تبين الصبح بأذان وإقامة .

وفي سنن النسائي ، قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ للفضل بن العباس غداة النحر ، وهو ــ عليه الصلاة والسلام ــ على راحلته : هات ألقط لي ، فلقط حصيات مثل حصى الخذف ، أي الرمى ، والمراد الحصى الصغار ، فلما وضعهن في يده ، قال : بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين •

ثم ركب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فرقى عليه فاستقبل القبلة ، فحمد الله وكبره ، وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى اصفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وفي حديث علي عند الطبري : لما أصبح ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل ، ثم قال : هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى إذا اصفر دفع • وفي رواية ابن عباس : أن أسامة قال : كنت ردف النبي من عرفة الى المزدلفة ، ثم أردف الفضل من المزدلفة الى منى ، فكلاهما قال : لم يزل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما •

وفي رواية جابر فلما أتى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بطن محسر حرك ناقته ، وأسرع السير قليلا ، ــ ومحسر موضع بين مزدلفة ومنى ، وهو مكان نزل فيه العذاب على أصحاب الفيـــل ــ ثم سلك ــ صلى الله عليه وسلم ــ الطريق الوسطي التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر من كل حصاة رمى مـــن بطن الوادي ، وجعل البيت من يساره ومنى عن يمينه ، واستقبل الجمرة ، وكان رميه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم النحر ضحى ، كما قاله جابر في رواية مسلم وغيره • وفي رواية ام الحصين عند أبي داود : رأيت أسامة وبلالا ، وأحدهما آخــذ بخطام ناقة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة • وعن ام جندب رأيته ــ عليه الصلاة والسلام ــ يرمي الجمرة من بطن الوادي ، وهو راكب يكبر مع كل حصاة ، ورجل من

خلفه يستره أي من الحر ، فسألت عن الرجل ، فقالوا : فضل بن العباس ، فازدحم الناس فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً ، وإذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف ؛ وفي رواية جابر عند مسلم وأبي داود قال: رأيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرمي على راحلته يوم النحر ، وهو يقول : خذوا عني مناسككم ، لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه ٠

وفي رواية قدامة عن الترمذي : رأيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرمي الجمار على ناقة له صهباء ليس ضرب ، ولا طرد ، ولا إليك إليك ٠ ثم انصرف ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المنحر ، فنحر ثلاثاً وستين بدنة ، ثم أعطى عليا فنحر ما غبر ، وأشركه في هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها ، وشرب من مرقها ٠

قوله فنحر ما غبر أي ما بقي من البدن ، وكانت مائة ٠ وفي رواية جابر عند مسلم ، نحر ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن نسائه بقرة ، ثم أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منزله بمنى ، ثم قال للحلاق : خذ ، فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ، ثم قال بالأيسر ، ففعل مثل ذلك ، ثم قال : ههنا أبو طلحة ، فدفعه إليه ، وعند الإمام أحمد : وقلم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أظفاره وقسمها بين الناس ٠ وعن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أللهم اغفر للمحلقين ، قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ، قال : أللهم اغفر للمحلقين ٠ قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ، قال : أللهم اغفر للمحلقين ٠ قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ، قال : وللمقصرين ، رواه الشيخان ٠

وفي رواية عبد الله بن عمر : فوقف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حجة الوداع بمنى ، للناس يسألونه ، فجاء رجل فقال : يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر ٠ قال : اذبح ، ولا حرج ٠ ثم جاء رجل آخر

فقال : يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال : ارمِ ، ولا حرج . قال : فما سئل عن شيء قدم أو أخر إلا قال : افعل ، ولا حرج . رواه مسلم . وعن أبي بكر قال : خطبنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم النحر فقال : إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنى عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان . وقال : أي شهر هــذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى . قال أي بلد هــذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس البلد الحرام ؟ قلنا : بلى . قال : فأي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى . قال : فإن دماءكم ، وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : أللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى مــن سامع . رواه الشيخان . وفي رواية للبخاري فودع الناس .

وقد روى ابو داود ، والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التميمي ، قال : خطبنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ، ونحن في منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار ، فوضع اصبعيه السبابتين ، ثم قال بحصى الخذف ، ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد ، وأمر الأنصار أن ينزلوا وراء المسجد ، قال : ثم نزل الناس بعد ذلك ، ثم ركب قبل الظهر ، فأفاض الى البيت ، فطاف طواف الإفاضة ، وهو طواف الزيارة ، والركن ، والصــدر . وعــن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يزور البيت كل ليلة ما أقام

بمنى (الحديث) وأتى ــ صلى الله عليه وسلم ــ زمزم ، وبنو عبد المطلب يسقون عليها ، فقال : انزعوا بني عبد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم ، لنزعت معكم • فناولوه دلواً ، فشرب منه • وفي رواية ابن عباس فشرب وهو قائم ، وصلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الظهر يومئذ بمكة وقيل بمنى • وفي كلٍّ حديث صحيح •

ثم رجع الى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس ، كل جمرة بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة ، ويقف عند الأولى والثانية ، فيطيل القيام فيهما ، ويتضرع ، ويرمي الثالثة فلا يقف عندها • رواه ابو داود عن حديث عائشة •

وعن ابن عمر عند الترمذي : كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا رمى الجمار مشى إليها ذاهبا وراجعاً ، وفي رواية أبي داود : وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ، ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي •

ثم أفاض ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد الظهر يوم الثلاثاء بعد أن أكمل رمي أيام التشريق ، ولم يتعجل في يومين الى المحصب (وهو الأبطح وحده ، مابين الجبلين الى المقبرة ، وهو خيف بني كنانة) ، فوجد مولاه أبا رافع قد ضرب قبة هناك ، وكان على ثقله ، وعن أنس أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ • صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت وطاف به رواه البخاري ، وهذا هو طواف الوداع ثم ارتحل ــ صلى الله عليه وسلم ــ راجعاً الى المدينة فخرج من كداء وهي عند باب شبيكة وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقي ركباً بالروحاء فقال : من القوم فقالوا المسلمون فقالوا : من انت قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ • فرفعت امرأة صبياً لها في محفة ، فقالت : يا رسول الله ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجر •

ولما وصل بذي الحليفة بات بها لئلا يدخل المدينة ليلاً فلما رأى المدينة كبر ثلاثاً ، وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون . صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ثم دخل المدينة نهاراً من طريق المعرس (مكان معروف) وفي رجوعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة لما وصل الى موضع معروف باسم (خم) ــ من ديار مضر واقع بين الحرمين ــ جمع الناس الذين معه وخطب فيهم خطبة بليغة جامعة لسعادة الدارين ، ورغب الناس في اتباع الكتاب والسنة ، وحثهم على المودة والألفة ، والتآخي بينهم لاسيما عترته وآله الكرام ، وبالخاصة في محبة سيدنا الإمام علي ابن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ واهتم بذلك لمكانة علي ــ رضي الله عنه ــ عنده في مواقفه وبالخاصة تربى هو في بيت أبيه وعمه أبي طالب ، واقتضاء ذلك مزيد من العناية به ، وقد استشهد أخوه جعفر بن ابي طالب في غزوة مؤتة ، وبالأخص للدفاع عن كرامة علي حيث قدم ناس من اليمن الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشكوه عنده بأمور كان علي بريئا منها ، وأراد بذلك تبرئة ساحته عن التهم الغير المناسبة له .

ولم يذكر ــ عليه الصلاة والسلام ــ أنه هو الخليفة مباشرة بعده ، وإلا لو كان نص هكذا ، كيف كان يهمله كرام خير الأمة ، وخيارهم ؟ وكيف يقبل غير ذلك ؟ وكيف كان الناس يقدمون على إطاعة أبي بكر بعد وفاة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مباشرة ؟ علاوة على كل ذلك فإن سيدنا عليا كان أعلم الصحابة في القضاء وأحكمهم فيه ، وأشجع الناس وممتازا في الدين والخوف من رب العالمين ، وعنده من القرشيين مئات الأقارب ، فكيف يترك العمل بالنص ويدع أمره ويسلمه الى غيره ؟ وكيف نقبل التقية من شخصية علية عالمية مثله في إطاعة النص ؟ وكيف يطيع أبا بكر ويبايعه ويعاونه في أمور خلافته الهامة ؟ أم كيف يقبل استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب

بعده ؟ وكيف يبايع عمر ويقبل خلافته ؟ بل كيف يزوجه بنته الشريفة أم كلثوم ــ رضي الله عنها ــ ؟ ولو كان كل ذلك الأمور لخوف منه ، كيف يلتئم لمقامه الرفيع ؟ وكيف يهمل النص في أمر الشورى عندما جعل عمر بن الخطاب أمر خلافته شورى بينه وبين رفاقه الكرام ؟ سبحانك يا رب نعوذ بك من شرور الناس الناسين لمقامات الصادقين المخلصين فعليكم أيها المسلمون بالبقاء والارتضاء لما ارتضاه الصحابة السلف الصالحون الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ •

سرية أسامة بن زيد

الى أهل ابنى بالشراة ــ ناحية بالبلقاء ــ وكانت يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة ، وهي آخر سرية جهزها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأول شيء جهزه أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد • فلما كان يوم الأربعاء بُديء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وَجَعُه فحمّ وصُدِع ، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ، فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بُريدة الأسلمي ، فعسكر بالجرف ، فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا انتدب ، فيهم أبو بكر وعمر ــ رضي الله عنهما اجمعين ــ وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويخرجون الى المعسكر بالجرف •

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجعه ، فدخل أسامة معسكره والنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مغمور ، فطأطأ أسامة فقبله رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على أسامة • قال أسامة : فعرفت أنه يدعو لي ، فرجع أسامة الى معسكره ، ثم دخل يوم الأثنين ، وأصبح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مفيقاً ، فودعه أسامة وخرج الى معسكره ، فأمر الناس بالرحيل ،

فبينما هو يريد الركوب ، إذا رسول أمّه أمّ أيمن قد جاء ، يقول : إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يموت • فأقبل هــو ، وعمر ، وأبو عبيدة ، فتوفي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الاثنين حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول •

من حجة الوداع الى رجوعه منها الى وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أثنــاء حجتــه فــي موقــف عرفــه
نــزل إكمــال ديــن اللــه ذي الحكــم
اليــوم أكملــت فيــه الرمــز للأجــل
إكمــال تشريعــه يأتــي بمختتــم
وفي منــى ســورة النصــر أتتهــم كمــا
فــي آيــة (واتقــوا يومــا) لمفتهــم
وفــي المدينــة قــرب آخــر الصفــر
عقــد لــواء أسامــة سيــد الأمــم
وفــي خواتمــه حــدث وجــع النبــي
يومــا فيومــا تزيــد صولــة الألــم
فــي يــوم الاثنيــن مــن ربيعنــا الأول
ثانيــه كانــت وفــاة ســيد الأمــم
دفــن فــي بيتــه غرفــة عائشــة
علــى حديــث أتــى مــن صاحــب الكــرم
صلــى عليــه الــــه العالمــين كمــا
امرنــا فــي الكــلام الهــادي للامــم

صورته ولباسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

إذ غاب عنا جمال صورةٍ طلعت
فلنذكر الوصف للذكرى لدى الأمم
حب الرسول الحبيب فرض أمته
وعلم أوصافه من واجب الذمم
وكلما ابتعدت أنوار طلعته
بدا علينا سواء القلب والهمم
فواجب في الليالي السود معرفة
تكون نورا ينير لمعة الهمم
وشخصه كان نور الدهر رحمته
بعث بالرحمة لكافة الأمم
قامته بين طول المدّ والقصر
أحسن بمعتدل في الشان والشيم
في ضخم هامته تبدو مهابته
وكبر السن ينادينا على العظم
موسع الجبهة في الحسن للطلعة
وحسن وجه ينادينا على القيم
منعرق الحاجبين كاد يتصلا
وواسع العين في لحظ إلى كرم
مشرب لونها بحمرة وترى
فيها نموذج حسن العاهل الشهم
وواضح الخد أقنى الأنف كالألف
فيه بريق صفاء اللون ملتحم
مع لحية كثة مع عارض قد بدا
كالبدر إذ يطلع ليلا على علم

ضخم الكراديس يعني كان حضرته
كبير رأس عظام الظهر للقدم

من اليدين كذا من ركبتيه ومن
كتف وسائر خصلات من الأمم

على تناسب أعضاء ومقربة
كأنه صب بالقالب في صمم

في علو رقبته ترى لها مثلا
كأنها درة مصبوبة الرقم

وشعره في سواد المسك يعجبنا
بل يأخذ المسك منه نفحة الشمم

مادام غاب عن الألحاظ طلعته
فليعلم الوصف للذكرى لدى الأمم

حب الرسول الحبيب فرض أمته
وعلم أوصافه من واجب الذمم

أمّا اللباس فلم ينظر لأحسنه
ولا للبس علا في القدر والقيم

وكان يلبس ما قد كان صادفه
مع التشكر لله على النعم

ويستحب الثياب البيض ان وجدا
له وللغير من عرب ومن عجم

وكان يعجبه الخضر كذا الحبر
من اليماني مهما جاء من نعم

له قميص على الجسم الشريف كذا
فرجية وقباء حائز القيم

له كساء وسيع يشمل البدنا
له ازار لنصف الساق لا القدم
له سراويل حسب النقل إذ ثبتا
وأنكر البعض ذاك القول فافتهم
له قلنسوة بيضاء يلبسها
وقد يكون لها الأذنان في زحم
اما عمامته فالحجم معتدل
من اذرع ستة او زاد في القسم
على القلنسوة أو وحدها وترى
له اقتناع بها في البرد والسئم
أرخى زؤابتها في وسط ظهر كما
قد أرخيت عند يمنى الكتف فافتهم
سوداء في المنبر ، صفراء في الحضر
بيضاء صورتها إذراح في السفر
في فتح مكة كان اللون اسود
إذ فيه مهابة قدر لأولي الحشم
وعندما جاءه وفد من العرب
يلبس ما قد يليق بأولي الكرم
وجبة من طراز الروم يلبسها
على مناسبة في وقت مزدحم
والكم لا يتعدى الرسخ من يده
وذاك في اعتدال حائز الحكم
وقد يرى حلة حمراء يلبسها
فتعجب الناس في الحسن وفي القيم

وطيلسان على الأكتاف يشملها
أحسن يلبس يزين صاحب الكرم
وشعر رأسه، في اوسط قسم له
فلمة تصل المنكب في الرقم
أوسطه جمة يصل أذنيه قد
أدناه في خده فخذه وافتهم
ولم يحلق سوى في نسك جاءه
وذا شعار يوري ناسك الحرم
يقص شاربه ، يترك لحيته
يأخذ من عرضها وطولها اللمم
كان له خاتم من فضة خلصت
وفصه الجزع من حبش بلا نقم
واتخذوا خاتماً له وقد نقش
فيه اسمه للمكاتيب على الرسم
محمد ، فرسول فوقه ، وترى
لفظ الجلالة فوق الكل فافتهم
وكان في الخنصر اليمنى له ويرى
جواز ذلك في اليسرى بلا نقم
وخفه كان من جلد ويلبسه
للمسح بعد اغتسال الرجل فافتهم
وكان خشناً قوياً قابلا لادنى
تتابع المشي في حل وفي حرم
ونعله كان من جلد وقد أخذوا
مثاله للتشفي من أذى السقم

وكلمـــا وضعـوا فــي موضـــع الوجـــع
أتـــى النجـــاة لمعلـــول مـــن السقـــم
وجانـــب الجبـــــة الحسنـــى إذا طمســـــا
فـــي المـــاء يشربــــه المرضـــى مـــن النقـــم
نمـــوذج مـــــن لبـــاس المصطفـــى ذكـــرت
وقـــس علـــى البـــاب مافـــي البيت مـــن نِعَمِ
يا أيهـــا العاقـــــل الموصـــــوف بالأدب
بالعقـــل بالعلـــم بالانصـــاف والكـــرم
خـــــذ الحقائق واسلـــك مسلـــك الكرمـــــا
ولا تكـــــن مائـــلا للجهـــــل والنقـــم
الأرض تشـــرق بالذكـــر الحكيـــم إذا
تـــلاه جمـــع أولـــو الاخـــلاص والهمـــم
وكعبـــة اللـــه أرض شرفـــت لهــــدى
مستقبلهـــــا مـــن الحـــل ومـــن حـــرم
والحجـــر مــــادة جامـــــدة شرفـــت
تنالـــــه شفـــــة مـــن كـــــل ملتثـــم
تابـــوت موســـى لـــــه مــــن ربنـــا شـــرف
سكينـــة ودواء لأولــــــي الســــــقم
فيهـــــا عصـــــاه وتـــوراة لهـــــا شـــرف
مـــن نشرهـــــا ذكريـــات الخير والنعم
فهـــل أتـــاك دليـــل في جمـــودك مـــع
مخلفـــات الرســـول ســـيد الأمــــــم
محاســـن شعـــره فـــي نشرهـــــا كـــرم
سجـــادة بسطهـــا التوسيـــع للنعـــــم

وقـــد تشفـى بهـــا الأصحـاب حـين بدت

لهـــم محنـــة أو هجمـــة السقـــم

فاجعـــل علـــى رأسـك النعلين مفتخـــراً

وامســح بجلدهمـــا العينين فـي القمـم

ياليتنــي مسني إذ مســـنى كمـــد

نعـــلاه كـــي تتعالـــى بالخيـر والكـرم

بحث معجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وجــودك الأنــور المعجـــب معجــزة

يعجـــز عـــن دركهـــا أفهـــام مفتهـم

خلقـــت نـــوراً منيـراً رافعـــا لهـوى

ورافعـــاً لغبـــار الظلـــم والظلـــم

وخلقـــك الأكمـــل الأعلـــى بمرتبـــة

تعجـــز عـــن نيلهـــا مقـــام ذي القيـــم

صبـر ، وصـدق ، وعلم ، ثم عهـــد" وفـــا

جهـــد علـــى محنـــة الأيـــام والنقـــم

واستقامـــة حـــال المصطفـــى وصلـــت

لحـــد الإعجـــاز للإنســـان ذي قيـــم

وتلـك اركـان بيـت الفضـل فـي البشـر

فصـارت مصابيـح نـور الكـون ذا ظلم

خمـــود نـار المجـوس مـن شعـار هـدى

راح الهـــوى وأتـــى الأنـــوار بالحكـــم

طـــاح مـــدار للاصنـــام المشركـــة

راح خـــوار العجاجيـــل علـــى نغـــم

تبديـــل أقـــذار اتبـــاع الهـــوى بهـــدى
تحويـــل الأهـــواس بالأقـــدار والقيـــم
فـــي ملـــة استمـــرت بالمئـــات علـــى
عبـــادة الوثـــن المحـــروم والصنـــم
أكبـــر معجـــزة فـــي عالـــم البشـــر
بشـــرى الســـعادة بالتخليـــد للامـــم
وشـــق صـــدرك أيـــام الصبـــا كـــرم
مثـــال معجـــزة تأتـــي علـــى قيـــم
أمانـــة الشـــخص بيـــن النـــاس مكرمـــة
يشـــرح صـــدرك للأحكـــام والحكـــم
ورفـــع خلـــف قريـــش كـــان فـــي الحجـــر
الأسعـــد الأســـود الموضـــوع فـــي الحـــرم
تمزيـــق أصحـــاب فيـــل الهـــدم والخلـــل
إرهـــاص قدركـــم الأعلـــى لـــدى الامـــم
وغيرهـــا مـــن كرامـــات لكـــم ظهـــرت
ظهـــور نـــار القـــرى ليـــلا علـــى علـــم
لاسيمـــا خـــارق القـــرآن إذ نـــزلا
لفضـــل الإرشـــاد والإيقـــاظ للهمـــم
وشـــرع الأحكـــام علمـــا كانـــت أو عمـــلا
ونـــزع الأوهـــام بالإهـــلاك للأمـــم
ونشـــر توحيـــد رب العالميـــن بـــه
بمـــا أفـــاد مـــن البرهـــان والحكـــم
وشـــرح اعمـــال قـــوم قـــد مضـــوا سلفـــا
ونصـــرة الحـــق والأخـــلاق والقيـــم

وثبت الإيمان بالله وبالملك
والكتب والرسل أهل السعى والقدم

وبالقضاء من الله وبالقدر
واليوم الآخر والإحياء للأمم

وبالعبادة لله العظيم على
اصول الاسلام في الحرب وفي السلم

شهادتان وخمس صلوات لنا
مع الخشوع والإخلاص لذي النعم

وصوم رمضان قمعاً لهوى الأنفس
لمن له طاقة الصوم بلا ألم

زكاة الأموال حج البيت والعمرة
للمستطيع على التفصيل في النظم

والذكر لله في الأحوال قاطبة
سراً وجهراً ما مكان لمغتنم

وكل ذلك بالإخلاص في العمل
إن الخلاص من الإخلاص للأمم

وبحث أحوال هذا الكون إذ خلقا
بدقة ونظام كل منتظم

وخلقك اللامع النافع معجزة
سرت نتائجها لكافة الأمم

ولم يكن طاقة الإنسان تجمعها
فإنها قد أتت من مخزن الكرم

صبرت عند الاذى ، غمضت عند القذى
سامحت عند الجفا من ثلة لوم

هجــرت أصحــاب ديــن الحــق عــن وطــن
بهجرتــين إلــى مواطــــن الغمــم
هجــرت راحـــة نفــس ألقيــت بجفــا
هجــرت قومــك للشــعب مــن الحــرم
هاجــرت عنــد وفــاق القــوم عــن سفــه
لقتــل شخــص أتــى هديــة الامــم
قبلــت اتعــاب غــار الثــور بالرحــب
اقبلــت درباً خــلا عــن معبــر الامــم
وصلــت طيبتــه عــن طيب خاطركــم
واستقبلتــك كــرام القــوم بالكــرم
وجــاء إذنــك للحــرب وقــد نصــرت
اعــداد جيشــك عنــد الحــل والحــرم
طهــرت مكــة مــن رجــس الهــوى وأتــى
محلــه نــور فيــض الحــق بالكــرم
ضحــت صحابتكــم بالمــال والبــدن
لنصــرة الديــن والإيمــان للأمــم
جــزاك رب البرايــا كــل موهبــة
يليــق مــن فضلــه لسـيد الأمــم
يا ســيدي سنــدي يا ثقــة المقتــدى
نحــن بكــم مهتــدى فــي البــدء والختــم
يا ســندي يا رســول اللــه يا أملــي
كــن لــي شفيعــا رفيــع القــدر والهمــم
مقــام محمودكــم علــى شفاعتكــم
كبــرى شفاعتكــم لكافــة الامــم

عبد الكريم عبيد الرب خادمكم
يا سيدي جد لنا بالفضل والكرم
أنت الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم
معجزة الأنبياء موهبة نزلت
من ربهم من سماء الجود والكرم
تظهر عند التحدي في المعارضة
تبدو بها صدقهم في القدر والقيم
كرامة غيرها بعد الرسالة إذ
بها انقياد أولي الأفكار والهمم
وما أتى قيل ذا إرهاص مفخرة
بوادر الخير والأفضال والنعم
وكل ما تنجت من كسب صاحبه
صنيعة سهلة من كافة الأمم
محمد اسمك الأوفى لكل ثنا
ذلك إرهاصكم في العلم والعلم
توفرت معجزات سيد البشر
فلا مجال لتحرير لدى قلم
من معجزاتك شق القمر في السما
في أفق العالم المكي والحرم
غفل عنه الورى لذلك استترا
الا" فلا يختفي قطعا على الأمم
ومنه شق الثرى لشجر إذ ترى
تأتي إليك بتسليم من الكلم

تسبيح عين الحصى في راحة المصطفى
وراحة الخلفا من معدن الكرم
ونبع ماء حديبية خارقة
قد ظهرت بين جمع الصحب في الحرم
تكثيركم لطعام قلت مأدته
حيث وفى بجميع الصحب في اللقم
شكوى البعير لدى البشير معجزة
قد لا يرى مثلها في العرب والعجم
إجابة للدعاء معجزة إذ سعى
به لدفع الأذى والوجع والسقم
وهذه معجزات قد بدت وجلت
وشهدت كافة الأصحاب بالنعم
والبر والبحر والأجواء عالية
ثم السماوات والتزيين بالأنجم
والدوران وميزان لدورتها
والكل في فلك خاص على الرسم
وما يكون بها من شهب ثاقبة
راجمة للشياطين على نقم
ووضع كرسيه والعرش من فوقه
وبحث لوح مع البيان للقلم
ومن سباحة سيارات بأفلاكها
والاهتداء لأهل الأرض بالأنجم
بحيث يحتار عقل العاقلين بها
فضلا عن العاجز الأمي في الأمم

وفيـــه أصــــل النظــــام لــلإدارة فـــي
ما يجـري بيــن الــورى فــي الحـرب والسلم
إطاعــة اللـــه مـع طـــوع الرســـول كمـــا
قـــرر طـــوع أولـــي الأمـــر مـــن الأمم
والامـــر بالعـــدل والاحســـان للحاكـــم
والأمــــر بالخيــــر والصلـــــة للرحــــــم
وردُّ كـــل أمانـــات إلـــى أهلهـــا
والسـعـي فـي العلــم والتعليــم للأمـــم
كـــذا بإعـــداد كــل قـــوة ممكنــــة
لــــرد كـــل عـــدو جائـــر ظالـــــم
والاعتصـــام وتوحيـــد الصفـــوف كمـــا
فيـــه التشـــاور مـــع ذي دقـــة فاهـــم
وفـــرض تقوى مـــن اللـــه العظيـــم علـــى
بعـــد مـــن الكفـــر والعصيـــان واللمـــم
وصحبـــة الصـــادقين فـــي عبادتهـــــم
حتـــى تنالـــوا رضـــاء اللـــه ذا الكـــرم
لا فـــرق فـــي حكمـــة مـــن بين أمتنـــا
إلا بتقـــوى وســـوق النفـــع للأمــــم
يأمــــر بالســـبب المربـــوط بـــالأدب
وبالتوكـــــل وفـــق الحـــق والنظـــم
ورغـــب المؤمنيـــن المستعديـــن علـــى
تفقـــه الديـــن حســـب قـــوة الهمـــم
لينـــذروا قومهـــم عنـــد الرجـــوع لهـــم
وليقتـــد النـــاس بالأعـــلام فافتهـــم

وفـــوق كـل عليم أعلـــمُ وتـــرى
ظـــام عالمنـــا بالفـــرق منسجـــمِ
الدين والنفـــس والأعـــراض فـــي قـــرن
والعقـــل والمـــال بين النـــاس ذو حـــرمِ
ورغـــب النـــاس في الأخـــلاق أحسنهـــا
الصبـــر ، والصـــدق ، والانصـــاف فافتهـــمِ
هـــذا ظـــام كتـــاب اللـــه محترمـــاً
فاعلمـــه واعمـــل به ، عليـــه فاستقـــمِ
آمـــن بـــه واحفظـــن دستـــوره شرفـــاً
إن الشرافـــة فـــي القـــرآن فافتهـــمِ
وارع الاصـــول تنـــل أعلـــى مكارمهـــا
وارع الفـــروع تكـــن فـــي منتهـــى الكـــرمِ
وذاك مدلـــول قـــرآن وشرعتـــه
بطبـــق سنـــة مولـــى كافـــة الأمـــمِ
يعنـــي كتـــاب هـــداه سنـــة ويلـــي
الاجتهـــاد والاجمـــاع مـــن الأمـــمِ
وماعـــدا ذاك شـــر فاجتنبـــه ولا
تتبـــع أولـــى فكـــرة بالسم والدســـمِ
حســـب الأنـــام كتـــاب بـــاء أولـــه
مـــع سين آخرهـــا بســـنا بمختتـــمِ
هـــذا الرســـول رســـول اللـــه بالكـــرم
للجـــن والأنـــس من عـــرب ومـــن عجـــمِ
وســـيد المرسلـــين المصطفـــى هـــدى
دلـــت عليـــه براهيـــن علـــى حكـــمِ

أخلاقـــه جمعـت أخـلاق كـل نبـي
كتابــه جامـع الكتـب إلـى الأمـم
دعوتــه عامــة لكافــة الأمــم
للجــن والانــس مـن عـرب ومـن عجـم
إرسالــه رحمــة للعالمــين كمــا
وكتبــه أرسلـت لســادة الأمـم
خلــود معجـزة القـرآن ذا حِكـم
صلوحــه لعصــور النــاس كلهـم
الشــور والفقــه حقــا كافيــان لنــا
في أخـذ حكـم لكـل الأمـر فافتهم
مادام ذاك الرســول سيــد الرسل
فأمــة السـيد أعلــى مـن الأمـم
الأمــر بالعــرف والنهــي عـن المنكـر
دليــل خيريــة لكــل مفتهــم
فالصحـب والآل أهــل البيـت فـي قـرن
وغيرهــم مـن أولـي التقـوى علـى قـدم

الاصحــاب الكــرام

أصحابــه كالنجــوم في سمــاء هــدى
وذاتــه الشمـس إذ بـدت علـى علـم
بهــم سما ديـن الإسـلام لصـدر السمـا
بهــم نمـا علـم الاعـلام مـع الحكـم
لهم مناصـب علـو فـي كرامتهــم
لهــم عليهـا شهــود دونمــا نقـم

هنـــاك آيـات قـــرآن تـــدل علــــى
صعودهم سلـــم الأحكـــام والحكـــم

كـــذا أحاديـث خيـــر المرسلـين كمـــا
يفرقها أهـــل علـــم الديـن فـي الأمـــم

بهـــم سمـــا ديـــن الإســـلام إلــى الفلك
وانتشـــر الديـن فـي العـــرب وفـــي العجـم

آثارهـــم آيـــة لصـــدق أعمالهـــــم
راياتهـــم تخفـــق علـــى ذرى العلـــم

فمـــا الـــذي بعدهـــا في ذكـــر مكرمـــة
أصـدق بهـــم في جميـع القــول والكلـم

من فضله الفضل لنوع أمتـه

مـــن فضلــــه الشـــرف لنـــوع أمتـــــه
الصحـــب والآل أهـــل البيـت كلهـــم

الصحـــب حفـــاظ قـــرآنٍ علــــى ثقــــة
وضابطــــو ســـنة المولـــى بـــلا ســـئم

مـــن بلغـــوا ديننـــا عينـاً بـــلا خلـل
وبالغـــوا فـــي بـــلاغ العلـــم والحكـــم

تثنـــى عليهـــم نصـــوص الديـــن واضحـــة
لكـــل أهــل كمـــال حـــاد عـــن سقـــم

لهـــم مباشـــرة خطــــــاب حضرته
بأنهـــم خيـــر أهـــل الديـــن كلهـــم

آيـــات آخــــر فتــــح فـــي مناقبهـــم
إعـــلام الانجيـــل والتـــوراة مـــن قـــدم

وزمـــرة رضـي اللـــه مـــن أعمالهـــا
توصلهـــا رتبـــة تدنـــو مـــن العصـم
وســـورة التوبـــة ســـور لكافتهـــم
تكفـي الأنـــام لفـــوز القـدر والقيـــم
للفـــرد والجمـــع آيـات مناقبهـــم
تهـــدي لهـــم نجمـــة النجـــاة والكـرم
تمـــت لهـــم حســـنات لا حســـاب لهـــا
ومدهـــم أحـــد في القـــدر والقيـــم
وحسبهـــم أنهـــم اختارهـــم بالوفـــا
لحضـرة المصطفـى المختـــار فـي القـــدم
لاسيمـــا السابقـــون هجـــرة إنهـــم
قـــد سبقـــوا بالرضـــا والفضـــل والكـرم
وأهـــل بـــدر بـــدور فـي سمـــا هـــدى
لا كســـف لا خســـف فيهم فـي سمـــا الكرم
فحضـــرة المصطفـى شمـــس السمـــا وهـم
بدورهـــا نورهـــم أعلـى مـــن الأنجـــم
والخلفـــاء وهـــم أهـــل الصفـــا والوفـــا
والجهـــد والرشـــد والإرشـــاد للأمـــم
بهـم سمـــا ديـــن الإســـلام لوجـــه السمـــا
وانتشـــر الحـــق بيـن العـرب والعجـــم
آثارهـــم آيـــة لضـــوء أنوارهـــم
راياتهـــم رفرفـــت فـي كافـــة الأمـــم
فمـــا لنـــا حاجـــة نأتـــي ببينـــة
لصدقهـــم فـي مجـــال العلـم والعلـــم

والسابقون تراهم صادقين بحق
ومن يخالف أهل الفهم بالتهم
وكل ذلك من جاه الرسول وهم
بجاهه وصلوا لذروة القسم
وهم أبو بكر الصديق أولهم
صديق حضرته في الحل والحرم
مضحياً بحياة النفس في خطر
مفدياً بجميع المال والحشم
وهو الرفيق الشفيق والصديق له
لذاك قد خصه لقدوة الأمم
عيّنه مقتدى في حال حوبته
ليستقر له فضل مع الكرم
وصح ان الرسول صار مقتدياً
ليقتدي غيره من علية الأمم
بعد الوفا أجمع الناس بلا ملل
على خلافته العليا على الأمم
وهو الذي قام بالأمر على رشد
وهو الذي خدم الدين بلا سئم
بجيشه زال أهل الردة الكفرة
وانتصر الحق في الدنيا بلا سقم
وهو الذي جهز الجيش لمعركة
جيش مسيلمة المحروم من كرم
وهو الذي جهز الجيش لغيرته
جيش أسامة حسب الأمر فافتهم

وهو الـذي جمع القرآن عـن حـذر
من مـوت حفاظـه فـي الحـرب والسقـم
مـن حسـن أعمالـه استخلافـه عمـرا
بعهـده فـي فـراش المـوت مـع ألـم
عمـر مـن عمّـر الديـن بحكمتـه
وصـار فـي منهـج المختـار ذي الحكـم
جهـز جيشـاً لسـعد نحـو مشرقـه
أقـام فـي كوفـة الجنـد على همـم
فتـح أطرافهـا وجـوف أكنافهـا
محاربـاً جيـش كسـرى صاحـب العجـم
واحتـل عاصمـة الحكـم لدولتـه
وبعّـد الشـر والعـدوان عـن أمـم
وجـاء جيـش المثنـى لمعونتـه
طوبـى لمـن عـاون الأربـاب للكـرم
فتـح أرض عبـادان بكاملهـا
وأرض حلـوان والأكـراد فـي العجـم
وقـف أرض السـواد للعـراق كمـا
قـد صـح نقـل مـن أهـل العلـم بالأمم
واحتـل أرض نهاونـد بقوتـه
نـداء ساريـة منـه إلـى العجـم
واحتـل مملكـة الفـرس العريـق علـى
شكيمـة ذات ابـراق مـن الحُـرم
وفتـح الشـام والاطـراف منهـا إلـى
قـرب الحـدود مـن الـروم علـى حمـم

وفتـــح المسجـد الأقصـى علـــى كــرم
راعـــى حقـوق الأنـــام عنـــد تســـلم
كـــذا فلسطيـن ارض الخيـر والخصـب
وكـــان للمسلميـن أوفـــر النعـــم
وأرض مصـــر مصيـر النيـــل والثمـــر
فصـــارت الأرض أرض الجـــود والكـــرم
ورتـــب الأمـــر للجيـــش العظيـــم علـــى
منهاجـــه الكامـــل المستوعـب الحكـــم
ودار فتـــوى كـــذا دار القضـــاء علـــى
ما اقتضـــى الديـــن للتسهيـــل للأمـــم
وأرســـل العالمـــين للبـــلاد هـــدى
لمصـــر للشـــام للعـــراق بالهمـــم
وابـــن مسعـــوده فـــي كوفـــة عندنـــا
كـــان إمامـــا لأهـــل الفقـــه والحكـــم
فصـــارت البصـــرة العليـــاء مينـــاءه
للعلـــم للجيـــش للأربـــاح والنعـــم
قـــد استقـــام علـــى ديـــن الهـــدى عمـــر
وكـــان فـــي عهـــده النـــاس علـــى نعـــم
فصـــار مستشهـــدا مـــن المجـــوس علـــى
قضـــاء مـــن عنـــده الأحكـــام بالحكـــم
وبعـــد جرحـــه قبـــل المـــوت قـــد جعـــلا
الامـــر شـــورى لســـت مـــن أولـــي الهمـــم
وبعدمـــا شـــاوروا فـــي الأمـــر بـــالأدب
أختيـــر عثمـــان للحكـــم علـــى الأمـــم

عثمان كهف الحيا قلبه عين الضياء
وصاحب البذل والاحسان والكرم

فاستنهض الناس للإخلاص في العمل
وفي الجهاد وفي الإرشاد للأمم

فأكمل الفتح في إيران عن مَهَل
وأوصل الجيش باكو من علا الهمم

فصار فيها اختلاف من قراءتهم
حذيفة خاف منه فتنة الأمم

فعاد بالفور من باكو على عجل
إلى المدينة للتدبير بالحكم

مستنهضا فكر عثمان على عمل
يفيد دفع العنا في العرب والعجم

مطالباً جمع قرآن على نمط
عليه يتفق القراء من أمم

فقام عثمان في تطبيق ذاك على
تشكيل لجنة أهل العلم والقلم

فاستجمعوا مالدى الأصحاب من صحف
بخيرة الحيدر الكرار ذي الحكم

فاستنسخوا ست نسخات كما نزلا
على وفاق قريش أشرف الأمم

وأثبتوا باقي اللهجات هامشها
حفظا لها بدوام الدهر في الأمم

لمصر ، للشام ، للحرمين بالشرف
وللعراق ، وللبحرين ملتئم

وأحرقـوا مـا عداهـا للحفـاظ علـى
تطبيقهـم وحـدة الإقـراء فـي الأمـم

بـذاك قـد اشتـرى عثمـان ثالثـة
خلـود جنتـه بالفـوز للنعـم

وقـد ترأس تلـك اللجنـة الشرفـا
علـي العالـي بالعلـم وبالحكـم

فذلـك الأمـر بالإجمـاع كـان علـى
رضـى الجميـع مـن الأصحـاب فافتهـم

واستشهـد الشيـخ عثمـان علـى قـدر
مـن ربـه خطـه فـي اللـوح بالقلـم

وقـام مـن بعـده باب العلـوم علـي
ببيعـة الكـل أهـل الحـل والحـرم

مـن أعلـم القـوم أو مـن كـان أعدلهـم
مـن كـان أتقـى وأنقـى النـاس كلهـم

أعـان أهـل الهـدى فـي كـل مرحلـة
أهـان أهـل العِـدى مـن صاحبي النقـم

ودّ أبا بكـر الصديـق منـذ بـدا
إعانـة فـي شئـون الحـرب والسلـم

فـي رد أهـل ارتـداد بالمكابـرة
ودفـع أهـل عنـاد مـن أولـي السقـم

وقمـع كـذاب أهـل الجـور قاطبـة
اعنـى مسيلمـة الفتـان للأمـم

وفـي زمـان ابـن خطـاب أعانـه فـي
أمـوره كـأخ بالأخ منسجـم

لــذاك زوجــــه البنــت الشريفـــة إذ
رأى لـــه العـــدل والإيســـان بالقيم
أعـــان عثمـــان أيضـــاً فـــي خلافتـــه
وجمعـــه المصحـــف المبـــروك مـــن قدم
وكـــان فـــي عهـــده يثنـــي علـــى الخلفـــا
فـــي كـــل مجتمـــع فيـــه أولـــو همـــم
ويشهـــد الشاهـــد المقبـــول منبـــره
فـــي كوفـــة الجنـــد أو فـــي روضـــة الحَـــرم
إيـــاك أن تنســـب القـــول الوضيـــع لـــه
ان الكـــرام بـــراء مـــن جفـــا النقـــم
لا تسمعـــن غيـــر ما قلنـــاه مـــن كلـــم
لا تجرحـــن قلـــب أهـــل الصـــدق والعصـــم
لاشـــك فـــي علمـــه ، وفـــي شجاعتـــه
وفـــي تقـــاه ، وفـــي التوصيـــف بالكـــرم
مـــن كـــان منبـــع أوصـــاف الكرامـــة قد
تأبـــى طبيعتـــه مـــا شـــان مـــن كلـــم
لـــو كـــان نـــص ببـــدء فـــي خلافتـــه
ما خالـــف النـــص مـــن خـــوف لـــذي حشـــم
والحـــق للعلـــوي اتبـــاع علـــي
فـــي ما ارتضـــاه لـــه مـــن دونمـــا نقـــم
فرضـــي اللـــه عنـــه وعـــن الخلفـــا
مضـــوا علـــى أمـــر مولاهـــم مـــن القـــدم
يعـــد الشهـــادة مـــن طعـــن لمرتـــزق
سليـــل ملجـــم المحـــروم مـــن كـــرم

قــام ابنــه الحســن الأحسن فـي خلـق
بأمــر الإســلام بالعهــد مــن الأمــم
فــي أشهــر ستــة وبعدهــا قــد وفــى
بخبــر المصطفــى ذي الفضــل والكــرم
نال الســيادة مــن إصلاحــه الخلــلا
أحســن بــه ســيداً مــن ســادة الأمــم
علــى تنازلــه عــن عــرش خدمتــه
عــلا علــى عــرش عــز الجــود والكــرم
رب ارض عنــه وعمــن قــد مضــى سلفــا
أو يمضــي مــن خلــف بالبعــد عــن سقــم
أولئــك القــوم قامــوا بالحقائــق فــي
ديــن لسيدنــا الموصــوف بالكــرم
رب ارحمــن بنــا نحــن الضعــاف علــى
مــا عندنــا مــن معــاص أو مــن اللمــم
واختــم لنــا عمــرا علــى الشهــادة فــي
توحيدنــا يــا إلــه الحــل والحــرم
أولئــك الصحــب أصحــاب الفضائل فــي
جميــع مــن سبقــوا في كافــة الأمــم

الآل

وآلــه المؤمنــون الأكرمــون هــدى
مــن نســل مطلــب أو عنصــر الهاشــم
أشرفهــم أنــورُ علــيٌ الحيــدر
ونســله الحســان صاحبــا كــرم

محمد أمه جارية عالية
أخذها من يد الصديق ذي الشيم
ومنهم قد أتى سلاسل الذهب
من حسنٍ أو حسين ثابتي القدم
تضيء أنوارهم تظهر أسرارهم
تنشر آثارهم في الجود والكرم
من منبع الأصل والنسل الشريف إلى
يوم القيامة في الخير على قدم
من زبدة الآل جل الأولياء على
إرشاد أمته لذروة القمم
اقطابنا الكمل الأربعة الفاخرة
مثل البدور إذا لاحت على علم
أولها الباز في أوج العلا أبدا
العبد للقادر القيوم ذي الكرم
والأحمدان هما الرفاعي والبدوي
ثم الدسوقي إبراهيم ذو القيم
والشاذلي أبو الحسن الشريف على
محمد النقشبند الفرد في الهمم
وهو الادليسي فضلا والبخاري في
وطنه عم إرشادا لدى أمم
اكرم بهم نسبا اكرم بهم حسباً
اكرم بهم أدبا للعرب والعجم
وأهل بيت لخير الناس خير نساء
اختارهن لبيت سيد الحرم

فإن بيته بيت فيه يشتعل
مصباح زيت مصفى من جفا النقم
فيه نساء وأزواج مطهرة
وأمهات لخيار الخلق في الأمم
معلمات كتاب الله ذا حكم
معلمات أحاديث على قيم
يجيء إليهن أهل البدو والحضر
يسألن حكم النسا في الحل والحرم
فالبيت مدرسة للعلم والأدب
الطالبات نساء القدر والقيم
وتلك بالحق إحدى حكمة العدد
وكثرة الأمهات خذه وافتهم
كذاك منها اكتساب النصر بالصهر
في عادة العرب العرباء أولي الهمم
وإن منها وفاة زوج بعض نساء
ممن لهم صلة الأرحام والرحم
ومن مهماتها تشريع حل لهم
في زوجة المتبنى من دين ذي الكرم
من حكمة الشارع الأعلى رعاية ما
فيه اتساع على الناس بلا نقم
وكن هن نساء صاحبات هدى
في عفة ووفاء العهد والذمم
إذ (يا نساء النبي) قول الإله لهن
أكرم منهج خطاب الله للأمم

فأذهب الرجس عنهن برحمته
حتى يلقن ببيت سيد الأمم
وسترهن حجاب الستر والأدب
ويحتذين حذاء المشي بالقدم

قولي : (أثناء حجته ... الى آخر الأبيات) شروع في ظهور بوادر قرب وفاة حضرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نزول آيات تدل على قربها ، منها ما نزل في عرفة من قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فإنه لما أعلن إكمال آيات الأحكام، أظهر أنه لم يبق للرسول بلاغ . ومن ذلك انتهى الامر ؛ ومنها نزول سورة النصر في منى ؛ فإنه روي أن هذه السورة آخر سورة من القرآن الكريم نزلت يوم النحر . وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمنى في حجة الوداع ، وقيل عاش ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدها واحداً وثمانين يوما ، وفي حديث ابن عباس عند الدارمي : لما نزلت (إذا جاء نصر الله) دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاطمة ، وقال : نعيت إليّ نفسي فبكت ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تبكي ، فإنك أول اهلي لحوقاً بي . فضحكت .

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلس على المنبر فقال : إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء . وبين ما عنده . فاختار ما عنده ، فبكى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فعجبنا له . وقال الناس : انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده ، وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا . قال : فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به . فقال النبي ـ صلى الله عليه

وسلم ــ إن آمن الناس عليّ بصحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام . لا يبقى في المسجد خوخة إلا سُدت إلا خوخة أبي بكر . رواه الشيخان .

وكانت هذه الخطبة في ابتداء مرضه الذي مات فيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنه خرج ــ كما رواه الدارمي معصوب الرأس حتى أهوى الى المنبر ، ثم بعد الخطبة هبط عنه فما رؤي عليه حتى الساعة . فما زال ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره .

قال الحافظ ابن رجب : وكان ابتداء مرضه ــ عليه الصلاة والسلام ــ في أواخر شهر صفر ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً ، في المشهور . . وذكر الخطابي : إنه ابتدأ مرضه يوم الاثنين إذ اختلف في مدة مرضه ، فالأكثر أنها ثلاثة عشر يوماً . وفي البخاري : قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ لما ثَقُل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يُمَرَّضَ في بيتي فأذنّ له ، فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض : بين العباس بن عبد المطلب ، وبين رجل آخر وهو علي بن أبي طالب . ولما اشتد به وجعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس . فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء . قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها . فقال : إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس . رواه الشيخان .

وفي الأنوار المحمدية : ونقل الدمياطي أن الصديق صلى بالناس سبع عشرةصلاة ، وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير مما عزاه لسيف الدين بن عمر في كتاب الفتوح أن الأنصار لما رأوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يزداد وجعاً أطافوا بالمسجد . فدخل العباس فأعلمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ بمكانهم واشفاقهم . ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه علي ابن أبي طالب كذلك فخرج ــ صلى الله عليه وسلم ــ متوكئاً على عليٍ

والفضل ، والعباس أمامه والنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ معصوب الرأس يخط برجليه ، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثار إليه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم . هل خلد نبي قبلي في من بعث إليه فأخلد فيكم ، ألا وإني لاحق بربي ، ألا وانكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى يقول : (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وإن الأمور تجري بإذن الله تعالى فلا يحملنكم استبطاء أمرٍ على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ، فمن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض ، وتقطعوا أرحامكم !) . وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ، أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم في الثمار ؟ ألم يوسعوا لكم في الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم ، وبهم خصاصة ؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئهم . ألا ولا تستأثروا عليهم ، ألا وأني فَرَط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا وأن موعدكم الحوض ، ألا فمن أحب أن يرده عليَّ غداً فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي ، يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم ، وتبدل القسم ، فإذا برَّ الناس برهم أئمتهم ، وإذا فجروا عقوهم .

وذكر الواحدي بسند وصله بعبدالله بن مسعود : نعى لنا رسول الله نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة ، فقال : حياكم الله بالسلام ، رحمكم الله ، جبركم الله ، رزقكم الله ، نصركم الله رفعكم الله ، آواكم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، وأستخلفه عليكم وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .) . وقال : (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) قلنا : يا رسول الله

متى أجلك ؟ قال : دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى • قلنا يا رسول الله من يغسلك ؟ قال : رجال أهل بيتي الأدنى فالأدني • قلنا : يا رسول الله فيم نكفنك ؟ قال : في ثيابي هذه ، وإن شئتم في ثياب بيض مصر أو حلة يمنية • قلنا : يا رسول الله من يصلي عليك؟ قال: إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني، فضعوني على سريري هذا على شفير قبري • ثم اخرجوا عني ساعة • فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ، ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً فصلوا عليّ وسلموا تسليما ، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ، ثم أنتم وقرأوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة • قلنا : يا رسول الله ومن يدخلك قبرك ؟ قال : أهلي مع ملائكة ربي • وكذا رواه الطبراني •

وقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو صحيح يقول : إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير ، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه ؛ فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : أللهم في الرفيق الأعلى • فقلت : إذا لا يختارنا • فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح •

وفي رواية أنها أصغت إليه قبل أن يموت ، وهو مستند الى ظهره يقول : أللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى • رواه البخاري •

ولأحمد من حديث أبي بويهة قال : قال لي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة •

ولما تغشاه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الكرب ، قالت فاطمة ــ رضي الله عنها ــ : واكرب أبتاه • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ انها : لا كرب على أبيك بعد اليوم • رواه البخاري • وفي البخاري من حديث أنس : أن

المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الاثنين ، وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد كشف ستر حجرة عائشة ؛ فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم بضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف . وظن أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد أن يخرج الى الصلاة . قال أنس : وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأشار إليهم بيده ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ، وتوفي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في يومه ذلك .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما بقي من أجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلا لك وخاصة لك .

ولما مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فأخذ بقائم سيفه وقال : لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله إلا ضربته بسيفي هذا . قال : فقالت الناس : يا سالم اطلب لنا صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرجت الى المسجد فإذا أنا بأبي بكر ، فلما رأيته أجهشت بالبكاء ـ أي تهيأت ـ فقال : يا سالم أمات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فقلت : إن هذا عمر بن الخطاب يقول : لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا ضربته بسيفي هذا . قال : فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مسجىً فرفع البرد عن وجهه ، ووضع فاه على فيه ، واستنشق الريح ، ثم سجاه ، والتفت إلينا فقال : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ، وقال تعالى : (إنك ميت وإنهم ميتون) ، يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال عمر : فوالله لكأني لم أتل هذه الآيات قط . رواه الترمذي .

وقد كانت وفاته ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الاثنين بلا خلاف ، ووقت دخول المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء . ودفن يوم الثلاثاء ، وقيل ليلة الأربعاء ، وسبب تأخير دفنه ما وقع من الاختلاف في موته ، وفي محل دفنه .

وغسل ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاث غسلات . الأولى بالماء القراح ، والثانية بالماء والسدر ، والثالثة بالماء والكافور . وغسله عليّ والعباس وابنه الفضل يعينانه ، وقثم وأسامة وشقران مولاه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصبون الماء من وراء الستر . وروى الحاكم ــ عن علي قال : غسلته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذهبت أنظر ما يكون من الميت ، فلم أر شيئاً ، وكان طيبا حياً وميتاً ، وجعل علي على يده خرقة ، وأدخلها تحت القميص ، ثم اعتصروا قميصه : وحنطوا مساجده ، ومفاصله ووضئوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عوداً وندا . وكفن ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ثلاثة أثواب بيض سحونية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة ، (والسحولية أي منسوبة الى السحول قرية من اليمن) .

وعن ابن عبد ابن ماجه لما فرغوا من جهازه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الثلاثاء فوضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه أرسالا يُصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء . حتى إذا فرغن دخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحد .

ثم قالوا : أين تدفنونه ــ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : ما هلك (أي مامات) نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه . وقال علي : وأنا أيضا سمعته ، وحضر أبو طلحة لحد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في موضع فراشه حيث قبض ، وقد اختلف فيمن أدخله قبره ، وأصح ماروي : أنه نزل في قبره علي وعمه العباس وابناه الفضل وقثم ، وكان قثم آخر الناس عهدا برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وروي أنه بنى في قبره تسع لبنات ، وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك •

وفي كتاب (تحقيق النصرة) قال ابن عبد البر : ثم أخرجت أي القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع في قبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان الى يوم الدين •

شرح قولي : (إذ غاب عنا جمال صورة طلعت) هذه الأبيات بيان صورة جسده الشريف •

قال في الأنوار المحمدية : اعلم أن من تمام الإيمان به ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإيمان بأن الله تعالى قد جعل خلق بدنه الشريف على درجة لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله • قال البوصيري :

فهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا باري النسم

منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم

أما وجهه الشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد روى الشيخان عن البراء قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً •

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ ما رأيت أحسن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأن الشمس تجري في وجهه • رواه الترمذي • وسئل البراء أكان وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل السيف ؟ فقال: لا ، بل مثل القمر • رواه البخاري • وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة قال له رجل : أكان وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل السيف ؟ فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً ، وعن ابن

سمرة قال : رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ليلة أضحيان (أي مقمرة) وعليه حلة حمراء ، فجعلت أنظر إليه والى القمر ، فلهو في عيني أحسن من القمر •

وروى الترمذي وغيره عن علي ــ رضي الله عنه ــ أنه نعته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير ، والمطهم الكثير السمن المدور الوجه ، أي لم يكن شديد تدوير الوجه ، بل في وجهه تدوير قليل ، وقال أبو هريرة : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسيل الخدين • (والأسيل هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة) •

وأخرج البخاري عن كعب بن مالك كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، فكنا نعرف ذلك منه • وقالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ : كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا سر تبرق أسارير وجهه كأنه قطعة قمر •

وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني : التفت إلينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بوجه مثل شقة القمر • فهذا محمول على صفته عند الالتفات • عن أبي بكر الصديق ، وكعب بن مالك كان وجه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كأنه دارة قمر • وروى البيهقي عن أبي اسحاق الهمداني ، عن امرأة من همدان قالت : حججت مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقلت لها : شبهيه • قالت : كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله • وروى الدارمي وغيره عن أبي عبيدة قال : قلت لربيع بنت معوذ : صفي لي رسول الله • قالت : لو رأيته قلت الشمس طالعة • وروى مسلم عن أبي طفيل أنه قيل له : صف لنا رسول الله • فقال : كان أبيض مليح الوجه وكان ــ عليه الصلاة والسلام ــ إذا سر فكأن وجهه المرآة ، وكان الجُدُر تُرى في وجهه • يريد الجدر المقابلة لوجهه الشريف • وفي حديث ابن أبي هالة : يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر • واما بصره الشريف ــ صلى الله

عليه وسلم ــ فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز ، بقوله (مازاغ البصر وما طغى) .

وروى البخاري عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ والبيهقي عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ ان رسول الله ــ صلى الله وسلم ــ كان يرى في الليل في الظلمة كما يُرى في النهار في الضوء . وعن أبي هريرة أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : هل ترون قبلتي هاهنا ؟ فوالله ما يخفي علي ركوعكم ولا سجودكم ، إني لأراكم من وراء ظهري ، رواه البخاري ومسلم . وعند مسلم عن رواية أنس أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : يا أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع والسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي .

وعن مجاهد في قوله تعالى : (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه . وذكر القاضي عياض في الشفاء : أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يرى في الثريا أحد عشر نجما ، وعند السهيلي إثنا عشر . وفي حديث ابن أبي هالة : فإذا التفت التفت جميعاً ، فأفضى الطرف نظره الى الأرض اطول من نظره الى السماء ، وجُل نظره الملاحظة . وهي مفاعلة من اللحظ ، وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ .

وعن علي ــ رضي الله عنه ــ : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عظيم العينين ، أهدب الأشفار مشرب العينين بحمرة ، رواه البيهقي . وعن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضليع الفم أشكل العينين ، منهوس القدمين ، رواه مسلم . (والشكلة : الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب . وأما الشهلة : فإنها حمرة في سوادها) وعند الدارمي في حديث عن علي ــ رضي الله عنه ــ أنه نعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : كان في وجهه تدوير ، أبيض مشرب . أدعج العينين ، أهدب الأشفار (وهي شعر العين) . وعنده أيضا عن علي ــ رضي

الله عنه ـ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسود الحدقة . أهدب الأشفار . وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : بعثني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى اليمن . فرآني حبر من أحبار اليهود فقال لي : صف أبا القاسم . فقلت : ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير الحديث . وفيه قال علي : ثم سكت ، وقال الحبر : وماذا ؟ قلت : هذا ما يحضرني . قال الحبر : في عينيه حمرة ، حسن اللحية ، ثم قال علي : هذه والله صفته . قال الحبر : فإني أجد هذه الصفة في سِفر آبائي ، وأنا أشهد أنه نبي ، وأنه رسول الله الى الناس كافة .

وأما سمعه الشريف فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون . اطّت السماءُ وحقّ لها ان تَئِط ، ليس فيها موضع اربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى . رواه الترمذي عن أبي ذر .

وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أصحابه إذ قال لهم : تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء قال : إني لأسمع أطيط السماء ، ولا تلام أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد أو قائم ، (والأطيط الصوت) .

وأما جبينه الكريم فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ واضح الجبين ، مقرون الحاجبين ، بهذا وصفه علي فقال : مقرون الحاجبين صلت الجبين (أي واضحه) وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين . وقال ابن أبي هالة : أزج الحواجب ، وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر ، ثم قال : سوابغ من غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب .

وعن مقاتل بن حيان قال : أوحى الله تعالى الى عيسى ـ عليه السلام ـ : اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول . إني خلقتك من غير فحل ، فجعلتك

آية للعالمين فإياي فاعبد ، وعليّ فتوكل ، فسر لأهل سوران إني أنا الله الحي القيوم لا أزول ، صدقوا النبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبين ، المقرون الحاجبين ، الأهدب الأشفار ، الأدعج العينين ، الأنجل العينين ، الأقنى الانف الواضح الجبين ، الكث اللحية ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، وريح المسك ينفح منه كأن عنقه إبريق فضة • الحديث • (والأنجل الواسع شق العين ، والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين) •

قال ابن الأثير : والصحيح في صفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن حواجبه سوابغ من غير قرن كما وصفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ به ابن أبي هالة والقنى في الأنف طوله ، ودقة أرنبته مع حدب قليل في وسطه • وقد وصفه ابن أبي هالة وغيره بأنه كان عظيم الهامة (أي الرأس) ، وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ : ضخم الرأس • وقال أنس : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضخم الكراديس (وهي رؤوس العظام) وفي رواية الترمذي : جليل المشاش والكند ، وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين ، والمنكبين (أي عظيمهما) • والكند مجتمع الكتفين • وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ دقيق العرنين أي أعلى الأنف كما وصفه به علي ـ رضي الله عنه ـ • ووصفه أيضا بأقنى الأنف ، ووصف بالسائل المرتفع الوسط • وقال ابن أبي هالة : أقنى الأنف له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم ، والأشم الطويل قصبة الأنف •

وأما فمه الشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ : أنه كان ضليع الفم • قال ابن أبي هالة : يفتتح الكلام ويختمه باشداقة • ـ يعني لسعة فمه ـ والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم •

ووصفه ابن أبي هالة فقال : أشنب مُفلّج الأسنان ـ والشنب رونق الأسنان وصفاؤها ـ (ومفلج الأسنان أي متفرقها) • وقال علي : مبلج

الثنايا • وفي رواية عنه براق الثنايا • وعن ابن عباس قال : كان رسول الله أفلج الثنيتين إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه • رواه الترمذي • وروى الطبراني وغيره : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحسن عباد الله شفتين ، وألطفهم ختم فم •

عن أبي قرصاص قال : بايعنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنا ، وأمي وخالتي • فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي : يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل احسن وجها ، ولا أنقى ثوباً ، ولا ألين كلاما ، ورأينا كالنور يخرج من فيه • وأما ريقه الشريف ــ صلى اللهعليه وسلم ــ ففي الصحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يده ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله • فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلهم يرجو أن يعطاها • قال : أين علي بن أبي طالب ؟ قالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال : فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق رسول الله في عينيه ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع • ومج رسول الله في بئر ، ففاح منها رائحة المسك وبصق في بئر في دار أنس فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها • وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم عاشوراء يدعو برضعائه ، ورضعاء ابنته فاطمة ، فيتفل في أفواههم ، ويقول للأمهات : لا ترضعنهم الى الليل ، فكان ريقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجزيهم ، رواه البيهقي • ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي وأخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قديدا ، فمضغ لهن قديدة ، فمضغنها كل واحدة قطعة • فلقين الله وما وجد لأفواههن خلوف • رواه الطبراني • (والخلوف تغير رائحة الفم) • ومسح ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه ــ وكان به شرى ــ فما كان يشم أطيب منه رائحة • وأعطى الحسن لسانه ، وكان قد اشتد ظمؤه • فمصه حتى روي •

وأما فصاحة لسانه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكان افصح خلق الله ، وأعذبهم كلاماً حتى كأن كلامه يأخذ بالقلوب .

قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ : ما كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسرد سردكم هذا ، كان يحدث حديثا لو عدّه العاد لأحصاه ، وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لنفهم عنه . وكان يقول : أنا أفصح العرب ، وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : كانت لغة إسماعيل قد درست ، فجاءني بها جبريل فحفظنيها رواه أبو نعيم . ــ **وعن علي ــ رضي** الله عنه ــ قلنا : يا رسول الله نحن بني أب واحد ونشأنا معاً وإنك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره . فقال : إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ، ونشأت في بني سعد بن بكر . قال أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ : يا رسول الله لقد طفت في العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك . قال : أدبني ربي ، ونشأت في بني سعد . وأما ما يروى أنا أفصح من نطق بالضاد ، فقال ابن كثير : لا أصل له ، لكن معناه صحيح . وأما صوته الشريف ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الصوت ، حتى بعث الله نبيكم ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبعثه حسن الوجه ، حسن الصوت .

وعن علي ــ رضي الله عنه ــ أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه ، وقد كان صوته ــ عليه الصلاة والسلام ــ يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره . وعن البراء قال : خطبنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى اسمع العواتك في خدورهن . قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ جلس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الجمعة ، فقال للناس : اجلسوا ، فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم ، فجلس في مكانه ، وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي : خطبنا رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمنى ففتح الله أسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا •

وعن أم هانيء ــ رضي الله عنها ــ قالت : كنا نسمع قراءة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريش • وأما ضحكه فعن البخاري عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ : ما رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى لهواته، انما كان يبتسم • (واللهوات جمع لهات وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم) عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ في قصة المواقع أهله في رمضان ، فضحك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى بدت نواجذه • رواه البخاري (والنواجذ الأضراس) • وقال ابن أبي هالة : جلّ ضحكه ــ صلى الله عليه وسلم ــ التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام • قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر في مجموع الأحاديث : أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم ، وربما زاد على ذلك فضحك • قال ابن بطال : والذي ينبغي ان يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه من ذلك • وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ : وإذا ضحك ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتلألأ في الجدر (أي يشرق نوره عليه إشراقا كإشراق الشمس عليها) • وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا كان حديث العهد بجبريل لم يبتسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ، بل إذا كان خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه ، وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم • رواه مسلم • وكان بكاؤه ــ عليه الصلاة والسلام ــ من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت • كما لم يكن ضحكه بقهقهة ، ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ، ويسمع لصدره أزيز يبكي لرحمة ميت ، وحزناً على أمّه وشفقة ومن خشية الله عند سماع القرآن ، وأحيانا في صلاة الليل ، وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب وما تثاءب نبي قط •

وأما يده الشريفة ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد وصفها غير واحد بأنه شثن الكفين ــ أي غليظ أصابعهما ــ وبأنه عَبِلُ الذراعين ، رحب الكفين . وقد مسح ــ صلى الله عليه وسلم ــ خد جابر ابن سمرة . قال : فوجدت ليديه برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار ، رواه مسلم . وقال وائل بن حجر : لقد كنت أصافح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو يمس جلدي جلده ، فأتعرفه بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك . وقال يزيد بن الأسود : ناولني رسول الله يده فإذا هي أبرد من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك . وفي البخاري عن أنس ــ رضي الله عنه ــ ما مسكت حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . قال ابن بطال : كانت كفه ممتلئة لحماً غير أنها مع ضخامتها كانت لينة . وعن معاذ قال : ردفني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خلفه في سفر فما مسست شيئاً قط ألين من جلده . وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره ، فسلت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الدم بيده عن وجهه وصدره ، ثم دعا له فكان أثر يده ــ عليه الصلاة والسلام ــ بمنتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وغيره .

ومسح ــ صلى الله عليه وسلم ــ رأس مدلوك أبي سفيان فكان ما مرت عليه يده أسود ، وشاب ما سوى ذلك ! رواه البخاري في تاريخه . وعن أبي زيد الأنصاري قال : مسح ــ عليه الصلاة والسلام ــ بيده على رأسي ولحيتي ثم قال : أللهم جمله . قال الراوي عنه : فبلغ بضعا ومائة سنة ومافي لحيته بياض ، ولقد كان منبسط الوجه ، ولم ينقبض وجهه حتى مات . رواه البيهقي وغيره . ومسح ــ عليه الصلاة والسلام ــ رأس حنظلة بن خذيم بيده وقال له : بورك فيك . فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير ، والإنسان به الورم فيتفل في يده ، ويمسح بطلعته ، ثم يقول : بسم الله على أثر يد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيمسحه ، ثم يمسح موضع الورم ، فيذهب

الورم . رواه أحمد وغيره . وقد جاء في بعض الأحاديث عن جماعة من الصحابة بياض إبطيه .

فعن أنس قال : رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه . قال الطبري : ومن خصائصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره . وعن رجل من بني حرشيش قال ضمّني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسال عليّ من عرق إبطه مثل ريح المسك . رواه البزار . ووصفه علي ــ كرم الله وجهه ــ فقال : ذو مسربة ، وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة . وعند البيهقي : له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيرها . ووصفت بطنه أم هانيء فقالت : ما رأيت بطن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض . وقال أبو هريرة : كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبيض ، كأنما صيغ من فضة ، رَجل الشعر ، مفاض البطن ، عظيم مشاش المنكبين ، ومفاض البطن واسعه . والمشاش رؤس العظام ، وأخرج الإمام أحمد عن محرش الكعبي قال : اعتمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الجعرانة ليلاً ، فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة . وروى البخاري كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعيد ما بين المنكبين . وعن أبي هريرة : رحب الصدر .

وأما قلبه الشريف ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد صح أن جبريل شقه ، واستخرج منه علقة ، فقال له : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه فأعاده في مكانه . قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره . رواه مسلم . وهذا الشق روي أنه وقع له ــ عليه الصلاة والسلام ــ مرات .

وأما قدمه الشريف ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد وصفه غير واحد بأنه شثن القدمين (أي غليظ أصابعهما) وعن ميمونة بنت كروم قالت : رأيت

رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الامام أحمد وغيره • وقال ابن أبي هالة : خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين • (والأخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء ، والخمصان البالــغ منه • ومسيــح القدمين أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق) • وعن عبيد الله بن بريدة قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحسن البشر قدماً • وأما طوله الشريف ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد قال علي ــ رضي الله عنه ــ : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا قصير ولا طويل ، وهــو الى الطول أقرب • رواه البيهقي • ووصفه غيره بأنه ليــس بالطويل البائن ولا بالقصير ، والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة • وقال ابن أبي هالة : أطول من المربوع ، واقصر من المُشَذّب • (والمشذب البائن الطول في نحافة) وهو مثل قوله في الحديث الآخر : لم يكن بالطويل الممغط (أي المتناهي الطول) • وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : لم يكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، وكان ينسب الى الربعة إذا مشى وحده ، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول إلا طاله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما ، فإذا فارقاه نسب ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الربعة • رواه البيهقي وغيره • وزاد ابن سبع في الخصائص : أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ــ صلى الله عليه وسلم ــ • ووصفه ابن أبي هالة : بأنه بادن متماسك ، أي معتدل الخلــق كأن اعضاءه يمســك بعضها بعضا •

وأما شعره الشريف ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعن قتادة قال : سألت أنسا عن شعره ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : شعر بين شعرين لا رَجل" ولا سبط" ، لا جَعد ولا قَطِط ، كان بين أذنيه وعاتقه • وفي رواية : كان

رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين اذنيه وعاتقه • وفي اخرى الى أنصاف اذنيه رواه البخاري ومسلم وغيرهما • وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ كان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ شعر فوق الجمة ودون الوفرة • رواه الترمذي • وفي حديث أنس كان الى أذنيه • وفي حديث البراء يضرب الى منكبيه وفي حديث أبي رمثة يبلغ الى كتفيه • وفي رواية : ما رأيت من ذي لمة أحسن منه • (والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين ، والوفرة : ما نزل الى شحمة الأذنين ، واللمة : التي ألمت بالمنكبين) •

قال القاضي عياض : والجمع بين هذه الروايات : أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه ، وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه • قال : وقيل بل ذلك لاختلاف الأوقات ، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب ، وإذا قصرها كانت الى أنصاف الأذنين ، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك •

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم ، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ، ثم فرق رأسه رواه الترمذي ــ وفي صحيح مسلم نحوه ، (وسدل الشعر : إرساله ، والمراد هنا إرساله الى الجبين واتخاذه كالقصة) • (وأما الفرق : فهو فرق الشعر بعضه من بعض) • قال العلماء : والفرق سنة ، لأنه هو الذي رجع إليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ والصحيح جواز الفرق والسدل • لكن الفرق أفضل ، والقصة شعر الناصية ، يقص حول الجبهة • وعن أم هانيء ــ رضي الله عنها ــ قالت : قدم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة وله أربع غدائر • روام الترمذي • (والغدائر هي الذوائب ، واحدتها غديرة) وفي مسلم عن أنس : كان في لحيته ــ صلى الله عليه وسلم ــ شعرات بيض • وفي رواية عنده لم ير من الشيب إلا قليلا • وفي أخرى له لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه ، ولم يخضب • وعنده أيضا لم

يخضب ــ عليه الصلاة والسلام ــ إنما كان البياض في عنفقته ، وفي الصدغين ، وفي الرأس نبذا (أي شعرات متفرقة) • وعن أنس ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة ، أو ثماني عشرة شعرة بيضاء • وعن أبي عمر نحو عشرين ؛ وفي الصحيحين : أن ابن عمر رأى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصبغ بالصفرة • قال النووي المختار أنه صبغ في وقت ، وتركه في معظم الأوقات ؛ فأخبر كل بما رأى وهو صادق • وعن أنس كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته • رواه البغوي •

وعن أنس قال : رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والحلاق يحلقه . وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل رواه مسلم • ولم يرو أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة ، فتكون تبقية الشعر في الرأس سنة • ومن كره مع علمه يجب تأديبه ، ومن لم يستطع التبقية يباح له إزالته • وعن محمد ابن سيرين قال : قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصبناه من قبل أنس ، لأن تكون عندي شعرة منه أحب الي من الدنيا وما فيها • وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذي • وروي عن ابن عباس كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقص شاربه •

وأما العانة ففي حديث أنس أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان لا يتنور ، وكان إذا كثر شعره حلقه • وفي حديث أم سلمة : أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان إذا طلى بدأ بعانته وطلاها بالنورة وسائر جسده أهله ؛ وحديث دخوله الحمام موضوع • وأخرج البيهقي من مرسلي أبي جعفر الباقري ، كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة •

وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يفارق سواكه ومشطه ، وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته ،

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة قبل أن ينام ثلاثة في هذه ، وثلاثة في هذه • رواه الترمذي وغيره • وزاد أحمد يكتحل بالأثمد ، (والأثمد حجر الكحل ، اسود يضرب الى الحمرة) • وعن محمد بن علي قال : سألت عائشة : كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يتطيب ؟ قالت : نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر (والذكارة جمع ذكر ما يصلح للرجال وهو مالا لون له) •

وأما مشيه الشريف — صلى الله عليه وسلم — فعن علي — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب رواه الترمذي وغيره • (والتكفؤ الميل الى سنن المشي ، والصبب المكان المنحدر) وعن أبي هريرة إذا وطيء بقدمه وطيء بكلها • وعنه ما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كأنما الأرض تطوى له • إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث • رواه الترمذي • وروي أنه كان — صلى الله عليه وسلم — إذا مشى مشى مجتمعاً ، (أي قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي) وقال علي — رضي الله عنه — كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا مشى تقلع • وقال ابن أبي هالة : اذا زال زال تقلعا يخطو تكفيا ويمشي هونا ، ذريع المشية ، إذا مشى كأنما ينحط من صبب • قال ابن القيم : التقلع الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط في الصبب ، وهي مشية أولي العزم والهمة ، والشجاعة وهي أعدل المشيات ، وأروحها للأعضاء ، وأما مشيه مع أصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ، ويقول : خلوا ظهري للملائكة • ومشى في بعض غزواته مرة فجرحت إصبعه وسال منها الدم ، فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

رواه أبو داود • ولم يكن له ظل في شمس ولا قمر • رواه الترمذي الحكيم • قال ابن سبع : كان — صلى الله عليه وسلم — نوراً ، فكان إذا مشى بالشمس أو القمر لا يظهر له ظل •

وأما لونه الشريف ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد وصفه ــ عليه الصلاة والسلام ــ جمهور أصحابه بالبياض . فمن عباراتهم : كان أبيض مليحا ، كان أبيض مليح الوجه ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره . روى هذا الطبراني عن أبي الطفيل . وفي شعر أبي طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال علي ــ كرم الله وجهه ــ أبيض مشرب بحمرة . وفي صحيح مسلم : أظهر اللون . وفي رواية البخاري عن حديث أنس : ليس بأبيض أمهق. وعن أنس : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبيض بياضه الى السمرة . قال البيهقي يقال : إن البياض المُشرب منه بحمرة ، والى السمرة ما ضحى للشمس والريح كالوجه والعنق ، وأما ما تحت الثياب فهو الأزهر الأبيض .

وأما طيب ريحه وعرقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد كانت الرائحة الطيبة صفته وإن لم يمس طيباً . قال أنس : ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رواه الإمام أحمد . وعن أم عاصم ، امرأة عتبة بن فرقد السلمي ، قالت : كنا عند عتبة اربع نسوة ، فما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب ، لتكون أطيب من صاحبتها ، ولا يمس عتبة الطيب إلا أن يمس دهناً يمسح به لحيته ، ولهو أطيب ريحا منا . وكان إذا خرج الى الناس قالوا : ما شممنا ريحاً أطيب من ريح عتبة ، فقلت له يوما : إنا نجتهد في الطيب ، ولأنت أطيب ريحا منا فمم ذلك ؟ فقال : أخذني الشرى على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأتيته فشكوت إليه ذلك . فأمرني أن أتجرد فتجردت ، وقعدت بين يديه . وألقيت ثوبي على فرجي ، فنفث في يده ، ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يومئذ . رواه الطبراني .

وروي أيضا قصة الذي استعان به ــ صلى الله عليه وسلم ــ على تجهيز ابنته، فلم يكن عنده شيء ، فاستدعى بقارورة ، فسلت له فيها من عرقه ، وقال

له : مرها فلتطيب به ، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب • فسمّوا بيت المطيّبين •

وعن أنس قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب ، وقالوا : مر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من هذا الطريق • وعن جابر بن عبد الله نحوه • وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم لوناً ، لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر ، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ ، وأطيب من المسك الأذفر • رواه أبو نعيم عن أنس قال : دخل علينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال قيلولة عندنا ، فعرق ، وجاءت أمي (وكانت محرماً له من رضاع) جاءت بقارورة ، فجعلت تسلت العرق فيها ، فاستيقظ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا ام سليم ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب الطيب • رواه مسلم •

وعن جابر بن سمرة : أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مسح خده ، قال : فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار • قال غيره : مسها بطيب أم لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبي ، فيعرف من بين الصبيان بريحها (أي بريح يد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ التي مس بها رأسه) •

لباسه ــ صلى الله عليه وسلم ــ

كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتجوز في اللباس يعني يتوسع ، فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه ، ولا يطلب النفيس الغالي ، بل يستعمل ما تيسر • وكانت سيرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ملبسه أتم وأنفع للبدن ، وأخف عليه ، فإنه لم تكن عمامته بالكبيرة التي تؤذي حملها ، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد • وكذلك الأردية

والأزر أخف على البدن من غيرها ، ولم يكن ــ صلى الله عليه وسلم ــ يطول أكمامه ويوسعها ، بل كان كمه الى الرسغ (وهو منتهى الكف عند المفصل) وكان ذيل قميصه وردائه الى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين .

أخرج الترمذي عن الأشعث ابن السليم قال : سمعت عمتي تحدث عن عمها قال : بينا أنا أمشي بالمدينة إذا انسان خلفي يقول : ارفع ازارك فإنه أتقى وأنقى . فإذا هو رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقلت : يا رسول الله انما هي بردة . قال أما لك فيّ أسوة ؟ فنظرت فإذا إزاره الى نصف ساقيه . وكان له ــ عليه الصلاة والسلام ــ عمامة تسمى السحاب يلبس تحتها القلانس اللاطئة ، (والقلانس جمع قلنسوة ، وهي غشاء مبطن يستر الرأس) . وروى الترمذي عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال : دخل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء . وفي رواية أنس عند البخاري : دخل ــ صلى الله عليه وسلم ــ عام الفتح وعلى رأسه مغفر (وهو زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس) ويجمع بينهما بأن العمامة كانت فوق المغفر . وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعتم يدير كور عمامته ويغرسها من ورائه ، ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه . رواه ابن حبان في كتاب أخلاق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وروى ابن أبي شيبة عن علي ــ رضي الله عنه ــ قال : عممني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعمامة سدل طرفها على منكبي ، وقال : إن الله أمدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معممين هذه العمة . وقال : إن العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين . وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانت له كمة بيضاء . رواه الدمياطي . (والكمة القلنسوة) . وعن أبي كبشة الأنماري قال : كانت كمام ، وفي رواية اكمة أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بطحا . رواه الترمذي . وهي جمع كمة القلنسوة ، يعني أنها كانت مسطحة غير منتصبة ، وكان أحب الثياب إليه ــ صلى الله عليه

وسلم ـ القميص رواه الترمذي عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ، وعن معاوية ابن قرة عن أبيه قال : أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في رهط من مزينة لنبايعه ، وإن قميصه لطلق الازرار ، أو قال : زر قميصه مطلق . قال : فأدخلت يدي في جيب قميصه ، فمسست الخاتم . رواه الترمذي .

وعن أنس قال : كان احب الثياب الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلبسه الحبرة . رواه الترمذي . (والحبرة ضرب من البرود فيه حمرة) . وعن أبي رمثة قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه بردان أخضران . رواه الترمذي . وعن أبي يعلى عن أبيه قال : رأيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطوف بالبيت مضطبعاً ببرد أخضر (رواه أبو داود) وعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي . وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أتيت النبي وعليه ثوب أبيض رواه البخاري . وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلبس الصوف ، وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ كساء ملبد يلبسه ويقول : إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد رواه الشيخان . وعن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال : رأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ليلة أضحيان ، فجعلت أنظر إليه والى القمر وعليه حلة حمراء ، فإذا هو أحسن عندي من القمر ، رواه الدارمي والترمذي .

وعن أبي جحيفة قال : رأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه حلة حمراء كأنني أنظر الى بريق ساقيه . وعن البراء بن عازب قال : ما رأيت أحداً أحسن في حلة حمراء من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواهما الترمذي . وفي رواية البخاري ومسلم : رأيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه . وفي رواية لأبي داود : ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(واللمة شعر الرأس دون الجمة) • وفي رواية النسائي : ما رأيت رجلاً أحسن في حلة حمراء من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (والحلة ازار ورداء ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة) •

وأما صفة إزاره ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري قال : أخرجت إلينا عائشة كساء وإزارا غليظا فقالت : قبض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هذين • رواه البخاري • وفي رواية كساء ملبدا • قال ابن الاثير : أي مرقعا • وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد • عن عائشة أيضاً قالت : خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذات غداة وعليه مرط مرحل بشعر أسود رواه مسلم • (والمرط كساء من صوف أو خز يؤتزر به) قال النووي : والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة • أي عليه صور رحال الإبل • ولا بأس بهذه الصور وإنما يحرم تصوير الحيوان • وعن عروة أن طول رداء النبي أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر • وعنه أيضا : أن ثوب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي كان يخرج فيه رداء أخضر في طول أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر •

وعن محمد بن هلال قال : رأيت على هشام ابن عبد الملك برد النبي من حبرة له حاشيتان • وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : دخلت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعليه ازار يتقعقع • وعن يزيد ابن أبي حبيب أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يرخي الإزار بين يديه ، ويرفعه من ورائه • وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأتزر تحت سرته وتبدو سرته ، ورأيت عمر يأتزر فوق سرته • رواها كلها الدمياطي •

وعن أسماء بنت أبي بكر ــ رضي الله عنها ــ : أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج • وفرجاها مكفوفان بالديباج ، وقالت : هذه جبة

رسول الله كانت عند عائشة ، فلما قبضت قبضتها ، وكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلبسها ونحــن نغسلها للمرضى ونستشفي بها • رواه مسلم • وقولي جبة طيالسة بإضافة جبة الى طيالسة وكسروانية نسبة الى كسرى ، ولبنة رفعة في جيب القميص ، ولما كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يبدر منه إلا طيب ، كان آية ذلك في بدنه الشريف أنه لا يتسخ له ثوب ، وقيل : ولم يقمل ثوبه ، ونقل الفخر الرازي : أن الذباب لا يقع على ثيابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وأنه لا يمتص دمه البعوض • وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يكثر القناع • وفي رواية يكثر التقنع • قال العراقي : التقنع تغطية الرأس بطرف العمامة أو برداء أو نحو ذلك •

خاتمــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ

ففي الصحيحين عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ : أن رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اتخذ خاتماً من ورِق ، فكان في يده ، ثم كان في يد أبي بكر ، ثم كان في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان ــ رضي الله عنهم ــ حتى وقع في بئر أريس • وفي الصحيحين أيضا عن أنس ــ رضي الله عنه ــ : أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لبس خاتم فضة فيه فص حبش ، وكان يجعل فصه مما يلي كفه • وعــن أنس ــ رضي الله عنه ــ : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتب الى كسرى ، وقيصر ، والنجاشي فقيل له : إنهم لا يقبلون كتاباً الا بختم ، فصاغ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله ، وإنما لبسه أبو بكر لأجل ولايته ، فإنه كان يحتاج إليه كما كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحتاج إليه ، وكذلك عمر ، وعثمان ــ رضي الله عنهم ــ •

وفي الصحيحين عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ : أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ اتخذ خاتماً من ذهب ، فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي باطن كفه ، فاتخذ الناس خواتم الذهب • قال : فصعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المنبر ، فألقاه ، ونهى عن التختم بالذهب •

وأما فص خاتمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ فعن أنس : أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ اتخذ خاتماً من فضة فصه منه • أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما • وفي صحيح مسلم : أن خاتمه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان فصه حبشياً ، أي من جزع أو عقيق ومعدنهما بالحبشة واليمن •

وأما نقش خاتمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ففي صحيح مسلم عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صنع خاتماً من ورق نقش فيه محمد رسول الله • وقال للناس : إني اتخذت خاتماً من فضة ونقشت فيه : محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه • وفي رواية الترمذي والبخاري : كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر • محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر • وفي صحيح مسلم عن أنس قال : كان خاتم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هذه وأشار الى الخنصر من يده اليسرى • وعن حماد بن أبي سلمة قال : رأيت ابن أبي رافع يتختم في اليمين ، وقال : كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتختم في يمينه رواه الإمام أحمد وغيره • وكان ــ عليه الصلاة والسلام ــ يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط ليستذكر به الشيء رواه ابن عدي وغيره •

وأما السراويل : فقد جزم بعض العلماء بأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يلبسها ، لكن قد ورد في حديث عند أبي يعلى الموصلي بسند ضعيف عن أبي هريرة قال : دخلت السوق يوما مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجلس الى البزازين ، فاشترى سراويل بأربعة دراهم ، وكان لأهل السوق وزان يزن • فقال له ــ صلى الله عليه وسلم ــ : اتّزن وأرجح • فقال الوزان : إن هذه الكلمة ما سمعتها من أحد • قال أبو هريرة : فقلت له كفى بك من الوهن والجفاء في الدين أن لا تعرف نبيك • فطرح الميزان ، ووثب الى يد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يريد أن يقبلها • فجذب يده ــ صلى الله عليه وسلم ــ منه وقال : يا هذا إنما يفعل هذا الأعاجم وملوكها ،

ولست بملك إنما أنا رجل منكم • فَوزِن فأرجح ، وأخذ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ السراويل • قال أبو هريرة : فذهبت لأحمله عنه • فقال : صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله ، إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم • قال : يا رسول الله فإنك لتلبس السراويل ؟ فقال : في السفر والحضر ، وبالليل والنهار • فإني أمرت بالستر • فلم أجد شيئاً أستر منه • وقد صح شراء الرسول للسراويل •

وأما الخف : فروى الترمذي عن بريدة أن النجاشي أهدى للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ فمسح عليهما • وعن مغيرة بن شعبة قال : أهدى دحية للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ خفين فلبسهما •

وأما نعله فعن أنس : أن نعل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان لهما قبالان (والقبالان تثنية قبال ، وهو زمام النعل ، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين) وعن عبد بن جريج أنه قال لابن عمر : رأيتك تلبس النعال السبتية ، قال : إني رأيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ، ويتوضأ فيها ، فأنا أحب أن ألبسها • وعن عمرو ابن حريث قال : رأيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصلي في نعلين مخصوفتين • وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحب التيامن ما استطاع في ترجله وتنعله ، وطهوره • رواه الترمذي • وأفردَ تمثال نعله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتأليف غير واحد •

وبعد ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد ، وكان شيخا صالحاً ، قال : حذوت هذا المثال لبعض الطلبة ، فجاءني يوما فقال لي : رأيت البارحة من فضيلة هذا النعل عجبا : أصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها ، فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت : أللهم أرني بركة صاحب هذا النعل ، فشفاها الله للحين •

ومن أفرد التمثال الشريف بالتأليف أبو إسحاق السلمي الأندلسي المشهور بابن الحاج قال : قال أبو القاسم ابن محمد : ومما جرب من بركته أنه من أمسكه عنده متبركاً به كان له أماناً من بغي البغاة ، وغلبة العداة ، وحرزا من كل شيطان مارد ، وعين كل حاسد ، ان أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله وقوته . ولأبي بكر القرطبي ــ رحمه الله ــ .

ونعل خضعنا هيبة لبهائها
وانا متى نخضع لها أبدا نعل
فضعها على أعلى المفارق إنها
حقيقتها تاج وصورتها نعل
بأخمص خير الخلق حازت مزية
على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر
وإن بحار الجود من فيضها حلو
سلونا ولكن عن سواها وإنما
نهيم بمعناها الغريب وما نسلو
فما شاقنا مذراقنا رسم عزها
حميم ولا مال كريم ولا نسل
شفاء لذي سقم ، رجاء لبائس
امان لذي خوف كذا يحسب الفضل

وأما فراشه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد كان ــ عليه الصلاة والسلام ــ أخذ من ذلك بما تدعو ضرورته إليه . فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ : إنما كان فراش رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي ينام عليه أدما حشوه ليف . رواه الشيخان وروى البيهقي من حديثها قالت : دخلت علي

أمرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قطيفة مثنية فبعثت إلي بفراش حشوه الصوف . فدخل علي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قلت : يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك ، فبعثت إلي . فقال : رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة .

وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في غرفة كأنها بيت حمام ، وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه ، فبكيت . فقال : ما يبكيك يا عبد الله ؟ قلت : يا رسول الله كسرى وقيصر يطأون على الخز والديباج والحرير ، وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر في جنبك . فقال : لا تبك يا عبد الله . فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة . وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على حصير قال : فجلست فإذا عليه ازاره مليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه ، وإذا بقبضة من الشعير نحو الصاع ، وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناي . فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك كسرى ، وقيصر في الثمار ، والأنهار ، وأنت نبي الله وصفوته ، وهذه خزائنه ! قال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر : ـ رضي الله عنه ـ استأذنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخلت عليه في مشربة ، وإنه لمضطجع على خصفة ، وإن بعضه لعلى تراب ، وتحت رأسه وسادة محشية ليفاً، وان فوق رأسه لاهاب عطين ، وفي ناحية المشربة قرظ ، فسلمت عليه ، وجلست وقلت : أنت نبي الله وصفوته ، وكسرى ، وقيصر على سرير الذهب ، وفرش الديباج والحرير ؟ فقال : أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الدنيا ، وهي وشيكة الانقطاع ، وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا .

(والمشربة الغرفة يصعد إليها بدرجة ، والخصفة وعاء من خوص للتمر ، والإهاب الجلد ، والعطين المنتن • والقرظ ورق السلم الذي يدبغ به) ورواية الاهاب والعطين بدون الف مع كونهما منصوبين على لغة ربيعة ، إنتهى •

وأما نومه فقد كان — عليه الصلاة والسلام — ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني ، فيقوم فيستاك ، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج ، ولا يمنع نفسه إليه منه ، وكان ينام على جنبه الأيمن ، ذاكراً الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتليء بطنه من الطعام والشراب •

معجزاته — عليه الصلاة والسلام —

إعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى لرسوله عند التحدي ، ويقصد به إثبات صدق دعواه للرسالة ، وأما ما عدا ذلك من الخوارق الظاهرة المخلوقة له بدون التحدي ، فإن كان بعد الرسالة فكرامة وليست تسمى معجزة ، وإن كان قبلها فيسمى إرهاصا (أي تأسيساً وبناءً لظهور الرسل وإرسال الباري تعالى لهم الى الأمة) • وقد تطلق المعجزة على ما ظهر في غير مقام التحدي ونحن نمشي على ذلك • وعلى كل حال فالخوارق الظاهرة على أيدي الرسل ليس للاكتساب فيها مجال ، وإنما هي موهبة لهم وإعلاء درجاتهم ولإثبات رسالتهم ، ومعجزات الرسول — صلى الله عليه وسلم — كثيرة من أهمها القرآن الكريم • وقد ذكرنا نبذة من بيان كونه معجزة •

وأما غيره منها فكثير ، ذكر أصحاب السير ما أمكنهم ووفقهم الله تعالى لبيانه كنبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام القليل وانشقاق القمر ، ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدي به ، ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدٍ • ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده — صلى الله عليه وسلم — معجزات كثيرة •

أما معجزة انشقاق القمر فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (اقتربت الساعة وانشق القمر) والمراد وقوع انشقاقه ، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك

﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ واعلم أن القمر لم ينشق لأحدٍ غير نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو من أمهات معجزاته ــ عليه الصلاة والسلام ــ وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإن كفار قريش لما كذبوه ، ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على إيجادها دالة على صدقه في دعواه الوحدانية لله تعالى .

قال الخطابي : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعادلها شيء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماوات خارجة من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمح في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر . فعن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال : انشق القمر على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال كفار قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة . قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال : فجاء السفار فأخبروهم بذلك . رواه أبو داود وغيره .

وعن ابن عباس لما اجتمع المشركون الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ابن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والنضر بن الحارث ونظراؤهم ، فقالوا للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين . فسأل ربه ، فانشق . رواه أبو نعيم ، ورواه البخاري مختصراً من حديث ابن عباس بلفظ : إن القمر انشق على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وفي الصحيحين من حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ : أن أهل مكة سألوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين ، حتى رأوا حراء بينهما . قال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة . وروى عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى أن انتهى إلينا . وتأيد بالآية الكريمة انتهى .

وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب : والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما ، وله طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره .

وأما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وبالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الأخبار ؛ فمنها تسبيح الطعام والحصى في كفه الشريف ــ صلى الله عليه وسلم ــ ففي حديث أبي ذر قال : تناول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن . رواه البزار والطبراني . وفي رواية الطبراني : فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا . وقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود قال : كنا نأكل مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الطعام ، ونحن نسمع تسبيح الطعام . وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : مرض النبي فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسبح رواه القاضي عياض في الشفاء .

ومن ذلك تسليم الحجر عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرّج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن . وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو الحجر الأسود ، وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ، ويقولون : إنه هو الذي كان يسلم على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلما اجتاز به . وروى الترمذي وغيره عن علي ــ رضي الله عنه ــ قال : كنت أمشي مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : قال رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله رواه البزار وأبو نعيم •

ومن ذلك تسليم اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن أبي أسيد الساعدي قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للعباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل لا ترم منزلك أنت وبنوك غداً حتى آتيكم ، فإن لي فيكم حاجة • فانتظروا حتى جاء بعدما أضحى ، فدخل عليهم فقال : السلام عليكم • قالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته • قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير بحمد الله • فقال لهم : تقاربوا ، فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض ، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بمُلاءَة • فقال : يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه • فأمّنت اسكفة البيت ، وحوائط البيت فقالت : آمين آمين رواه البيهقي وغيره •

ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له • عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : صعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان أحداً ، فرجف بهم • فضربه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ برجله وقال : أثبت أُحُد ، فإنما عليك نبي ، وصديق ، وشهيدان • رواه البخاري وغيره • وأحد جبل بالمدينة وهو الذي قال فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أحد جبل يحبنا ونحبه رواه البخاري ، ومسلم • وأخرج الحاكم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : كنا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أين تريد ؟ قال : الى أهلي • قال : هل لك الى خير ؟ قال : وماهو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله • قال : هل لك من شاهد على ما تقول ؟ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هذه الشجرة • فدعاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي بشاطيء الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا ،

فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ، ثم رجعت الى منبتها رواه الحاكم وغيره •

ومن ذلك حنين الجذع شوقا إليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهي آية كبرى من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال الامام الشافعي ــ **رضي الله عنه** ــ : ما اعطى الله نبيا ما اعطاه نبينا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقيل له أعطي عيسى إحياء الموتى • قال : أعطي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حنين الجذع حتى سمع صوته • فهي اكبر من ذلك • قال القاضي عياض : حديث حنين الجذع مشهور مستشر والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل بن سعد ، وأبو سعيد الخدري ، وبريدة ، وأم سلمة ، والمطلب ابن أبي وداعة ، انتهى •

والقصة واحدة وإن تغايرت بعض ألفاظها ، وهي أن مسجد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان مسقوفاً على جذوع نخل ، فكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا خطب يقوم إلى الجذع منها ، فصنع له المنبر ثلاث درجات ليسمع الناس خطبته لما كثروا ، فلما قعد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليه خار الجذع حتى تصدع به ، وانشق • وفي رواية : فصاحت النخلة فنزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يشكي • وفي رواية فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار • وفي رواية: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوع • (وهي التي انتزع منها ولدها) فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت • وفي رواية خار الجذع كخوار الثور حزناً على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى ارتج المسجد لخواره • فنزل إليه رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكتت. ثم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : والذي نفسي بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله • فامر به ــ صلى الله عليه وسلم ــ فدفن •

وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك • وقال العلامة التاج ابن السبكي : الصحيح عندي إن حديث الجذع متواتر • وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : حنين الجذع ، وانشقاق القمر كل منهما نقل نقلاً مستفيضاً ، نقلا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث • وقال البيهقي : قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف • قال أبو القاسم البغوي : كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى • ثم قال : يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ شوقاً الى الله لمكانه منه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه •

وأما كلام الحيوانات وطاعتها له ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمنها سجود الجمل وشكواه إليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ • عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ، فاستصعب عليهم ، ومنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاؤا الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه ، وإنه استصعب علينا ، ومنعنا ظهره ، وقد عطش النخل والزرع • فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه قوموا ، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نحوه فقالت الأنصار : يا رسول الله قد صار الجمل مثل الكلب الكَلِب ، وإنا نخاف عليك صولته • فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس عليّ منه بأس ، فلما نظر الجمل الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ بناصيته أذلّ ما كان قط حتى أدخله في العمل . فقال له : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه أحمد والنسائي . (والحائط هو البستان . وقوله نسنى أي نسقي عليه) .

وفي حديث يعلى ابن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه . فوقف عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاءه فقال : بعنيه . فقال : بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره . فقال : أما إذا ذكرت هذا من أمره ، فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه . رواه البغوي في شرح السنة . (والجران مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره) .

وأخرج ابن شاهين عن عبد الله بن جعفر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حنّ فذرفت عيناه فأتاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمسح ذفراه فسكن ، ثم قال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فأتاه فتى من الأنصار فقال : هذا لي يا رسول الله . فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه . قال في المصابيح وهو حديث صحيح . (وذفراه تثنية ذفرى ، وهو الموضع الذي يعوق من قفا البعير عند أذنه) .

ومن ذلك حديث الضّبّ ذكره القاضي عياض في الشفاء . وقد روى من حديث عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان في محفل من أصحابه إذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضباً في كمه ليذهب به الى رحله

فيشويه ويأكله ، فلما رأى الجماعة قال : من هذا ؟ قالوا : نبي الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخرج الضب من كمه وقال : واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب ، وطرحه بين يدي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يا ضب . فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة . قال : من تعبد؟ قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عقابه . قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدقك ، وخاب من كذبك . فأسلم الأعرابي .

ومن ذلك حديث الغزالة رواه كثير من أئمة الحديث من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا ، فعن أم سلمة قالت : بينما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في صحراء من الأرض ، إذ هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات ، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق ، وأعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس . فقال : ما حاجتك ؟ قالت : صادني هذا الأعرابي ، ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع . قال : وتفعلين ؟. قالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أعد . فأطلقها فذهبت ، ورجعت فأوثقها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانتبه الأعرابي وقال : يا رسول الله ألك حاجة ؟ قال : تطلق هذه الغزالة . فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

ومن ذلك داجن البيوت وهو ما ألفها من الحيوان كالطير ، والشاة ، وغيرهما . روى قاسم بن ثابت عن عائشة عنها وعن والديها قالت : كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قرّ وثبت مكانه فلم يجيء ، ولم يذهب واذا خرج رسول الله جاء وذهب وذكره القاضي عياض بسنده .

وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو أشرف المياه . فقد روى أحاديثه جماعة من الصحابة منهم

أنس وجابر ، وابن مسعود وابن عباس ، ففي الصحيحين عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد حانت صلاة العصر ، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأُتي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بوضوء ، فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا من ذلك الاناء حتى توضأ القوم . قال راويه : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة .

وعن أنس أيضاً قال : كنت مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في غزوة تبوك فقال المسلمون : يا رسول الله عطشت دوابنا وإبلنا . فقال : هل من فضلة ماء ؟ فجاء رجل في شن بشيء . فقال : هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء . قال : فرأيتها تخلّل عيوناً بين أصابعه . قال : فسقينا إبلنا ودوابنا ، وتزودنا . فقال : اكتفيتم ؟ قالوا : نعم اكتفينا يا نبي الله . فرفع يده فارتفع الماء . رواه ابن شاهين . وأخرج البيهقي عن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : خرج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير ، فأدخل يده فلم يسعه القدح ، فأدخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه ، ثم قال للقوم : هلموا الى الشراب . قال أنس : بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه ، فلم يزل القوم يَرِدون القدح حتى رووا منه جميعاً .

وأما حديث جابر : ففي الصحيحين وغيرهما عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ، وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه . فقال : مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ما عندنا ماء نتوضاء به ، ولا ما نشربه إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قال راويه : قلت كم كنتم ؟ قال جابر : لو كنا مائة ألفٍ لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . (والركوة إناء صغير من جلد يشرب فيه ، والجهش أن يفزع الأنسان الى غيره) .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : دعا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بلالاً فطلب الماء ، فقال : لا والله ما وجدت الماء . قال : فهل من شنٍّ فأتاه بشن فبسط كفه فيه ، فانبعث تحت يده عين ، فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ . رواه الدارمي وغيره . قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد تكررت منه في عدة مواضع : في مشاهد عظيمة من طرق كثيرة ، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ، ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

ومن ذلك تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعن أنس قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خماراً ، فلفت الخبــز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه (أي أدارت بعض الخمار على رأسي مرتين كالعمائم) ثم أرسلتني الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذهبت به فوجدت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في المسجد ومعه الناس ، فسلمت عليه ، فقال لي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أرسلك أبو طلحة ؟ قلت : نعم . قال : بطعام ؟ قلت : نعم . فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمن معه : قوموا . فانطلق ، وانطلقت بين أيديهم حتى أتيت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأقبل رسول الله وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : هلمي يا أم سليم ما عندك . فأتت بذلك الخبز ، فأمر به ــ صلى الله عليه وسلم ــ ففتّ ، وعصرت أم سليم عكة فأدمته ، ثم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : أذن لعشرة فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ،

ثم خرجوا ثم قال : أذن لعشرة ، ثم لعشرة ، فأتت القوم كلهم ، فشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة قال : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقال عمر : يا رسول الله ادعوهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة . فقال : نعم . فدعا بنطع ، فبسط ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع شيء يسير ، فدعا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاءً إلا ملأوه . قال : فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أشهد أن لا إله الا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة . رواه مسلم .

وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عروسا بزينب ، فعمدت أمي أم سليم الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيساً ، فجعلته في تورٍ . فقالت : يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقل بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرؤك السلام ، فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : ضعه . ثم قال : اذهب فادع لي فلانا وفلانا ، رجالاً سماهم وادع لي من لقيت ، فدعوت من ثمة ومن لقيت ، فرجعت فإذا البيت غاص بأهله . قيل لأنس : عددكم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة . فرأيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وضع يده على تلك الحيسة ، فتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة ، عشرة ، يأكلون منه ، ويقول لهم : اذكروا اسم الله ، وليأكل كل رجل مما يليه . فأكلوا حتى شبعوا ، فخرجت طائفة بعد طائفة ، حتى أكلوا كلهم . قال لي : يا أنس ارفع . فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت . رواه البخاري ومسلم . (والاقط لبن مجفف ، والحيس الطعام المتخذ من التمر والسمن والأقط ، والتور إناء من صخر أو حجارة) .

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاثين ومائة • وذكر في الحديث أنه عجن صاع ، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها • قال : وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزّ له حزّة من سواد بطنها • ثم جعل منها قطعتين فأكلنا أجمعون ، وفضل في القطعتين فحملته على البعير • رواه البخاري • وعن أبي هريرة قال : أمرني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن أدعو أهل صفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا تحفة فأكلنا ما شئنا ، وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع رواه الطبراني وغيره • وعن علي ــ كرم الله وجهه ــ جمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بني عبد المطلب وكانوا أربعين ، منهم قوم يأكلون الجذع فيشربون الفرق ، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا ، وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا • وبقي كأنه لم يشرب منــه شيء رواه في الشفاء ، (والجذعة من الضأن ما أتى عليها ثمانية أشهر او تسعة ، والفرق ما يسع اثنى عشر صاعا ، والعس قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة) •

ومن ذلك ابراء ذوي العاهات ، وإحياء الموتى ، وكلامهم ، وكــلام الصبيان وشهادتهم له ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالنبوة •

روى البيهقي في الدلائل أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ دعا رجلاً الى الإسلام ، فقال : لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أرني قبرها • فأراه • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يا فلانة • فقالت : لبيك وسعديك • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أتحبين أن ترجعي الى الدنيا ؟ فقالت : لا والله يا رسول الله ، إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ، ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا •

وروى الطبراني عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ نزل الحجون كئيبا حزيناً فأقام به ما شاء الله عزّ وجل ثم رجع مسروراً • قال : سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها • وكذا روى عن حديث عائشة أيضاً أحيا أبويه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى آمنا

به . رواه السهيلي والخطيب . قلت : وهذا الإيمان إيمان للتشريف لهما . وإدخالهما في زمرة أمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا إيمان التكليف : لان الإنسان بعد موته ينقطع عنه التكليف ، وأبواه في حياتهما كانا من أمة عهد الفترة ، وكانا غافلين بنص قوله تعالى : (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) وبنصوص آيات أخرى على أن رسالة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – كانت على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي . وقد قال الله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما روي من أنه – صلى الله عليه وسلم – بين أن أبويه في النار لا يعارض النصوص القاطعة التي تشهد بخلاف ذلك . فمثل ذلك المروي إما لم يثبت ، أو أنه كان على ظن من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنهما في محنة أو على أن غير درجات أهل الإيمان كالعذاب بالنسبة الى درجاتهم . وعدم عذاب أهل الفترة مطلقاً هو الذي عليه اعتقاد المسلمين .

وعن معيقل اليماني قال : حججت حجة الوداع ، فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورأيت منه عجباً ، جاءه رجل من اليمامة بغلام يوم ولد فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : يا غلام من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله . قال : صدقت ، بارك الله فيك ، ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب ، فكنا نسميه مبارك اليمامة . رواه البيهقي . وعن فهد بن عطية أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أتى بصبي قد شب ولم يتكلم قط . فقال : من أنا ؟ قال : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رواه البيهقي .

وأصيب يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فأتى به الى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني تقذرني . فأخذها رسول الله – صلى الله عليه

وسلم ـ وردها الى موضعها ، وقال : اللهم اكسه جمالاً • فكانت أحسن عينيه • وأحدّهما نظرا ، ولا ترمد إذا رمدت الأخرى •

وفي البخاري في غزوة خيبر أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : يا رسول الله إنه يشتكي عينيه • قال : فأرسلوا إليه • فأتي به ، فبصق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع • وفي رواية مسلم عن أياس ابن ابي سلمة عن أبيه قال : فأرسلني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجئت به أقوده أرمد، فبصق في عينيه وبرأ • وعند الطبراني عن عليّ : فما اشتكيتهما حتى الساعة • قال : ودعا لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللهم أذهب عنه الحرّ والقرّ • قال : فما اشتكيتهما حتى يومي هذا •

وأصيب سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه ، فنفث فيها رسول الله ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري • ونفث رسول الله في عيني فُديك ، وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا فكان يدخل الخيط في الأبرة وإنه لابن ثمانين ، وان عينيه لمبيضتان رواه ابن أبي شيبة وغيره •

والحق أن ما ظهر من الخوارق لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء كان من قسم الإرهاص كخمود نار فارس ، وغيض بحيرة ساوة ، وشق شرف أيوان كسرى ، ودحر جيش أبرهة ••• وسائر ما وقع قبل بعثه وإرساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو من المعجزات كشق القمر ، وسجود الشجر ، وتكليم الحجر ، والكلام مع الوحوش ، أو الآيات البينات التي يحتويها القرآن الكريم أو سائر الكرامات من قبيل تكثير الطعام القليل ، ونبع الماء بين أصابعه الشريفة ، وطيب الأبيار المالحة ، واستجابة الدعوات وصل الى درجة لا يبقى مجال الشك لأي إنسان منصف عاقل في أن حضرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان منبع الرسالة والنبوة والفضائل العلمية والعملية بحيث لا يوازيه فيها أحد ، ولا سيما معجزة القرآن ، ومعجزة اتصافه

بالأخلاق الحميدة التي أفادها الباري بقوله الكريم (وإنك لعلى خلق عظيم) بل إن أخلاقه الكريمة السليمة من الصبر ، والصدق ، والحلم ، والرأفة، والترحم ، والعهد ، والوفاء بالعهود ، والاستقامة على الحق القويم ، والمنهج المستقيم ، وزهده عن الدنيا بحذافيرها لأكبر معجزة من المعجزات العالمية التي لا معجزة فوقها . والله الهادي الى الصواب .

قول الناظم : (هذا الرسول ... الى آخر الأبيات) معناه هذا الرسول الجليل الذي ذكرنا صورته ، وسيرته وشمائله ، وأخلاقه العظيمة ونموذجاً من معجزاته هو الرسول الكريم الذي أرسله الله تعالى فضلاً وإحساناً بالعباد لا وجوبا وإيجابا عليه أو منه أرسله الى كافة الأنام من الثقلين الإنس والجن تكليفاً ، وللملائكة تشريفاً حيث قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهو سيد المرسلين من آدم ومن سواه الى الخاتم بأدلة وبراهين قاطعة :

الأول : أنه هو الذي جمع هدى الرسل كلهم ، وحاز أخلاقهم ، لقوله تعالى بعد ذكر الرسل عليهم السلام : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ومن استوعب هدى الجميع أفضل ممن حاز هدى بعض منهم ، وما روي من قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تخيروني على يونس بن متي . فإنما ورد لمنع التفضيل والتخيير على وجه التعنت ، والتعصب والجدال وإلا فقد قال الباري سبحانه وتعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وروي عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : آدم ومن سواه تحت لوائي ولا فخر . وروي عنه : أنا سيد ولد ادم ولا فخر . نعم لا نفرق بين أحد منهم في أصل الرسالة .

الدليل الثاني : أن دعوة الرسل السابقين كانت الى بعض الأمم ، وأما دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت لكافة الأنام ، وذلك دليل علو مقامه عليهم وذلك ثابت بقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وبقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وبدعوى نفسه

المباركة الرسالة الى كافة الخلق ، وحجته أنه أرسل مكاتيب الدعوة الى ملوك العالم من عظيم القبط ، وعظيم الروم ، وعظيم الفرس ، وأمراء الامارات العربية ، ومكاتيبه محفوظة في الخزائن • ومعروفة عند أهل العلم بالسيرة النبوية ، وأهل الاطلاع على سفرائه وسفارتهم إليهم •

الثالث : أن معجزات الرسل السابقين كانت مقيدة بزمانهم • أي لم يكن شيئاً عيانيا يبقى بعدهم • وأما لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبقي أعلى معجزاته وهو القرآن في زمانه وبعده الى يوم القيامة ، ويتحدى كافة فصحاء العالم وبلغائه الى الإتيان بمثل الجميع ، أو عشر سور ، أو أقصر سورة منه ، ولم يوجد من يعارضه مع الدواعي على نقله لو كان •

ومما يدل دلالة قطعية على خلود إعجازه والعمل به أنه فيه بيان إكمال الدين للمسلمين ، وإتمام النعمة عليهم ، حيث أن فيه أصولاً وقواعد إذا طبقت لا تبقى حاجة الى أي أصل ودستور آخر • فإن جعل أمر المسلمين شورى بينهم ، وجعل أولي الأمر من الفقهاء والعلماء محكمين ومراجعين فلا تبقى مشكلة إلا تنحل بفقه الفقهاء وشورى أهل الشورى • فيسهل كل أمر بينهم إلا هتك الدين والأعراض ، والأموال ، والقتل وإزالة العقل • ومادام هذا الرسول الجليل أفضل الرسل تكون أمته أفضل الأمم ، لأن كمال المتبوع يقتضي كمال التابع ، ولذلك بقيت محاسن الاعمال ، والأخلاق ، وخوارق العادات ويوازن الطاعات في أمته منذ بعثه رحمة للعالمين الى عصرنا هذا مع أنه وقعت ملة الأسلام وأمته في مشاكل عصيبة من عداء أعدائهم ، وتمرد من تمرد من أمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله •

ومن الدليل على أن أمته خير الأمم نص قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) وتلك الأمة الشريفة لها مستويات متفاوتة ، فالمستوى الأعلى الأول لأصحابه الكرام،

ولأهل بيته العظام ولآله النجباء الأعلام ــ رضي الله عنهم ــ وبعدهم مستوى التابعين لهم ، ثم التابعون للتابعين بدليل الأدلة الدالة على خيرية الأصحاب ، ثم التابعين ثم مواليهم ، كما روي من قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايزال الخير في أمتي الى يوم القيامة • ولقوله : مثل أمتي مثل المطر لايدري أوله خير أم آخره •

فلنذكر نموذجاً من مناقب الأصحاب ، ثم أهل البيت ، ثم غيرهم من الآل ثم من يتبعهم بإحسان الى يوم الدين • ويدل على خيرية الأمة أيضاً قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لا تجتمع أمتي على ضلالة • وكون إجماعهم طريق الحق والهدى للمسلمين لقوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم) وإن فيهم المجتهدون الأعلام علماء الكتاب والسنة بحق ، المأمورين بالتفقه في الدين ونصيحة الأمة بعد التفقه بقوله الكريم : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وقوله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) • وقوله تعالى : (وفوق كل ذي علم عليم) • وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولي الأمر منكم) والمراد بأولي الأمر العلماء الأعلام أهل الضبط والاستنباط بدليل قوله تعالى (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ويلهمه رشده • وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إذا حكم الحاكم واجتهد ، وأصاب فله أجران ، وإذا حكم واجتهد وأخطأ فله أجر • أو كما قال : والأجران للمصيب أجر على الاجتهاد ، وآخر على الإصابة ، والأجر الواحد للمخطىء على اجتهاده جهد إمكانه • ثم الدليل على شرف الأصحاب الكرام وتفضيلهم على من سواهم ــ رضي الله عنهم ــ أمور :

الأول : إن الله تعالى اختارهم لصحبة من اختاره للرسالة العامة ، وجعلهم عوناً له في حفظ الكتاب والسنة ونشرهما ، ونصرهم ، وقد بذلوا مافي الامكان لذلك .

الدليل الثاني : آيات من القرآن الكريم على فضلهم جميعاً ، وفرقة منهم خصوصا . وبعض أفرادهم . فمن الأول قوله تعالى في آخر الفتح (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ ، فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) وكلمة من للبيان لا للتبعيض بدليل إخباره تعالى عن فضلها بالجمل الخبرية ، ولا مجال للتبدل في إخبار الباري تعالى .

ومن الثاني (أي مما يدل على فضل الفرقة) قوله تعالى في سورة الفتح : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً) .

وقوله تعالى في أواخر التوبة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) .

ومن الثالث : الآيات التي نزلت في شأن أفراد منهم من الخلفاء الراشدين وغيرهم مما يدل على فضلهم ونجاحهم وعلو مقامهم ، وقوة إيمانهم ، وصبرهم واستقامتهم وإيثارهم غيرهم على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة .

ومن الأحاديث الشريفة مادل على فضلهم جميعاً قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . وما ورد في شأن إعلاء

درجاتهم في الإخلاص بحيث لو انفق واحد غيرهم مثل جبل أحد لا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه . وما ورد في شأن أصحاب بدر مما يدل على ارتفاع مستوى كرامتهم عند الله رب العالمين .

والبرهان القاطع على علو مقامهم أنه ثبت لكل عاقل منصف أنهم هم الذين سبقوا الأنام قبول الإسلام ، وأنهم أوذوا في سبيل الله ، وعذبوا انواع التعذيب . وحقروا بأنواع التحقير ولوموا بأنواع اللوم والتأنيب ومع ذلك قاموا واستقاموا على هدى من ربهم ، وهاجر بعض منهم الى الحبشة هجرتين ثم هجرة ثالثة الى المدينة المنورة ، وتركوا أموالهم ، وأوطانهم لإعزاز دين الله وإعلاء كلمته ، وهاجروا الى المدينة المنورة أخيراً وبقوا في غربة وكربة حتى أذن الله لهم في القتال . فاذوا الكفار ، وأوذوا منهم ، وقاتلوا ، وقتلوا حتى نشروا دين الإسلام في العالم ، وحفظوا ما نزل من الكتاب الكريم وعملوا به ، وأخذوا سنة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعملوا بها ، ولم يكن لهم هم إلا إعلاء كلمة الله وهذه الصفات الحميدة والأعمال المجيدة تهدينا الى الإيمان بأنهم من خير خلق الله بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولو كان لهم مستويات مختلفة .

وإن من اشرفهم الخلفاء الراشدين وأفضلهم هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — فقد كان أول من آمن برسول الله من الرجال ، والوحيد في ملازمة الرسول أيام المحنة الى الهجرة وبعدها ، وأنه أول من صاحبه في الاختفاء في الغار والخروج منه الى الغربة في الديار ، والهجرة الى خارج الوطن وأول من صرف جميع ماله في تجهيز الجيش للجهاد ، وأول من لازمه ووافقه في الليل والنهار ، وقد جعله الرسول — صلى الله عليه وسلم — محل ثقته وعينه إماما في مسجده في حياته واقتدى به وأمر بسد الأبواب الصغيرة المفضية الى المسجد النبوي إلا الباب المختص بأبي بكر ، ومن عينه إماما في حياته والإمامة أفضل رتبة في الإسلام ، فلا مجال لأحد

أن يخالفه فمن أنصف علم أن أبا بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ هو أول الخلفاء الراشدين ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ •

وبعد وفاته وقبل دفن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اجتمع الصحابة في السقيفة ، وبعد كلمات تكلموا بايعه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وتبعه الناس في البيعة ، ولم ينكر عليهم أحد من الأصحاب ، وسيدنا علي ابن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ لم ينكر خلافته ولا عارضه ، ولكنه توقف عن البيعة أياما لآلام قلبية وردت عليه من وفاته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن آلام قلب فاطمة الزهراء ــ رضي الله عنها ــ لمفاجأتها لتلك المصيبة الكبرى ، وبعد ذلك بايعه علي أيضا كسائر الصحابة ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ •

خلافة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ

ولما استخلف أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ خطب في المسلمين خطبة جامعة مانعة ، ونبه المسلمين على أن الأنبياء وغيرهم يموتون ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى وان العاقبة للمتقين •

ثم عزم على إرسال جيش أسامة بن زيد بن حارثة الى البلقاء ومؤته من أراضي فلسطين وحدود الشام ، وأشار بعض الصحابة بالتريث ، فأبى وأرسل جيش أسامة الى ما أراده الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذهب وجيشه وانتصر على الكفار وقتل قاتل أبيه زيد بن حارثة ، ورجع مع الغنيمة ، وتقوّى المسلمون بذلك ، ولكن كثيراً من العرب والقبائل ارتدوا ــ والعياذ بالله ــ وظهر نفاق المنافقين ، واضطربت الأمور ، ولكن لم يرتد أحد من قريش ، ومن قبيلة ثقيف • أما قريش فثبتهم الله تعالى بخطبة سهيل بن عمرو العامري ــ من أشراف قريش ــ حيث ألقى على أهل مكة خطبة كخطبة أبي بكر ــ رضي الله عنهما ــ في المدينة • وأما ثقيف فثبتهم الله تعالى بعثمان ابن أبي العاص الثقفي ــ رضي الله عنه ــ وكان كامل الإيمان ، والعرفان ، وثابتاً

حازماً • ولما ظهرت الردة وانتشرت واشتهرت ، عزم أبو بكر على قتالهم وقد أشار بعض الصحابة بالتريث ، ولكنه أبى ، وأقسم أنه يقاتلهم ولو كان وحده منفرداً •

وكان كلام المرتدين على أوجه مختلفة فمنهم من يقول : ذهب دور النبوة والإسلام بموت محمد ، ومنهم من يقول بقي مـن الإسلام ما عدا الزكاة • ومنهم من يقول لا سيطرة للإسلام إلا في المدينة فقط فعزم أبو بكر علـى قتالهم ، وأول واقعة كان على بعض المرتدين العازمين علـى احتلال المدينة ليرجعوا الى الجاهلية ، فتعجل جماعة من قبيلة عبس وذبيان ونزلوا بالأبرق • ونزل آخرون بذي القصة ، ومعهم قوم بني أسد وكنانة ، فقابلهم أبو بكـر وجعل على أنقاب المدينة علي بن أبي طالب ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم • فنصر الله جنود الإسلام وهزموا المرتدين • وكان المرتدون كثيرين في سائر الأقطار ، ولكن الله دحرهم ونصر الإسلام • وعند ذلك ظهرت دعوى مسيلمة الكذاب للرسالة ، واجتمع عنده خلق كثير ، فأرسل أبو بكـر جيشاً من عداد أربعة آلاف وفيهم خالد بن الوليد ، والوحشي ، وجمع مـن أبطال الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ فنصر الله الإسلام ، وقتل وحشي مسيلمة الكذاب ، وانتصر المسلمـون وبذلـك سكت المنافقون وخافوا خوفـا عظيماً من أبي بكر وعزمه وجزمه وجيشه وثباته وإقداماته • واستشهد في حرب مسيلمة الكذاب ، مـن الأنصـار والمهاجرين فوق ألف • وفيهـم حفاظ القرآن الكريم • وعلى مخافة استشهاد الذين كان لهم إلمام بحفظـه أشار عمر بن الخطاب بالسعي في جمع القرآن • فوافق سيدنا أبو بكـر ، وتكلموا مع الكاتب الأمين زيد بن ثابت ، فاتفقوا على جمعه بمعونة حضور الحفاظ وكتابته على أوراق من الجلود وفعلوا ذلك ، فصار القرآن الكريم مجموعـاً غير مفرق الكتابة في كتاب واحد الى جمعه مرة ثانية في عهد عثمان بن عفان ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ •

واستمر سيدنا أبو بكر في حرب أهل الردة من الأطراف بسرايا عديدة لاسيما برئاسة البطل الإسلامي سيف الله المسلول خالد بن الوليد ــ رضي الله عنهم ــ كما أرسل أيضاً خالداً الى العراق مع آلاف من الصحابة ؛ وأمر مثنى بن حارثة الشيباني أن يعاون خالداً فجاء هو وأربعة آلاف من المسلمين ، وسعوا في الاستيلاء على كثير من أطراف العراق •

وكان السادة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ وسائر أعيان الصحابة مستشارين له ومتعاونين معه في مهام أمور الخلافة بحيث لا مجال للشبهة في إخلاصهم له في الدين ، وبعد سنتين وعشرة أشهر من خلافته جاءه الأجل المحتوم ، وكتب في حياته كتاب استخلاف عمر بن الخطاب لما علم منه من الهيبة والمقدرة على تحمل أعباء الخلافة ، فقام بعده عمر بما يليق بالدين من تنظيم أمور الجهاد والإرشاد، ورد أهل البغي والعناد ، وتوسعة رقعة الإسلام ، فإنه في عصره فتحت العراق، والشام وفلسطين ، ومصر ، وبلاد العجم ، الى تخوم خراسان • وكانت على يده فتوحات عديدة بعدل ، وعزم ، وحزم ، وثبات على السيرة النبوية حتى أن وافته رتبة الشهادة على أيدي أبي لؤلؤة المجوسي •

ولما لم يكن له طاقة واسعة في الأمة من جرحه جعل أمر الخلافة شورى بين بقية العشرة المبشرة ، فاختاروا عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ ؛ وعثمان كهف الحياء والإيمان ، سعى سعي عمر وأبي بكر في دفع الأعداء وتوسيع دائرة الإسلام ، وإكمال الفتوحات في سائر الأطراف من الشرق والغرب ، والجنوب والشمال ، ووصل الجيش الإسلامي باب الأبواب (باكو) من حدود روسيا القيصرية ، وفي الجيش هناك حذيفة ابن اليمان أمين أسرار الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ووقع اختلاف بين شخصين منهم في قراءة شيء من القرآن ، كاد أن يستحيل الخلاف الى ما لا تحمد عواقبه فأسكتوا المتخالفين ، ومن ذلك رجع حذيفة الى المدينة المنورة وأشار

على عثمان ــ رضي الله عنه ــ بجمع القرآن على قراءة واحدة ؛ وكتابة واحدة حذراً من الاختلافات ، فشكل سيدنا عثمان لجنة ، وجعل علي بن أبي طالب رئيساً لهم ،، وجمعوا ما عند الناس من المصاحف كلاً أو بعضا وكتبوا على لغة قريش سبعة مصاحف ، وجعلوا ماعداها علــى الهامش ، وأمر بإحراق غيرها ، وتم ذلك بإجماعهم • واستمرت خلافته بأمــان وسلام الى أن جاء القضاء والقدر ، وثار بعض المفسدين على سيدنا عثمان بدعوى إرادة خلعــه من الخلافة ، وكان الأمر بحيث لم يتصور أحد سوء عاقبته، ؛ فثبت عثمان على ما كان عليه حتى أن اقتحموا داره ، وصار شهيدا على أيديهم ، وبعد ذلك بايع المسلمون سيدنا علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ بإجماع منهم •

إلا أن معاوية بن أبي سفيان تأخر عن البيعة بحجــة أنه يجب توقيف العابثين على عثمان ومحاكمتهم ،، ولكن اقتضى رأي علي بن أبي طالب على تأجيل ذلك الى وقت خوفاً من توسع الفتنة بين المسلمين ، وصارت الفتن كما سمعنا وآل الأمر الى جرح معاوية وعلي من جهة الخوارج ، واستشهد علي ونجا معاوية ، وبعد وفاة سيدنا علي بن أبي طالب بايع الناس الحسن المجتبى ، وصار خليفة الرسول على المسلمين ، وبعد مدة ستة أشهر من خلافته تفاهم معاوية معه على شروط بينهما فتنازل سيدنا الحسن عن الخلافة وسلمها إليه حفظا لدماء المسلمين وإصلاحاً بينهم وتحقيقا لما أخبر به ــ صلى الله عليــه وسلم ــ من قوله : إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين• وتمت الخلافة لمعاوية ــ رضي الله عنه،ــ وقد قال له ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إذا ملكت فاعدل وكان أمر الله قدراً مقدوراً •

ويجب علينا أن نكف عن ذكر الصحابة الكرام لأنه مادام كان الخلاف على ما ذكرنا من اختلاف الرأى والطرفان من أهل الاجتهاد فلا مجالّ لنا إلا الرضاء بقضاء الله تعالى وللمصيب وهو الإمام علي أجران وللمخطيء أجــر واحد • وقد قال تعالى : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) •

ومما يجب أن يعتقده المسلمون أن الخلفاء الراشدين هم أفضل الأمة ، وأن الفضل بينهم مرتب على ترتيب خلافتهم ؛ لأن الفضل إن كان مبنياً على الأجر عند الله تعالى فلا يعلمه إلا الله ، وإن كان مبنياً على الظاهر والمواقف الشريفة فقد كانت معلومة عند جمهور الصحابة ، ومشوا على مقتضى علمهم ــ رضي الله عنهم ــ • كما يجب أن يعتقد المسلم أن سيدنا علي بن أبي طالب كان راضياً بخلافة أولئك الخلفاء السابقين بدليل أنه كان وافر العلم ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أنا مدينة العلم ، وعلي بابها • ووافر الدين والشجاعة والغيرة ، والشهامة ، والأمانة على الأحكام ، فلو ورد نص على خلافته مباشرة بعد الرسول ما كان يسكت على ذلك الترتيب ، وبالأولى لم يكن معينا ومعاوناً للخلفاء بقدر إمكانه ، وقد عاون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان في مهمات أمور الخلافة ، وزوج ابنته السيدة أم كلثوم عمر بن الخطاب ، وكل ذلك دليل على ارتضائه بهم وبمناصبهم ونسبة التقية مع طول الزمان وأهمية النصوص لا يناسب مقامه ، ولم يثبت عنه في أيام خلافته كلمة لا تناسب مقام الخلفاء السابقين فرضي الله تعالى عنه وعن باقي الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين •

زوجاته وأهل بيته الطاهرات

قال الله تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) • لما اختار الله سبحانه وتعالى حبيبه المصطفى وبعثه رحمة للعالمين اختار له أصحاباً من خير أصحاب الرسل ، وأزواجاً من خيرة النساء ، والله يختص برحمته من يشاء ، فاختار له قبل الرسالة كإرهاص بالنسبة الى مقامه خديجة بنت خويلد الأسدي المعروفة بالعفة والشهامة ، والمختصة بالعقل الناضج والإدراك الثاقب ، والثروة الوافرة لتعينه في حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالعقل والعفة ، وصرف المال ، ومراعاة الأولاد والأطفال ، وتقويم ما يحتاج إليه الرجال • فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهي بنت أربعين ،

والمتفق عليه أن عدد زوجاته كان إحدى عشرة ، والسر في ذلك الكثرة أمور كثيرة :

الاول المهم : نشر تعليمات الإسلام من قبل النساء بين النساء حيث لا يمكن عادة للنساء أخذ أحكامهن من الرجال غير المحارم إلا برعاية أدب كامل في الدين •

الثاني : توسيع دائرة المصاهرة المفيدة للتعاون بين الأصهار على ماهو المعتاد بين الأشراف •

الثالث : تشريع جواز الزواج من زوجة الرجل المتبنى ، أي من لم يكن إبنا وصار في العادة من الأبناء •

الرابع : حاجة بعض الأرامل الى المؤنة والنفقة ممن مات أزواجهن ولهم مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ علاقة الرضاع أو الصداقة الزائدة • علاوة على ما ذكرنا فالمبيح الواقعي هو تشريع الباري سبحانه وتعالى ما يشرعه لعباده من الأحكام كما يعلم كل من له علم بأحكام الرسل السابقين ــ عليه الصلاة والسلام ــ من الاحكام المختلفة ، وقد كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مختصاً بواجبات علية خاصة كصلاة التهجد ، وأداء ديون المعسرين قبل دفنهم ، ووجوب المضي في أمر الجهاد بعد لبس لأمة الحرب ، فلا مجال لأي خيال أو مقال في مقابلة تشريعات الباري المتعال ، ومن أنصف عرف أن في وجود تلك الأزواج حكماً كثيرة علاوة على ما قلنا آنفا •

فالأولى منهن : خديجة كما ذكرنا ، وقد توفيت قبل ثلاث سنوات من الهجرة •

الثانية : سودة بنت زمعة تزوجها ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد وفاة خديجة لرعاية الأطفال ، وقد أسلمت قديما بعد إسلام خديجة ــ رضي الله عنها ــ وبقيت مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى أن توفيت في المدينة

المنورة في عام خمس وأربعين من الهجرة ، ودفنت في البقيع ــ رضي الله عنها ــ .

الثالثة : أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنهما ــ تزوجها في شهر شوال بمكة بعد وفاة خديجة ولها ست سنين ، وأعرس بها في المدينة المنورة في شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وعمرها تسع سنين ، وكانت أعلم أزواجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأحكام الإسلام واكثرهن في الرواية وأحبهن إليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومات عنها ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولها ثماني عشرة سنة ، ولم يتزوج ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكراً غيرها ؛ وماتت بالمدينة لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وعمرها ست وستون ودفنت بالبقيع ــ رضي الله عنها ــ ولم تلد وتكنى بأم عبد الله على اسم عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء ذات النطاقين .

الرابعة : حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها بالمدينة وهي أرملة في السنة الثالثة من الهجرة ؛ وكانت صوامة قوامة ، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين ماتت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة ، ودفنت بالبقيع ــ رضي الله عنها ــ .

الخامسة : أم سلمة بنت أبي أمية واسمها هند ، وكانت قبل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ زوجة أبي سلمة عبد الأسد ، وكانت هي وزوجها أول من هاجرا من مكة الى الحبشة ، وهي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ؛ ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة وتزوجها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وعمرها أربع وثمانون سنة.

السادسة : أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان ــ رضي الله عنهما ــ واسمها رملة ، وهاجرت مع زوجها الى الحبشة ، وتوفي عنها هناك فبعث رسول الله عمرو بن أمية الى النجاشي ليخطبها عليه فزوجها إياه ، وأصدقها أربعمائة دينار من ماله ، فوصلت الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وماتت بالمدينة سنة أربع واربعين .

السابعة : زينب بنت جحش ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب زوجها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من زيد بن حارثة ، وكان يدعى ابن محمد ، فبقيت عند زيد مــدة ثم طلقها ، فلما انقضت عدتها منه نزلت الآية الكريمة (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) • وكان ذلك سنة خمس من الهجرة ، وحاصل ذلك أن الله تعالى أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يزوج زينب من زيد ، وبعد تطليقه لها يتزوجها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لتشريع حل نكــاح زوجة الولد المتبنى ، لأنه أجنبي وليس ابنا حقيقة • وقالت عائشة في شأنها : لم تكن واحدة منا خيراً منها في الدين وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، واعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به ، ويقرب الى الله رواه مسلم • وهي أول من مات من أزواجه بعده ــ صلى الله عليه وسلم ــ ماتت بالمدينة سنة عشرين ولها ثلاث وخمسون سنة صلى عليها عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ •

الثامنة : زينب بنت خزيمة الهلالية ــ رضي الله عنها ــ كانت زوجة عبد الله بن جحش ، فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم تلبث الا شهرين او ثلاثاً ، وتوفيت في حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ودفنت بالبقيع ــ رضي الله عنها ــ •

التاسعة : ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ــ رضي الله عنها ــ فقد كانت قبل عند ابي رهم بن عبد العزى ، تزوجها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما كان معتمراً سنةسبع بعد غزوة خيبر جعلتأمرها الى العباس فأنكحها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو محرم ، فلما رجع بنى بها بسرف حلالاً ، وسرف اسم مكان على عشرة أميال من مكة ، ثم توفيت بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله سنة إحدى وخمسين وصلى عليها ابن عباس ، ودخل قبرها ــ رضي الله عنها ــ •

العاشرة : أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ، كانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى ، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس الأنصاري في غزوة المريسيع (وهي غزوة بني المصطلق) في سنة خمس وقيل ست فكاتبته على نفسها ، ثم جاءت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت : يا رسول الله أنا جويرية وكان من أمري ما لا يخفى عليك ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ابن شماس ، وأني كاتبت نفسي فجئت أسألك في كتابتي ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : فهل لك الى ما هو خير ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أودي عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : قد فعلت . فتسامع الناس قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي ، فأعتقوهم وقالوا : أصهار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قالت عائشة : فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها ، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، وكانت ابنة عشرين سنة ، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة . سنة خمس وخمسين .

الحادية عشرة : أم المؤمنين صفية بنت حيي ، فهي من سبط هارون بن عمران — عليه السلام — كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق قتل يوم خيبر . قال أنس : لما افتتح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال : يا رسول الله أعطني جارية ، فقال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حيي . فجاء رجل الى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ؟ ما تصلح إلا لك . قال : أدعوه بها . فلما نظر إليها النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : خذ جاريةغيرها من السبي ، وأعتقها حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم ، فأهدتها له من الليل ، فأصبح — عليه الصلاة والسلام — عروساً ، فقال : من كان عنده شيء فليجيء به . وبسط نطعا ، فجعل الرجل يجيء بالأقط ، وجعل الرجل يجيء بالتمر ، فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية ، ودفنت بالبقيع •

فهؤلاء أزواجه اللائي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر • وهذه الأمهات ست منهن عربيات من قريش وهن خديجة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وسودة • وأربع منهن عربيات من غير قريش وهن زينب بنت جحش من بني أسد ، وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ؛ وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير • وهذه النساء الطاهرات المطهرات اختارهن الله من بين النساء لصحبة الرسول الكريم حبيبه المختار من صفوة الأنام فيجب على المؤمن أن يعتقد أنهن خير نساء العالم وأن الله تعالى كما اختار حبيبه لأعباء الرسالة واختار أمته وانقذهم من الضلالة ، واختار من صفوة العباد اصحابه للجهاد في سبيل الله واشترى منهم أموالهم وأنفسهم بثمن رضوانه ، ولقائهم في الجنة ، كذلك اختار أزواجه لأن ينورن بيته الكريم بنور الحكمة وآيات القرآن وتعليم الناس أحكام الدين اعتقاداً وعملا ، وقد نصحهن الله تعالى في آيات عديدة وأعلن انه تعالى يريد أن يذهب عنهم الرجس اعتقاداً وعملا وأخلاقاً ، ومن اعتقد غير ذلك فقد خرج من المنهج ، وابتغى غير سبيل المؤمنين ، وأن من خالف براءة الأمهات لاسيما الحميراء ، وانحرف عن اعتقاد آيات الثمانية عشر أول سورة النور ، فماله في الإسلام من نور • لأن الانحراف عنها انحراف عن سماع شهادة الله ، وسمع قول الزور • واعتقدوا أنهن أمهاتنا في الكرامة ، وأن من خدم أهل البيت فقد أشعل المصباح من زيت الحكمة ، وأوصل نفسه الى نور الرحمة ــ رضي الله تعالى عنهن وعن باقي الأصحاب من المؤمنين والمؤمنات ــ آمين •

وأن المراد بأهل البيت في قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، لتصدير الآيات بقوله

تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) والتفكيك في الإرادة بين صدر الخطاب وآخره لا يناسب بلاغة القرآن ، والإتيان بضمير جمع الرجال لوجود الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والحسنين في البيت غالباً ، وعند نزول الآية ، لآل الرسول ، والدليل على هذا عند المحققين هو أن آل الرسول من بضعة الرسول ، ــ صلى الله عليه وسلم ــ وليس فيها رجس حتى يذهبه الله تعالى ، وأما الأمهات فلم يكن من تلك البضعة ، فيجوز أن يكون فيهن رجس من سوء الطبيعة وما يقرب ذلك وذلك دليل جليل .

وأما جواريه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهن اربع :

الأولى : مارية القبطية أم ابنه إبراهيم ابن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أهداها له المقوقس صاحب الأسكندرية ، وماتت في خلافة عمر ــ رضي الله عنهما ــ في سنة ست عشرة ، ودفنت في البقيع .

الثانية : ريحانة القرظية ، وماتت قبل وفاته ــ صلى الله عليه وسلم ــ سنة عشر ودفنت في البقيع .

الثالثة : جارية وهبتها له زينب بنت جحش ــ رضي الله عنهما ــ .

الرابعة : جارية أصابها في بعض السبي .

ومما يجب أن يعلم أن الجواري مما ملكتها الأيمان لم يكن مختصة بعهد رسالة الرسول . ولا بزمان حياته ، بل كانت دائرة منذ فجر التاريخ . وقد كان الناس متعودين على أنهم إذا حارب قوم منهم قوماً واستولوا عليهم ، استرقوا رجالهم ، ونساءهم ، وذراريهم ، ويعاملونهم معاملة الملاك لأملاكهم ، يتصرفون فيهم كما أرادوا ، وحدث ما حدث من الأمور المخالفة لاحترام الإنسان ، واستمرت تلك العادة ، وبقيت في زمن بني إسرائيل ومحاربتهم مع العمالقة ، كما أنه دارت بين كل قوتين متحاربتين الى عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ . ولما جاء عهده وغزواته مع الكفار ما كان سهلاً على الإسلام الغاء أصول الجواري وإخراج ما ملكته الأيمان أي قوة الغلبة

والحرب ، ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرع في حق الحربيين إكرام الاناس منهم ، فقال : إخوانكم ، خولكم جعلهم الله تحت أيديكم اطعموهم مما تطعمون ، واكسوهم مما تكسون ، ولا تكلفوهم مالا يطيقون وإذا كلفتموهم فأعينوهم . وقرر القصاص في جروحهم ، وقال : من جدع جدعناه ، ومن قطع قطعناه . وشرع زهاء ست وثلاثين مادة لإعتاقهم ، وإطلاق سراحهم بالعتق في كفارة اليمين ، وفي وقاع رمضان للصائم ، وفي الظهار ، وفي قتل الخطأ ، وفي وجوب عتق نصيب المسلم الموسر إذا عتق شريكه نصيبه ، وفي أم الولد ، وفي التدابر ، أي تعليق العتق بما بعد الموت للمالك ، وشرع سهما من الصدقات للمكاتبين الى غير ذلك مما يطول بيانه . وقد افردت بالتاليف ، ثم إن ما ملكته اليمين (أي قوة الدولة الإسلامية) كان لها مبرر عند الانسان المؤمن بالله وبرسوله من جهتين :

الأولى : إن الكفار إذا غلبوا المسلمين فقيدوهم بدون رعاية انصاف ، ورعاية حقوق الانسان ، فإذا غلب عليهم المسلمون أفلا يجوز لهم استملاكهم مع رعاية حقوق الانسان واحترامه .

الجهة الثانية : إن الإنسان مؤمن بأن الله حق ، والرسالة حق ، والشريعة سائدة وحاكمة على العباد فكيف لا يجوز ذلك الاستملاك حتى يثبت التوحيد ، ويظهر الحق في العالم ، ويعمل به الناس ؟ وإذا قررنا أن الدين حق ، والغنائم مباحة ، كيف لا يكون حكم الله بالتملك نافذا ؟ فهل يكون حكم الله أقل نفاذا من حق انسان ضعيف عقلاً وعلما حتى تجوز احكام العباد ونهمل حكم الله تعالى في الغنائم ؟ سبحان الله ما أجهل الناس إذا خرجوا من حكم الله ورفضوه وقبلوا حكم الإنسان ، ورفضوا ما عداه .

ومما يجب أن يعلم أيضا أن ما ملكت أيماننا من المشركات لا يجوز وطؤهن حتى يسلمن . وأما الكتابيات فيجوز وطؤهن في ما عدا وقت الحيض والنفاس والحمل . وإذا اختار مالك تزويج جاريته من غيره فهو كالولي يحتاج الى العقد والإيجاب والقبول .

أمته خير أمة

وتلك أمته لكن صحابته
والأهل والآل أولي الخلق في الشيم
وجاء من بعدهم التابعون وهم
أهل الهدى والوفا والعلم والذمم
من أولياء أولي الأنوار والرشد
وفاضت أنوارهم للناس كالديم
ومن أئمة أهل العلم والأدب
أهل اجتهاد لأخذ الحكم بالحكم
لأنهم أمة الهادي وفرقته
وأمة الخير، خير الناس في الأمم
وانه بحر فيض النور للابد
يرمي بامواج انوار الى الامم
من الحضور ومن أنس بخالقهم
ومن مخافة قهر أو رجا كرم
إن الرسول سراج لامع ابدا
ليلاً نهاراً يؤدي النور للأمم
وصحبه استمروا في اقتباس هدى
من منبع للهدى من معدن الحكم
والناس ليس سواء في المراتب، بل
لكل فردٍ نصيب خط بالقلم
والحظ الأوفى نراه كان للخلفا
آثارهم شهدت بالعلم والعلم
والاجتهاد بقى للتابعين ومن
يلي لهم من أولي الأفكار والهمم

وتابعي التابعين أهل منقبة
أئمة سادة خلت عن السقم

أبو حنيفة شيخ التابعين يلي
من بعده مالك بالعلم والقلم

فالشافعي يليه أحمد وعلا
كخادم السنة المرصوصة القدم

وفقهم ربهم لجمع مذهبهم
على أصول لهم مقبولة الرحم

وبعدهم علماء من أولي شرف
لدين الإسلام كانوا اخدم الخدم

في رتبة دون من عاشوا على سبق
سعوا وكل له نهج على حكم

من تابعي من مضى في ضوء معرفة
واختيار لمن شاؤا بلا نقم

عاشوا وكانوا أشقاء بلا كدر
داموا على نشرهم من دونما سقم

وهكذا قد توالت أمة الرشد
امة خير الورى في العرب والعجم

فخذ لك النهج أيا ما تشاء، وقل
يارب زدني من العلم ومن حكم

ولا تكن سامعاً أقوال منتهج
لهواً وسوءً مع الأعلام وافتهم

إن الخلاف في الاستنباط مرحمة
ووسعة للبرايا من أولي الذمم

فإنــه قــد أتــى طبــق الأصــول التــي
راعــوا مــن اللغــة والشــرع والحكــم
وكــل ذلــك مــن فضــل الرســول علــى
افضــال مــولاه في الجــود وذي الكــرم
والحمــد للــه حمــداً دائمــاً ابــداً
ثــم الصــلاة علــى المختــار في القــدم
ولايــة تبعــث مــن نــور ايمانهــم
مــع التقــى ودوام العهــد والذمــم
مــع الحضــور لــرب العالمــين علــى
مراتــب قــد خصــت بميــزة الحكــم
آياتهــا واضحــات عنــد أهــل هــدى
فاقــرأ وقــل يا إلهــي هــب مــن الكرم
وأهــل علــم عــلا فــي الدهــر آيتــه
هــل يستــوي حجــة كفــت لمفتهــم
واللــه اشهدهــم مــع الملائكــة
شهــادة الوحــدة لا سائــر الأمــم
وحصــر خشيتــه فــي العالمــين كفــى
وراثــة الأنبيــاء لهــم بــلا نقــم
ومنهــم الفقــه للاحكــام قاطبــة
ومنهــم النشــر والتبليــغ للأمــم
والاجتهــاد جهــاد فــي طريــق هــدى
مــداره كدمــاء الصــدر فــي القيــم
فإن أصابــوا لهــم أجــران دون مــرا
أو اخطــأوا فلهــم أجــر علــى ألــم

اجماعهم حجة في الدين كافية
ورفضه الكفر او من بدعة النقم
وطوع افرادهم آداب مذهبنا
حجتها فاسألوا من دون ما نقم
نص الكتاب ونص سنة ثبتت
أمر أولي الأمر حسب الحق فافتهم
اليوم اكملت فيه حجة لمعت
للعالمين كأنوار على علم
وما سواها تكون بدعة وهوى
ومن مشى بالهوى مشى على سقم
وكل ذلك من فضل الإله على
محمد سيد للعرب والعجم
صلى عليه الإله دائما أبدا
كذا على الآل والأصحاب بالكرم
وسره أن دين الله للأبد
مستوجب اجتهادا جاء بالحكم
والدين مع اجتهادٍ ثم مشورة
صاف عن الخطأ الآتي من النقم
وكان ذلك في عهد الرسول وفي
عهد الصحابة والاتباع فافتهم
والناس كانوا على نورين في قرن
نور لروح ونور العلم والحكم
من صبحه زمرة نالت علا ادبا
من كل باب بقدر جاء في القسم

وزمـرة نـال بالعلـم الغزيـر علـى
قـوة الادراك والإيمـان بالحكـم
اي منهم العـارف الراعـي لحضرتـه
حـق الحضـور بربـط القلـب والقـدم
والفكـر والذكـر والجهـد الكثيـر وفي
ما ناسـب العبـد حسـب الحـال والهمم
ومنهـم العالـم الراعـي لرغبتـه
فـي العلـم بالنـص والتبليـغ للأمـم
فجـاء سلسلتـان مـن ذوي الشـرف
قـد أدتـا واجـب الانسـان فـي الحرم
بـدون أي عـداء بـيـن ذاك وذا
بـل بالوفـاق والاستمـرار فـي الكلـم
وجـاء دور التابعيـن فـي مجاهـدة
وفـي مصابـرة فـي الحكـم والحكـم

الاولـى :.

وهذه فوائد للامة المعاصرة :

ان للرسـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقاماً وجاهاً عظيماً عند الله تعالى أفدتها بالنداء الآتي :

يا صاحـب الجـاه جـاه لا حـدود لـه
يا خيـر كـل الأنـام العـرب والعجـم
بعثـت مرحمـة للعالميـن لمـن
نشـأ علـى ثقـة الإيمـان والكـرم
تفسيـر آيـة بعـث قـد أتيت بـه
إنـي أنـا الرحمـة المهـداة للأمـم
الجـاه وجـه وعـز واحترامكمـوا
أي احترامـك عنـد اللـه ذي الحكـم

عسى بنسبة رمي مثل إنّ وأنّ
تفيد تحقيق ما يأتي من الكلم

فالله يبعثكم يوم القيام على
مقام محمودكم بالعز والهمم

أنت الذي حينما قد كنت بينهموا
ما عذب الله قوما كان ذا سقم

أنت الرسول بحق شاهدا لذوي
خير ورشد بقوا في منهج الكرم

أنت البشير لأهل الخير في العمل
أنت النذير لأهل الكفر والنقم

بشرح صدر ورفع الذكر ، ذكركم
وبالعطا والرضا منكم على نغم

نجاة أهل الكتاب باتباعك إذ
أنت الذي قد ختمت البعث بالحكم

الثانية : انه يصح التوسل بالرسول الى الله.

إن الوسيلة قرب الواصلين له
بأي أمر سليم جاء بالقيم

أنت الذي كنت في موج من الكرم
وصاحب القرب أهل القدر والقيم

إن الوسيلة معناها على اللغة
القرب من أي أمر كان في الهمم

وتلك في الآية قرب العباد لمن
قد من بالخلق والإحسان والكرم

وذاك شـيء لـه الأسـباب دون مـرا
من كـل شـيء سليم جـاء فـي النسم
مـن مثـل الإيمـان باللـه وبالرسـل
والعمـل الصالـح والجـود والكـرم
كـذاك حـب الرسـول صـاحب الشـرف
أو الصـلاة عليـه مـن أولـي الهمـم
كـذا رجـاء الدعـاء أو شفاعتـه
يـوم الأسـى والجفـا والحـادث العمم
وربـط ذلـك بالجـاه العظيـم لـه
جـاه جـلا ظاهـراً لعقـل مفتهـم
كـأن تقـول بحـق المصطفـى العربـي
أهـل الهـدى والنـدى في الحـل والحرم
كمـا دعـا جمـع اصحـاب الرقيـم بحـق
اعمالهـم عندمـا سـاؤا مـن الغمـم
قـال الرسـول بحقـي والذيـن مضـوا
دعـا لفاطمـة بالعفـو والكـرم
ونحـن نرجـو من اللـه الكريـم لنـا
عفـوا ومغفـرة عـن موجـب النـدم
نرجـو النجـاة مـن الهلكـات اذ وردت
نرجـو النجـاة مـن الأمـراض والسقـم
بحقـه وبحـق الأنبيـاء ومـن
أطـاع ربـه بالاخـلاص والعـزم
وكـل ذلـك اسبـاب لمقربـة
مـن ربنـا منبـع الإحسـان والكـرم

ومن نهى دون نهي جاء عنه فقد
مشى مشية العشواء في الظلم
كذاك نرجو لنا التوفيق للعمل
حتى نقوم بخير خدمة الأمم
وصحة القلب مع صون كرامتنا
ومنحة الحس في اوقات مختتم
أنت الشفيع بنص سنة ثبتت
أقول يا سيدي أشفع على ندمي
من الذنوب ومما قد عصيت به
من كل ذنب كبير أو من اللمم
أرشدت الأعمى إلى ان يطلب البصرا
بحقك المرتجى من وافر الكرم
دعوت ربك غفرانا لأم علي
بحقكم وحقوق الرسل في القدم
ما دام أنت الرسول عين بحر صفا
وإنك الرحمة المهداة للأمم
نرجو شفاعتكم يوم القيامة إذ
يحتاج كل الأنام الدفع للألم
يا صاحب الجاه يا مولى الأنام ويا
شفيع يوم الجزا لكافة الأمم
من كان صاحبكم بنور الإيمان قد
نال العلا والحلا بالقدر والقيم
ونحن نحنو إليكم في الغياب وما
لنا مجال سوى التوجيه بالهمم

الثالثة : السعي في زيارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

إن الزيارة عن حب وعن شغف
ديارة الروضة العليا على القدم
إن الزيارة مع حب وميمنة
لبقعة أنت فيها صاحب الكرم
لها جزاء وفاق مع ارادتنا
من ضعف أو قوة للعزم والهمم
فإن من زاركم قد صار من جاركم
والجار بالجنب أهل الجود والكرم
وأنت رغبتنا على الزيارة في
عنده الأخبار من مستحسن الكلم
فقد أتى نحو عشرين حديثاً بها
يؤيد البعض بعضا في هدى الأمم
إذ كلها كان يهدينا إلى منهج
للزائرين رجال القدر والقيم
من زاركم وجبت له شفاعتكم
طوبى لمن زاركم بالقلب والقدم
طوبى لمن زار حبا روضة العدن
حتى ينال الصفا من روضة الكرم
أوصلني ربي مقاما قد علا شرفا
على رياض جنان الخلد والنعم

الرابعة : الجهد في الصلوات على الرسول

يا إخوتي يا رجال الفضل والأدب
يا أخواتي نساء القدر والحشم

من عاقه عائق عن روضة الشرف
بشخصه فليزر بالقلب والهمم
وهذه سهلية بالصلوات له
مع السلام بحب القلب فاغتنم
أفاد ذلك بعض العارفين به
مجرب خالص عن كدرة التهم
فالصلوات صفاء القلب عن كدر
فيه كذاك نجاة القلب عن سقم
وأجرها زاد عن حسبان حاسبة
وأمرها راجع لله ذي الكرم
دليلنا أمر رب العالمين بها
مع السلام بترغيب لمغتنم
وأمره مطلق خال عن العدد
والسر والجهر يكفي ذا لمفتهم
ورغب المصطفى بها بلا عدد
لاسيما الجمعات منبع الكرم
وعند ذكر الرسول المصطفى فلنا
اجر مزيد عليها فبادر وافتهم
وبعد كل اذان جاء أمر بها
من الرسول مع الدعاء في كلم
وكلها مطلق خال عن العدد
والسر والجهر علو الصوت بالنغم
تعمم إذا ورد النهي عن المطلق
في بعض الأحوال نقبله كمغتنم

لاسيما اجمع الناس عليها لدن
عهد الصلاح بإصلاح لمزدحم
وفي الفتاوى لأهل مصر ثابتة
كسنة قد علت قدرا لدى الأمم
وما تلوت عليكم حق شرعته
صلى عليك بقدر القطر من ديم

الفائدة الخامسة

اجتهدوا أيها الإخوان عن كثب
في فهم تنزيله ذا منبع الحكم
تجويده واجب وحفظه سنة
وفهم أحكامه بحر من الكرم
من كان حافظه فالله يحفظه
عن شر دنيا من الأسباب للنقم
تعلموا لهجة تفيدكم رجة
من رحمة الرب ذي الإحسان والكرم
أحسن بلهجة منشاوي فإن لها
نورا منيراً يزيد القلب في الهمم
كذاك لهجة عبد الباسط فلها
بسط للأرواح في الإلقاء للكلم
وعندنا الحافظ الخليل إن له
يدا علينا بصوت رافع الغمم
ان القلوب لها ادواء غفلتها
دواؤها نور قرآن لمغتنم

تلاوة المرء للقرآن كافية
لدفع كل بلاء جاء بالنقم
مع الصلاة على المختار مختبر
فيها دواء لقلب حار في السقم
دلائل الخير صلاة على المصطفى
فيها الصفا والوفا بواجب النعم
صلاحنا أيها الإخوان عودتنا
لمنهج الدين يا طوبى لمفتهم

الفائدة السادسة

ولازموا منهج التعليم للسلف
فإنه فرضنا طوبى لملتزم
علم القراءة والتجويد ضابطه
صرف ونحو وفقه فرض مفتهم
عقيدة ، سيرة ، بلاغة ؛ وجبت
علم الحديث وتفسير لمغتنم
أصول فقه ودين منطق ثقة
آداب بحث لأهل العقل فافتهم
وحكمة مخزن الخير الكثير لنا
في عمل العامل ونظر العالم
فإنها فرضت لفهم دين النبي
محمد خاتم الرسل أولي الكرم
في درجات ثلاث دون منقصة
كفاية فرضها عين لمحترم

علوم دين لنا قد اسست بالهدى
للعلم بالدين حق العلم فافتهم
كتاب ربي أتى به نبي الهدى
وبلغ الكل من حرفه ومن كلم
مبيناً ما أراد الله منه وقد
بينه المصطفى للصحب فافتهم
فلم يكن حاجة لذكر مصطلح
من خاص أو عام أو سواه من كلم
بل لم يكونوا على استعداد لإدراكه
فإنه الفن والتدقيق للعالم
وجاء تأسيس علم النحو من حيدر
خوف اغتلاط لخلط العرب بالعجم
وجاء تدوين سنة بأمر عمر
ولد عبد العزيز الأموي العالم
وجاء علم أصول الدين عن حسن
كذا التصوف فادر الأمر وافتهم
ودون الفقهاء مذهبنا خصهم
حسب الكتاب وحسب السنة الأقوم
وجاءنا بأصول فقهه الشافعي
رسالة ارتضاها الدين بالحكم
نعمان فالمالك والشافعي أتوا
وأحمد بن بلال صاحب القيم
اتباعهم نشروا فقه المذاهب في
انحاء عالمنا بالجود والكرم

وجـاء علـم العـروض والقوافـي لـدى
خليـل الخالـص عـن كـل ما تهـم
وظهـر المنطـق المقـرون بالحكمـة
فـي عهـد مأمـون هـارون أبـي الكـرم
وظهـر الصـرف مـن أولـي الطيـاق لمـن
قـد فصلـوا النحـو مثـل سيبويه السمي
ودونـوا علـم انحـاء القـراءات إذ
مضـت لهـم مائتـان هجـرة فاعلـم
والأشعـري السـدي والماتريـدي قـد
جـاءا بنصـرة ديـن الحـق والحكـم
ورزق أهـل العلـوم مطلقـا قاضيـاً
مدرسـاً مفتيـا فـي الديـن للامـم
أو طالبـاً أو إمامـا او خطيبـا لنـا
سهـم المصالـح خمـس الخمـس فاقتهم
اذ عالـم الديـن محتـاج لهـم كلهـم
وعيشـهم لازم مـن واجـب النسـم
مـن الغنائـم أو فـيء لنـا حاصـلا
قسـمة للـه والرسـول فاغتنـم
وليـس مـن وقـف خاص للأجانـب او
وقـف لعـام فيستولـي علـى تهم
ليسـوا علـى حاجـة الى تبـرع مـن
يمـن مـن صاعـه كالكيـس مـن درهـم
نعـم إذا جـاءه التوفيـق فليكتـف
بلقمـة دون عيـش السـوء كالنهـم

وحسبنا لقمة تقيم صلبا لنا
ان لنا أسوة في السلف السالم

الفائدة السابعة

يا إخوتي لازموا التقوى وأصحابه
من صادقين أولي فضل ذوي كرم
فإن مجلسهم نور لخاطركم
وانسهم جالب للفيض والنعم
العلم في المدرسة ، والعقل في المأنسة
والأنس بالصالح من أفضل النعم
ولا تكونوا مع الغفال في لعب
ولا تموتوا مع الجهال من أمم
إن الرفيق من التوفيق اذ صلحا
نعم الرفيق إذا قد كان ذا همم
لم يلق حظا سوى من صاحب الأمنا
نعم الأمين لنا في الحل والحرم
وزورة المصطفى حياة أرواحنا
طوبى لمن زاره مشيا على قدم
يا سيدي سندي يا قوة الكبد
أغني بالمدد والجود والكرم
رداً على من طغى في نشر نهج الهوى
ولعبا بكتاب الله بالنقم
بظاهر النص من كتاب أو سنة
وحكم الاجماع اذ مضى على قدم
بحيث لم يبق للمنصف من شبهة
في دينه من هوى لصاحبي السقم

وجاء علم البلاغة التي وجبت
لفهم أسرار نص الدين فافتهم
بحيث يبدو بها الإعجاز في نصه
واذعن العقل للأسرار والحكم
وقد أتى زمرة مختارة بالتقى
بجمع ما صح من سنته فاعلم
مثل البخاري ومسلم والترمذي
أحسن بهم قادة في خدمة العلم
وفسر العالم الممتاز تنزيله
بمورد النص والأحكام والحكم
توسع الناس في التأليف للخدمة
حسب حاجة أهل القطر من أمم
جزاهم الله عنا حسب رحمته
بكل ما يستحقون من الكرم
إذ كلها واجب مجرب قاطع
والمنكر المانع في الجهل والسقم
وليس في دين الإسلام مجال هوى
ولا تعصب إلا من ذوي النقم
فالأمة واحدة وربنا واحد
رسولنا واحد ذو الجود والكرم
محمد الأرض محمود لدى ملك
وشافع الكل يوم الهول والندم
تكفي لنا آية الحجرات مستنداً
والامتياز على التقوى لمعتصم

فاعتصموا بكتاب الله حجتنا
وسنة السيد المختار في القدم
والتزموا منهج السلف ان لهم
من ربهم ميزة في الحكم والحكم
خذوا وصيتنا وهي نصيحتنا
وخدمة للرفاق من أولي الهمم
والحمد لله حمداً دائماً أبداً
حمداً يوافي جميع الغيض للنعم
ثم الصلاة على الهادي وأمته
من أمة الأمر بالمعروف والحكم
والنهي عن منكر بالسيف والقلم
أو باللسان أو القلب لمعتصم
واجعل بقانا على التقوى وصحبتنا
مع الكرامة والحسن لمختتمي

آل الشخص لغة : نسله ورهطه الأقربون وعرفا : من نسل الجد الثالث، فيعم بهذا المعنى أولاد هاشم ، ومطلب ، ونوفل ، وعبد شمس فإنهم أولاد عبد المناف ؛ ولكنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ خص آله ببني هاشم وعبد المطلب عند تحريم الصدقات عليهم ، وجعل حصتهم من الغنائم حيث قسم سهم ذوي القربى من خمس الخمس بينهم تاركاً غيرهم من بني عميهم نوفل . وعبد شمس مع سؤالهم له ، رواه البخاري • وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ؛ رواه مسلم • وقال : لا أحل لكم أهل البيت من هذه الصدقات شيئاً . ولا غسالة الأيدي ، إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم أو يغنيكم • رواه الطبراني في معجمه الكبير ، كما صرح به الجلال في شرح جمع الجوامع •

ويستفاد من الحديث الثاني أنه كما تحرم الصدقات على آله ؛ تحرم على أهل بيته أيضا ؛ بما يشمله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبين الآل ؛ وأهل البيت عموم وخصوص ، ومادة اجتماعهما سيدنا علي وفاطمة الزهراء وابناهما الحسن والحسين ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ •

ومادة افتراق الآل غيرهم من مؤمني هاشم ومطلب ، ومادة افتراق أهل البيت أمهات المؤمنين ؛ وللكل الشرف بسبب العلاقة به ــ صلى الله عليه وسلم ــ على اختلاف درجاتهم • وللآل معنىً ثان أعم من الأول وهو : كل أهل التقوى من أمته ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

ومعنى ثالث أعم منهما وهو : جميع أهل الإجابة والإيمان به ــ صلى الله عليه وسلم ــ • ثم أهــل البيت كانوا عــددا محدديــن ، وأمــا الآل

فينتدون الى آخر الدنيا ، ولكل منهم شرف واحترام بانتسابهم إليه — صلى الله عليه وسلم — وإن كان للصالحين مزيد ومرتبة عالية بحسب احتسابهم واتباعهم له — صلى الله عليه وسلم — وبالخاصة للأولياء الكرام ، والأقطاب من أولاد الحسنين الممتد سلسلتهم الذهبية الى يوم القيامة • فعلى كل مؤمن ومؤمنة بالله وبرسوله احترامهم وتشريفهم من حيث الانتساب ، فإن الذهب ذهب والحديد حديد ، ولا منافاة بين ما قلنا وما تقرر في شريعة سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — في وجوب العمل بالآداب والأركان ، وورود المعاتبات الدينية على من خالفها منهم ، فإن الشريعة الإسلامية ومراعاتها هامة • وقد قال تعالى خطاباً له — صلى الله عليه وسلم — : (وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) •

ثم ذكر المحققون من علماء الإسلام الأشراف الانتساب الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان يعم جميع أولاد بناته — صلى الله عليه وسلم — لكن لم يبق لهن ذرية بقضاء الله ، ولو كانوا باقين لكان لذرية فاطمة الزهراء امتياز عنهم لاختصاصها بفضائل عديدة ومزايا مهمة من اختصاصها بصحبة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ومزيد اعتنائه بها ، وزواجها من علي بن أبي طالب حبيبه وخاصته — صلى الله عليه وسلم — ولدوام اشتغالها بالطاعات — رضي الله عنها وعنهن — آمين •

وقد تقرر عندكم مما ذكرنا أن أمة الحبيب سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — خير أمة أخرجت للناس ، وان الصحابة الكرام ، وأهل بيته الطاهرات وآله الموجودين في صحبته أسبق طبقة من الأمة في الخيرية ، ويليهم التابعون الذين رأوا أصحابه — صلى الله عليه وسلم — ويليهم تابعو التابعين الشاملين للأئمة المجتهدين وسائر أصحاب الفضل منهم ، كما نص على ذلك — صلى الله عليه وسلم — بما روي عنه خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، أو كما قال •

فيجب على كافة أهل الإسلام احترام أهل القرون الثلاثة ، ومن خالف ذلك خرج من عقيدة الجمهور وما له من نور • وكيف لا وقد حاز أمثال الحسن البصري ، وأويس القرني ، وأبو أنس الخولاني أعلى مراتب الشرف في الأمة حتى وقع الكلام في أن الثلاثة أيهم خير من الآخرين ومن سائر الأمة •

كما أنه يجب عليه اعتقاد أن الأئمة الأربعة المجتهدين أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي ، ومالك بن أنس ، والشافعي محمد بن إدريس ، وأحمد بن حنبل الشيباني من أكابر الأئمة المجتهدين ، ويجب تقليد مذهب واحد منهم •

سائر الامة وخصوصا الاولياء والعلماء

والكل داخل في دائرة الإسلام ومن أصحاب النصيب في الخيرية بحسب مستواه من الأعمال الصالحة والإخلاص فيها وفي الاعتقاد لاسيما الأولياء الكاملون والعلماء العاملون ، ومن سعى في خدمة الدين وأهله بحسب مستواه • ومما يجب أن يعلم على نصوص القرآن الكريم أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعثه الله رحمة للعالمين وجعله مظهراً لأنوار رحمته وتجلياته ، وأنه جاء على جناحين بهما يطير في ملكوت المقامات العالية •

الجناح الأول : حضوره مع الله تعالى ، وإخلاصه له ، وعدم غفلته منه طرفة عين كما قال تعالى خطابا له : (ولا تكن من الغافلين • ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه) •

الجناح الثاني : التبليغ للقرآن الكريم وللعقائد والأحكام حتى استقرت الشريعة الإسلامية ، فليس الرسول رسول الاختصاص بالغيب بدون العلاقة مع الناس ، ولا رسول العلاقة بالناس مع الغفلة عنه تعالى ، وهذا أمر ظاهر جلي من ملاحظة قوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، ومن

ملاحظة أن العبادة لا تمكن بدون العلم وقال تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) . وبدون الاخلاص والخشوع ، والإخلاص في الخشوع كي لا يشوبه هوى النفس وبالترغيب في تزكية النفس عن الرذائل . وتحليتها بالفضائل ، وقال تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ولا شبهة في أن ذلك يحتاج الى مجاهدة وسعي في التزكية والتحلية . فقد قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين) ومن أهم أسباب الوصول الى الغاية القصوى المصاحبة مع المحبة للصادقين . فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فإن في صحبتهم محاورة واستفادة من كلماتهم وتنورا من أنوار قلوبهم . وذلك معلوم لكل منصف ، ولاسيما مجاورة سيد الصادقين ، وهو الرسول الأكرم الذي لقبه ربه بالسراج المنير وقال : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيرا وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيرا) فليس ما أفاده الرسول جانباً واحداً بل أفاد جانبين :

الأول : النور والحضور مع الله .

الثاني : العمل والإخلاص وتطبيق الأحكام بحق لنفسه ولمن أمكنه تطبيقه ولذلك قال — صلى الله عليه وسلم — : ما رجح أبو بكر عليكم بكثرة صلاته وصيامه وإنما رجح بشيء وقر في صدره . ومعلوم أن ذلك هو النور ، والاطمئنان فأمة الحبيب — صلى الله عليه وسلم — كلهم في خير ، ومن اقتبس من نور صدره فقد عاش سعيداً في عمره ، ومن أخذ من تبليغاته للأحكام فقد فاز بحظه في الإسلام فلا ييأس أحد منهم ، من أخذ جانباً من الرحمة ، ومن اقتبس من النورين فله نور على نور ، ولا يخفى أن الصحابة كلهم فازوا بالنورين حسب مستواهم وإن من ممتازيهم في ذلك الخلفاء الراشدون فاقتبسوا من النورين وأفادوا بهما الأمة الإسلامية ، ألا ترون أبا بكر ، وما أفاده سلمان الفارسي ، وما أفاده سلمان قاسم بن محمد ، وما أفاده قاسم ابن بنته جعفر الصادق — رضي الله عنهم — . وكذلك انظروا الى ما

أفاده علي ـ كرم الله وجهه ـ لأولاده الحسنين ولخواص اتباعه وبالاخير للحسن البصري وإفادة الحسن لتلاميذه فجاءت هذه السلاسل ممتدة في العالم ، وكلهم من رسول الله مقتبس ، غرفا من البحر ، أو رشفاً من الديم وقدامهم الأولياء من أهل تلك السلاسل الذهبية بالأذكار حسب مناسبة طبايعهم وازمنتهم وأمكنتهم ، فأفادوا وأجادوا وكل ذلك خير ولاحد للذكر والأوراد ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة واصيلا) ومن عاندهم فقد عاند كتاب رب العالمين . فقد جاء فيه ما يفيد أن الولاية والمحبة لله تعالى على درجات أربع :

الأولى : تحصل من اصل الإيمان بالله وبرسوله ، وإن كان مشوباً بنوع من المخالفات ، وذلك في قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لأن الإيمان أساس الأمان ، وعماد الرشاد .

الثانية : التقوى وهي الاتقاء والابتعاد عن الكفر حتى يصير الإنسان مسلماً . والابتعاد عن الكبائر حتى يصير عادلاً ، والابتعاد عن الدنايا حتى يصير واصلا الى درجة الإنسان ، السليم ، والدليل عليها قوله تعالى (إن أولياؤه إلا المتقون) ، وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

الثالثة : الاستقامة والدوام . فإن الاستقامة خير كرامة ، والدليل عليها قوله تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) .

الرابعة : الحضور ومراقبة الله في كل وقت بقدر المستطاع وهذه من درجات الرسل الكرام ، وأهل الكمال والتكميل من الأولياء ـ رضي الله عنهم أجمعين . ومنهم الحائزون للدرجتين وهم الأئمة المجتهدون في الدين ،

والعلماء العاملون الربانيون الذين أخلصوا دينهم لله واستنبطوا الأحكام من الكتاب والسنة بحسب توفيق الله تعالى لهم ، ودونوا مذاهبهم الموافقة للغة الكتاب والسنة ولعرف الشرع فيهما ، ومارسوا ودرسوا وكتبوا ، وأفادوا ، وأجادوا فأغنوا الأمة الإسلامية من بابي الاعتقاد والأعمال •

ومنهم أئمة الاعتقاد الإمامان أبو الحسن الأشعري ، وأبو منصور الماتريدي ، وأصحاب الصحاح من المحدثين الذين سعوا في رعاية السنة النبوية حق الرعاية فجزاهم الله عن المؤمنين والمؤمنات خيرا • وتبعهم سلاسل نورية قدسية من الأولياء من الحسن البصري الى سيد الطائفتين جنيد البغدادي ومن بعده الى سيدنا الشيخ عبد القادر الگيلاني وأقرانه من الأولياء ، ومن بعدهم الى سيدنا محمد الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند ، والإمام الرباني ، ومن بعدهم الى عصورنا من السادة المتبعين للسنة السنية ، ومن العلماء المخلصين المجاهدين في تربية الطالبين بكل اخلاص وايمان وأمان ــ فرضي الله عنهم أجمعين ــ •

وهنا وصايا مهمة

الاولى : مما يجب علمه واعتقاده أن للأنبياء والرسل الكرام ولسائر العباد الصالحين درجات عند الله تعالى سواء كانت من المواهب الربانية الصرفة أو من الجزاء على درجات جهودهم في سبيل الله تعالى قال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) • وقال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) وقال تعالى في شئون الرسل : (وفضلنا بعضهم على بعض) وقوله تعالى : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون) الى غير ذلك من الأدلة الواضحة الدالة على اعتبار الدرجات بين العباد ولاسيما قوله تعالى في شئون الرسل : (وإنهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) وآخر سورة الصافات • كما لاشك في أن الرسول سيدنا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم الأنبياء والمرسلين

وله درجات عالية واختصاصات جلية من الله تعالى منها عموم دعوته الى كافة الناس ، ومنها اختصاصه بمعجزة القرآن ، ومنها امتيازه بالخلق العظيم ، ومنها حفظ الذكر الذي أنزل عليه ومنها اختصاصه بالسماح عن عقاب المجرمين وعذابهم مادام الرسول حيا باقيا فيهم ، ومنها اختصاصه بالشفاعة الكبرى • وفي كل ذلك جاء له — صلى الله عليه وسلم — أي وجه شرف ، فإن الجاه مقلوب الوجه ، كما تقرر في علم الصرف إن للانسان جاها باعمال نفسه من الصالحات •

الوصية الثانية : جواز التوسل بجاه الرسول — صلى الله عليه وسلم —

وذلك واضح عن جلاء عند كل عالم له بصيرة في الأمور ، فبعد ثبوت ذلك الجاه هل يجوز الدعاء والالتجاء الى الله بها ؟ الجواب : نعم •

فقد ورد ولاشك أن اصحاب الرقيم دعوا الله سبحانه وتعالى وطلبوا كشف الضر ورفع البلاء ، وفتح باب الغار عليهم بما قدموه من الاعمال الحسنة • كما ورد أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — دعا لفاطمة بنت أسد (أم علي بن أبي طالب — رضي الله عنه —) بقوله المروي : اللهم بحقي وحق النبيين من قبلي إلا غفرت لفاطمة أمي • يعني أمه في التربية والحضانة والخدمة المبذولة منها له — صلى الله عليه وسلم — •

وورد أن الرسول علم الضرير أن يدعو ربه سبحانه وتعالى بحق الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — لكشف العمى عنه ، وقد دعا واستجاب الله دعاءه • كما ورد أنه — صلى الله عليه وسلم — أرشد الناس الى أن ينادوا عباد الله الصالحين المأمورين بمعونة المضطرين إذا تاهوا في الطريق المهجورة والصحارى ، وبين لهم أن لله تعالى عبادا لتلك الأمور الهامة ، ولا عجب في ذلك فإن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة في عقيدة المسلمين ، والملائكة مأمورون في الدارين للأعمال المقررة عليهم كما هو معلوم •

إن الله تعالى أمر بابتغاء الوسيلة الى الله والوسيلة مصدر بمعنى القرب . والقرب شيء ممكن له أسباب عند الله تعالى • ومن الأسباب الإيمان بالله والرسول والأعمال الصالحة والعقائد الحسنة ، وحب الرسول ، والصلاة عليه ، ونصرة دينه الكريم ، وتعزيره ، فثبت أنه يجوز للمسلم أن يقول : يارب ارحمني ببركة إيماني أو أعمالي الحسنة أو محبة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو ببركة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو آله ، أو صحبه ، أو الناس الصالحين الآخرين ، ولا فرق بين التوسل بدعاء الأموات والأحياء لأن المنشأ هو الروح والروح خالدة أبداً ، ومن فرق بينهما فقد ابتعد عن الصواب • وذلك لأن الحاصل من الأحياء والأموات الدعاء واللجوء الى الشفعة ومن عارض ذلك باستنكار الباري تعالى شفاعة الأصنام فقد ضل ضلالاً بعيدا لأن الأصنام اعتبروا شركاء لله معبودين ، وهي جمادات وعباد الله الصالحون لهم شفاعات بنصوص الآيات الكريمة •

الوصية الثالثة : الترغيب في زيارة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لاشك أن الرسول هو المبعوث رحمة للعالمين ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه بلغ كتاب الله حق التبليغ ، وله على الأمة حقوق لا تحصى ، فإنه كان سببا لإخراج العباد من ظلمات الجهل الى العلم ، ومن الكفر الى الإيمان ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن البساطة والغباوة الى الدقة وفهم الحقائق والأسرار والاستعداد لتلقي الأنوار • فحقوقه أكثر من حقوق الوالدين بمراتب لا تعد ولا تحصى •

وقد قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، فثبت بذلك أن شكر الرسول واجب ، ومن شكره محبته ونصرة دينه وإعزازه ، وخدمة أمته والتعاون معهم ، ومما يعد من هذا الباب زيارته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأخذ النور ، والانشراح من نسمات روضته الشريفة ،

ونغمات روحه اللطيفة ، وقرب الأشباح مع الأرواح منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد وردت في الموضوع أحاديث شريفة يؤيد بعضها البعض ، وعليه فزيارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مهمات المسلمين أينما كانوا . وقد جربت منافع الزيارة الشريفة ، فكم من مريض القلب شوفي بها ؟ وكم من مبتلى عوفي منها ؟ وكم من ضعيف الإيمان تقوى بزيارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ رزقنا الله تعالى بفضله زيارته مرات .

الوصية الرابعة : الترغيب في الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لاشك أن الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما أمر الله تعالى به بدون حصر وتقييد ، كما أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رغبنا في الصلاة عليه في روايات ، وتلك الأوامر والروايات أحكامها أحكام المطلقات عن الكمية والكيفية ، سراً وجهراً ، ليلاً ونهاراً ، خلوة وجلوة إلا في مواضع معينة نهى عن تلاوة القرآن والأذكار والصلاة فيها كوجود النائم ، والمريض ، والمشغول بمهمة تمنعه العبارات الجهرية ، فعلى ذلك فالصلوات عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلة بين الرسول وأمته صلة متينة قوية واطلبوا دوام هذه الصلة . ولا تسمعوا كلام اللغاة ودعوى أنها بدعة . لأنهم لم يفتهموا أن البدعة أمر خارج من الكتاب ، والسنة ، والاجماع واجتهاد المجتهدين . ولا سند عندهم إلا تبعية الفسقة المحرومين عن بركة الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدليل على ذلك أنهم ليس لهم اتباع للسنن الثابتة ؛ فتلاوة القرآن وفعل الجماعات والرواتب وصلاة التهجد ، وغيرها من الطاعات . فكلام أولئك حشو لا قيمة له .

ومما يجب أن يعلم أن سلسلة الصالحين ليست منحصرة في عدد محدود بل كانت كثيرة وافرة بحسب إلهامات الله تعالى لهم فقد قال : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين) والطرق الى الله كثيرة

بعدد أنفاس الخلائق ، ومـن نسب أولئك الصالحين واتباعهم الى البدع والأهواء فقد ضل ضلالا بعيدا . فإن الكتاب والسنة مملوءتان بمدح أهل التقوى والصلاح والإرشاد ، وكيف يكون العاملون بالأصول خارجين من أهلها ؟ وأبعد من ذلك الاستدلال بأن تلك الأمور لم تكن في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ؛ فإن ذلك ناشيء من عدم فهم معنى السنة والبدعة حسب الشرع . فإن السنة هي العمل بالكتاب والسنة على وفاق دلالاتهما الأربع وبالإجماع والاجتهاد ، وما عدا ذلك يسمى بدعة شرعية ، وضلالا . وإلا فدين الإسلام دين خالد وتحتاج الأمة في كل عصر الى معالجة أمور واجبة من أمور العلم والتعليم والإرشاد والصحة والاقتصاد ، والدفاع عن حوزة الإسلام في ما هو مستطاع ، وإلا لزم أن يكون وجـود محاريب المساجـد ، والمنائر ، والمدارس ، ودور القضاء ، والافتاء والترتيبات العسكرية ... وأمثالها ضلالاً وفساداً . والعياذ بالله من هذه العقيدة الفاسدة .

والضابط في الموضوع النهي في النصوص فكل ما نهى عنه الرسول فهو حرام ، أو مكروه ، وغيره إما : واجب ، أو مندوب ، أو مباح ، ولا أقل من ذلك . والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن المحدثات بصيغة اسم المفعول من باب الإفعال وهي المفتعلات الخارجة عن الدين ، وعن الحادثات المندرجة في باب الاجتهاد والاستنباط . وقـد قال تعالى : (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه) . هذا ولم تزل الأمة الإسلامية من الصحابة ومن بعدهم عليها الى يوم القيامة . أما الصحابة فقد أخذوا الكتاب من الرسـول وبين لهم مراده تعالى منه عموما وخصوصاً ، وحقيقة ومجازا ، بحيث افتهموا حقيقته المرادة . ولم يكن وضع الصحابة الحاضرين مناسبا لوضـع القواعـد والمصطلحات الفنيـة لبعدهـم عنها ، ولاشتغالهم بأهم منها كالجهاد والإرشاد ، بل اكتفوا بما تلقوه من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان فيه كفاية لهم . ألا ترى أن الصحابة بعد عهد

الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانوا في أشد الحاجات الى المشاورة لتحصيل العلم ببعض المشاكل الواردة ، ولما جاء دور التابعين ، ودور اختلاط الناس بعضهم ببعض ، وظهرت المشاكل في الأمور .. احتاجوا الى الاجتهاد والسعي في تقرير الأصول والفروع ، وذكر الخاص والعام ، والمطلق والمقيد والحقيقة والمجاز وغيرهما ، فحقق المحققون من العلماء معاني الكتاب والسنة بحيث اكتفوا بها ؟ ووجه اختلافاتهم الاختلاف في المعاني اللغوية والعرفية وعدم وصول بعض البيانات النبوية إليهم لموت أصحابها واعتماد بعض منهم على رواية بعض الناس لثبوت قادح فيه عنده . والاختلاف في وجوه التخصيص ، والتقييد وزمان ورود التنزيل ، والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك مما ذكر في أسباب اختلاف المجتهدين وإلا فمتى ظهر النص القاطع لم يكن اختلافا قطعياً ، كما أنه لم يكن بينهم حزازات وسوء تعبير لأي واحدٍ منهم بالنسبة الى الآخر ، وإن كنت في ريب من ذلك فطالع كتب المجتهدين الاجتهاد المطلق هل ترى في كتاب واحد مخاصمة الآخرين ورميهم بشيء من سوء ؟ معاذ الله !

ثم كان تدوينهم حسب ما وصل إليه أفكارهم من فهم الكتاب والسنة حسب اللغة العربية والعرف الخاص والعام ، والحقائق والمجازات ، والمشتركات اللفظية والمعنوية ، ومعاني الحروف وغيرها . كما كان اختلافهم في السنة النبوية من جهة الاختلاف في التواتر ، والآحاد ، والصحيح ، والحسن والضعيف ، وما له إسناد قوي أو لا ، وعلى كل حال فأمورهم كانت مبنية على الاخلاص والخدمة للإسلام والدين والكتاب والسنة وحفظهما ورعايتهما . ألا ترون أن الخلفاء الراشدين ــ وعلى رأسهم الصديق ــ جمعوا القرآن في الصحايف الجلدية خوفاً من ضياع بعض الآيات من موت الحفاظ أو ضياع قطعة مما كتب عليه بعض آيات ، وجمع عثمان له كان من خوف اختلافهم في القراءات حتى أمر بجمعه على لغة قريش ــ أفصح اللغات ــ لتوحيد الأمة ، وأمر بكتابة باقي القراءات على الهامش لصيانتها .

وهذا العمل مما اشترى به الجنة مرة ثالثة ؟ وألا ترون أن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لما خاف من الغلط في قراءة القرآن الكريم من اختلاط العجم بالعرب ، والعرب العرباء بالمستعربة أسس علم النحو لبيان العامل والمعمول والعمل ، وضبط الشكل حسب النزول ؟ والقدماء لما مارسوا قواعد النحو على تأسيسه نظروا للحاجة الى علم الصرف لمعرفة مصادر الكلمات ومشتقاتها مجردها ومزيدها ، حتى يعلم الفرق بين فرح وفرح بالتخفيف والتشديد ، وكرم وأكرم من المجرد والمزيد ، والأفعال الماضية والمضارعة ، والأمر والنهي ، والمؤكد وغير المؤكد ، وأسماء الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة وأفعل التفضيل والتعجب ، وأسماء الزمان والمكان ، وأسامي المصادر حتى يكون الناظر على بصيرة في فهم الكتاب والسنة .

وأمر عمر بن عبد العزيز بتدوين الأحاديث الشريفة حتى لا تضيع بينات الرسول وإرشاداته القيمة ، ثم رتبوها على أبواب العبادات والمعاملات ، والأحوال الشخصية والجنايات ، والدعاوى والبيانات وما تفرع منها .

وألف الإمام الشافعي رسالته في أصول الفقه لبيان ما حواه الكتاب والسنة من العام والخاص ، والمطلق والمقيد والحقائق والمجازات وغيرها مما يطول ذكره ويحتاج إليه المسلمون أشد احتياج .

ألا ترون أن الله ألهم جمعا من العلماء تأسيس علم البلاغة لمعرفة أسرار القرآن الكريم ، وأسباب إعجازه لبلغاء العالم ؟ فإن بمعرفة ذلك يتبين معجزته وتظهر عظمة الكتاب والسنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام . ثم ألفوا أصول الدين لكسب العقائد الإسلامية ورد أهل البدع والأهواء والعند للإسلام ونصرة الحق أينما كان ، وبذلك شيدت أركان الإسلام . ثم ألفوا وشرحوا وفصلوا علم المنطق لمعرفة التعاريف وطرقها ، والأدلة القاطعة ومقدماتها وترتيبها ، ورعايته لإنتاج النتائج القطعية ، وإلا لم تبق ثقة بالعلم والعلماء ، وعدم الفرق بين المحق والمبطل ، ولذلك قال حجة الإسلام الغزالي: من لا يعرف المنطق لا ثقة بعلمه .

ثم ألفوا علم البحث والمناظرة حتى إذا أرادوا إظهار الحق في باب من الأبواب وصلوا إليه ، ويعرف العالم من الناقل ومن المدعي وما هو وظيفة المقابل في مقابلتهما ، وكيف تدور الأسئلة والأجوبة •

ثم أخذ علماء الإسلام في تأليف التفاسير للقرآن الكريم ، والشروح للأحاديث الشريفة ، كما أخذوا في تأليف الكتب من أي علم لمناسبة الزمان وأهله حتى يطمئن المسلمون من أصول دينهم الشريف •

وبما ذكرنا من هذا النموذج تبصرتم في فهم أسباب الاجتهاد وتوسيع دائرة العلوم وتأليفهم فيها ، كما أنكم وصلتم الى أن الإسلام في أجمع حجة وأشدها لتعلم سائر العلوم التي تحتاج إليها أمة الإسلام من علوم الطب والاقتصاد ، والدفاع ، والهندسة ، وسائر الرياضيات ، وتأسيس مدارس لكل ذلك كما يحتاجون لبناء المدارس الإسلامية من كل باب • والضابط أن كل ما تحتاج إليه الأمة فتعلمه مفروض إما فرض عين أو فرض كفاية • وإن الإسلام لم يتوقف زمانا من الأمر بالعلم والتعليم ومباني التقدم الحضاري الشريف بحيث يعود بالمنافع الى الأمة كلها وذلك هو أدب الإسلام والمسلمين •

ومما يجب علمه أنه لا يمكن الوصول الى معرفة الكتاب والسنة إلا بالعلوم التي ذكرناها ، وإن ترتيبها واجب على درجات :

الأولى : الابتدائيات المحتوية على ست سنوات لمعرفة القرآن الكريم وتجويده وحفظه كله إن أمكن ، أو آيات الأحكام ، والأخلاق ، والوعظ العام ، ثم معرفة العقيدة الإسلامية باختصار على ما يجب ، ومعرفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وسيرتهم ، وسيرة السلف والأئمة المجتهدين ، وأنهم على هدى من ربهم ، وأنهم قادة الإسلام والمسلمين • ثم معرفة أحكام العبادة ، ودروس مضبوطة محفوظة فيها ثم معرفة مجمل من تأريخ الإسلام والسلف الصالحين •

ثم معرفة الرسائل الصرفية وأهمها تصريف الزنجاني مع شرحه للشيخ إبراهيم الشهراني ، أو كتاب اعلال الصرف . أو كتاب الصرف الواضح الذي ألفته للمبتدئين ؛ وهذا الكتاب كترجمة لشرح تصريف الزنجاني .

ثم كتاب العوامل المؤلف عدى ما قرره عبد القاهر ، ورسالة مفتاح الآداب الذي ألفته لهم ؛ والأجرومية ؛ والقطر ؛ وشرحه ؛ وشذور الذهب لابن هشام على أرواحهم رضوان الملك العلام ، وأعتقد أن كتاب شرح الأنموذج للزمخشري أحسن كتاب في درس الابتدائيين .

ثم كتاب الاظهار للبركوي وشرح تصريف الزنجاني المعروف بتصريف الملا علي لكن بوجه دقيق عند أستاذ فاهم لطريق التعليم ، ثم كتاب خلاصة البيان في علمي الوضع والبيان الذي ألفته لهم ، ثم كتاب شرح مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي فإنه لم يسبق بمثله ضبطا وصحة وإفادة — رحمة الله عليه — . ثم كتاب السيوطي شرح ألفية ابن مالك ؛ وإن أمكن فكتاب الفريدة لجلال الدين السيوطي — رحمة الله عليه وعليهم أجمعين — .

ثم بعد الابتدائيات المذكورة يدخل الطالب في الدرجة الثانية لعلم المنطق ، وآداب البحث وأعتقد أن أول كتاب يدرس في المنطق رسالة المفتاح لي ، ثم رسالة الورقات ، وبعدهما يقرأ كتاب المقالات في المقولات ، ثم رسالة العزيزة ، ثم رسالة الوجيهة ، وهي تآليف لي ، وألفتها بوجه مرتب مضبوط مجرد عن الأشياء الصعبة ؛ ثم كتاب تهذيب المنطق مع حاشية عبد الله اليزدي، ثم كتاب البرهان في المنطق وهذا أنفع كتاب في المنطق وأفيده ؛ ثم يشتغلون برسالة الآداب للكلنبوي ، وبذلك يتكاملون في المنطق وآداب البحث على الوجه المرضي المعتاد .

الدرجة الثالثة : معرفة البلاغة في ضمن التلخيص ، ومختصر المطول ؛ ودرس المطول بطول شرح فوائده ، فهو كتاب مستوعب لعلم البلاغة ، وتفسير الآيات الحكيمة الدقيقة ؛ وكشف لأسرار مقتضيات الأصول ، وفهم لدقائق

العربية بحيث يصل الإنسان بمعرفته وبمعرفة حواشيه من السيد والسعد وعبد الحكيم الى ذروة العلوم العربية وعلى معرفة أمثال تلك الكتب ترقى من ترقى ووصل الى الغاية القصوى من الدقائق والأسرار .

وفي ثاني هذه الدرجة دراسة شرح العقائد للسعد التفتازاني — نور الله روحه — مع ملاحظة حواشي الخيالي وتعليقات عبدالحكيم ، فإنها أزالت حجب الغفلة والجهالة عن القلوب ، ووصلت الى ما يمكن الوصول إليه عادة من فهم دقائق العقائد .

وفي ثالث درجاته دراسة أصول الفقه من كتاب جمع الجوامع . أو المستصفى لحجة الإسلام أو مختصر المنتهى ، ودراسة كتاب تقريب المرام في في شرح تهذيب الكلام ، وإن ساعدكم التوفيق فباشروا بالسعي في درس نظم الفضيلة لمولانا عبد الرحيم المولوي مع شرحي عليه بعنوان الوسيلة فإنه شرح أخذته من تحقيق عبد الحكيم السيالكوتي على الخيالي ، وشرح المواقف وهو كتاب نافع جداً ، وإذا درسته استأنست به . والله الموفق .

وفي أثناء كل تلك الدرجات عليكم بدرس الفقه الشريف مما عليه مذهبكم مذهب الإمام الشافعي المطلبي مع ملاحظة سائر المذاهب — رضي الله عن أصحابها اجمعين — وعليكم بدرس اصول الحديث الشريف كألفية العراقي وشرحها للقاضي زكريا الأنصاري ، ودرس كتاب من كتب التفاسير كالمدارك وأنوار التنزيل للبيضاوي — رحمهما الله تعالى — .

وإذا ساعدكم التوفيق فادرسوا الرياضيات من أمثال تشريح الأفلاك وحواشيه ، وشرح ترشيح الإدراك للعلامة الملا حسين البشدري — رحمه الله — ، ورسالة الحساب للعاملي مع شرح الجواد ، ورسالة في الهندسة ، وعليكم بمعرفة جغرافيا العالم ، ولاسيما جغرافيا الوطن الإسلامي وتاريخ الإسلام من الأول الى عصرنا ، ولاسيما تأريخ العلماء كأمثال ابن خلكان وكتاب علماؤنا في خدمة العلم والدين .

وإياكم أن تسمعوا كلام الجهال المتسترين بكسوة العلماء المتعللين بأنواع العلل المروقة صورة والمغلوطة حقيقة ، فإن علماء الدين ورثة الأنبياء والمرسلين وشئونهم أعلى من ملاحظة حطام الدنيا الدنية فإنها فانية والآخرة خير وأبقى ، واعلموا أن رزقكم من سهم المصالح من خمس الفيء ، وخمس خمس الغنائم ، وإن كنتم في ضيق المعيشة فتذكروا قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث يحمل الأحجار لبناء مسجده الشريف :

أللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

(لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) .

وعليكم بمراقبة الله تعالى ، وشمول علمه بأنفسنا ، وأعمالنا ، وأحوالنا ، وقدرته علينا ، وبالاستعداد لقبول تجليات رحمته ، فإن لله تجليات على عباده ولا تكونوا من الغافلين . وعليكم بدوام الذكر وأهمه الاشتغال بالعلم إفادة واستفادة (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وعليكم باجتناب أهل الغفلة إلا بمقدار الضرورة فإن الضرورات يبحن المحظورات . وعليكم بالتقوى وصحبة الصادقين ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) . هذا ونختتم سطورنا وننور صدورنا بقوله تعالى (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا . ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا ، وتوفنا مع الأبرار) .

فرغت بحمده الله تعالى عن كتابة هذا الشرح ضحوة يوم الثلاثاء الثلاثين من شوال سنة ألف وأربعمائة وثلاث عشرة هجرية . المصادفة يوم الحادي والعشرين من الشهر الرابع من سنة ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين ميلاديا . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين بإحسان الى يوم الدين ، وأنا المؤلف الخادم للدين عبد الكريم محمد المدرس في مدرسة حضرة الشيخ عبد القادر الگيلاني ببغداد .

هذاك تنبيه لأصحاب الشرف
من فرقة السلف أو من الخلف
اليوم أكملت لكم دليل
إن الكتاب للورى كفيل
إذ ديننا إما اعتقاد أو عمل
أو ابتعاد النفس عن سوء الأمل
أو حكم الاجتهاد من أهل الرشد
من فرد أو جماعة أولي مدد
واستشارة مع التعاون
واعتصام جل عن تباين
وكل ذا يوجد في القرآن
فالدين قد اكمل للإحسان
يأمر بالإطاعة لله
وبإطاعة رسول الله
وبإطاعة أولي الأمر بما
يشمل الاجتهاد عند العلماء
وهذه الأربعة تكفينا
وعن بلاء جهلنا يشفينا
وما عداها ليس من دين الهدى
طوبى لمن بما حمل قد اقتدى

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهـرست

الموضوع	الصفحة

٢٣٩
م ٤٤٥ المدرس ، عبدالكريم محمد
الوردة العنبرة في سيرة حضرة خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم / عبدالكريم محمد المدرس ــ بغداد : دار الحرية ١٩٩٤
ص ، ٣١٢
١ ــ السيرة النبوية الشريفة أ ــ العنوان
م٠و
١١٩٩٤/٢٣٣

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
بغداد ٢٣٣ لسنة ١٩٩٤